٦- كتاب عيَادة المريض وَتشييع الميّت

والصّلاة عليه وَحضور دَفنهِ وَالمكث عِنْدَ قبرهِ بَعدَ دَفنه

١٤٤- باب عيادة المريض

الحديث رقم (٨٩٥)

٨٩٥- عن البَرَاء بن عازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أمَرَنا رسولُ الله ﷺ بعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإبْرَارِ المُقْسِمِ[1]، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَإجَابَةِ الدَّاعِي، وَإفْشَاءِ السَّلاَمِ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

تشميت العاطس: الدعاء له بالبركة؛ بقولنا: يرحمك الله[3].

إبرار المقسم: تصديق قسمه وإنفاذه[4].

الشرح الأدبي[5]

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث الشريفة إلى الأحكام الفقهية الآتية:

١-عيادة المريض.   ٢-اتباع الجنائز.

---

(١) (أو: القسم) كما عند مسلم.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٣٥، ومسلم واللفظ له ٢٠٦٦، وتقدم برقم ٢٣٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش م ت).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ر ر).

(٥) انظر: الشرح الأدبي للحديث رقم (٢٣٩، ٨٦١، ٨٨٠).

٣-تشميت العاطس٤-إبرار القسم.

٥-نصر المظلوم ٦-إجابة الداعي. ٧-إفشاء السلام.

وقد سبق ذلك عند الأحاديث ٦، ٢٣٨، ٢٣٩.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٣٩).

الحديث رقم (٨٩٦)

٨٩٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تشميت العاطس: الدعاء له بالبركة؛ بقولنا: يرحمك الله[2].

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على أسلوب الإجمال، والتفصيل الذي يحقق التشويق، والذي يحقق بدوره الانتباه، واليقظة لبقية الخبر، وهو من الأمور التي يحرص عليها كل متكلم عامة، والرسول ﷺ خاصة، كما يؤكد هذا الأسلوب المعنى؛ لأنه يذكر مرتين مرة إجمالاً، ومرة تفصيلاً، وقد أجمله في قوله (حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسلِمِ خَمْسٌ) والحق هو الحتم اللازم، وذكر العدد يؤكد المعدود؛ لأنه يرتبط بالرقم، وتعريف المسلم للجنس فيشمل الجميع، وينفيه عن غيرهم ثم بدأ بتفصيله بقوله (رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ) وبين هذه العبارات مراعاة النظير، وهي ذكر الشيء، وما يناسبه، وفيها تناسب بين الألفاظ، والمعاني، ومن الملاحظ في الحقوق المذكورة أنها مفردة إلا لفظ الجنائز؛ لأن المستحب فيها كثرة الناس؛ فإنه خير لهم، وللميت، والتعبير بالاتباع فيما يتعلق بالجنائز يشير إلى اتباعها في مختلف المواقف

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦٢/٤، وتقدم برقم ٢٣٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣١٨٦، و٣٩٨٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش م ت).

من الخروج بها من المنـزل؛ إلى الصلاة عليها ودفنها، والتعبير بالعيادة في زيارة المريض توحي بتفقده من حين إلى حين تطييباً لنفسه، وشداً من أزره، كما أن لفظ العيادة ينافي التطويل، لأنه يعني التكرار، والتطويل لا يستقيم مع التكرار لأنه يؤذي المريض الذي يحتاج إلى الراحة فيفهم منه تقصير وقت الزيارة مع تكرارها، بما يطيب نفسه، ولا يشق عليه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٣٨).

الحديث رقم (٨٩٧)

٨٩٧- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((إنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ يومَ القِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدنِي ! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أعُودُكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أمَا عَلِمْتَ أنَّ عَبْدِي فُلاَناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ! يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أمَا عَلِمْتَ أنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ أطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي! يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أسْقِيكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (إنَّ اللَّهَ - عز وجل- يَقُولُ يَومَ القِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدنِي !) ارتقاء من مستوى الكلام البشر إلى مستوى الكلام الإلهي وهي نقلة عظمى في الأساليب، والمعاني و هي جملة اسمية مؤكدة بـ (إن) مع اسمية الجملة لتمهيد نفس المخاطب مع ما يوحي به التوكيد من أهمية الخبر، وعناية الرسول ﷺ به، وهو نوع من إعداد النفوس لاستقبال نوعية الأخبار التي تتسم بالطرافة، وتحمل نوعاً من الغرابة، وتتميز بأهمية خاصة في نفس المتكلم، ويريد أن يبثها في نفس السامع، ولما كانت أكثر أخبار الرسول ﷺ تتسم بهذه الصفات أو بعضها. تجد أكثر أحاديثه يسبقها، أو يحدوها نوع من تمهيد النفوس بنوع، أو أكثر من المؤكدات، بيد أنها تختلف كماً، وكيفياً بحسبة طبيعة المعاني، وأحوال المخاطبين وقوله - تعالى - (يَا ابْنَ آدَمَ) نداء عام لكل من بلغه وقوله: (مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدنِي !) أراد به مرض عبده وإنما

---

(١) برقم ٢٥٦٩/٤٣. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٩٣.

أضاف إلى نفسه تشريفا لذلك العبد فنزله منزلة ذاته والحاصل أن من عاد مريضا لله فكأنه زار الله وتشير فيه هذه الفقرة إلى عظم المنة من الله على المريض، وعلى زائره قال النووي في شرح مسلم: قال العلماء: إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى فالمراد العبد تشريفاً للعبد، وتقريباً له قالوا ومعنى وجدني عنده أي وجد ثوابي وكرامتي ويدل عليه قوله في تمام الحديث (لو أطعمته لوجدت ذلك عندي......) أي ثوابه والله أعلم)[1] وهذه الكرامة للعبد والتشريف له محبة من الله ورفقاً به ودعوة من الله للعباد بالتواصل، والمودة حتى أنه أضاف مرض عبده إليه - سبحانه وتعالى - مما جعل العبد الموقوف بين يدي الله - تعالى - يسأل، ويتعجب (....كيف أعودك، وأنت رب العالمين؟) واستفهامه يحمل مع التعجب من الخبر استبعاد واستعظام لعبد ضعيف أن يعود ربه، وهل يمرض الرب؟ ولكن هذه الإضافة وهذا التكريم إشعار بمنزلة العبد، وعظم ثواب زيارة المريض، وهو تصوير وحكاية لموقف من مواقف الآخرة كدعوة من الله لعباده بالتواصل بينهم، ورعاية كل منهم لحال إخوانه لا سيما أهل الحاجة منهم، والمرضي؛ ولذلك نجد الأسلوب يتكرر عتاباً من الله لعبده في تقصيره في إطعام أخيه الذي استطعمه؛ والذي استسقاه، وفي كل مرة يرد العبد متعجباً مستبعداً (كيف أطعمك، وأنت رب العالمين؟....) (كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟...) وجملة الحديث تشير إلى ضرورة الترابط الروحي، والتكافل الاجتماعي بين المؤمنين، ووجوب إعانة المؤمن لكل ما يحتاج إلى إعانة.

المضامين الدعوية

أولاً: من مصادر الدعوة: الحديث القدسي.

ثانياً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على زيارة المريض وإطعام الطعام وفضل ذلك.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على سقاية الماء وفضل ذلك.

---

(١) الأحاديث القدسية ١/٢٦٣.

أولاً- من مصادر الدعوة: الحديث القدسي:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ: "إن الله عز وجل يقول يوم القيامة".
"والحديث القدسي لغة: هو الحديث المنسوب إلى الذات القدسية وهو الله سبحانه وتعالى، واصطلاحاً، هو ما نقل إلينا عن النبي ﷺ مع إسناده إياه إلى ربه عز وجل والفرق بينه وبين القرآن، هو أن القرآن لفظه ومعناه من الله تعالى، أما الحديث القدسي فمعناه من الله ولفظه من عند النبي ﷺ، والقرآن يتعبد بتلاوته والحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته، ولا يشترط في ثبوته التواتر على عكس القرآن الكريم"[1].
والحديث القدسي من المصادر الدعوية التي يستعين بها الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين.

ثانياً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

لقد ورد السؤال والجواب كأسلوب دعوي في الحديث في ثلاثة مواضع، الأول هو سؤال الله تعالى للعبد عن عدم عيادته للمريض، والثاني هو سؤاله تعالى للعبد عن عدم إطعام الجائع، والثالث هو سؤاله تعالى للعبد عن عدم سقيا من استسقاه، وقد بين الحق تبارك وتعالى في الإجابة على سؤاله:"أن العبد لو قام بذلك لوجد ثواب الله وكرامته، وأن الإحسان إلى الخلق هو إحسان إلى الخالق"[2]، وقد أفاد السؤال والجواب الوارد في نص الحديث عظم هذه المطلوبات وشدة امتثالها في حياة المدعوين، كما أفاد عظم جرم من فرط في إهمالها وعدم الاعتناء بها، ويتضح هذا جلياً في مدى ما يحسه العبد من حسرة وندامة وخسران بعد كلام الله له.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على زيارة المريض وإطعام الطعام وفضل ذلك:

لقد أشار الحديث القدسي إلى ذلك من قوله ﷺ عن رب العزة "يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ...، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ...".

---

(١) تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطحان، ١٢٦.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٥١/٦، وإكمال المعلم، القاضي عياض، ٣٩/٨.

قال القرطبي: وقوله تعالى: «يا ابن آدم مرضتُ فلم تَعُدْني واستطعمتُك فلم تُطعمني»: (تَنَزُّلٌ في الخطاب، وتلطُّف في العتاب، ومقتضاه التعريف بعظيم فضل ذي الجلال، وبمقادير ثواب هذه الأعمال. ويستفاد منه أن الإحسان للعبيد إحسان للسادة، فينبغي لهم أن يعرفوا ذلك، وأن يقوموا بحقه)(1).

وقال القاضي عياض: (قال الإمام: قد فسر في هذا الحديث معنى المرض، وأن المراد به مرض العبد المخلوق، وإضافة الباري -سبحانه- ذلك إلى نفسه تشريفاً للعبد، وتقريباً له. والعرب إذا أرادت تشريف أحد حلته محلها، وعبرت عنه كما تعبر عن نفسها، وأما قوله: "لو عدته لوجدتني عنده" فإنه يريد ثوابي وكرامتي، وعبر عن ذلك بوجوده على جهة التجويز والاستعارة، وكلاهما سائغ شائع في لسان العرب...، وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾(2)، يعني مجازاة الله تعالى، ومثل هذا كثير. قال القاضي: وقد جاء في آخر الحديث في الإطعام: "لو أطعمته لوجدت ذلك عندي" أي ثواب ذلك وجزاؤه، وهذا تفسير: "لوجدتني عنده")(3).

وقد كان النبي ﷺ القدوة والأسوة في عيادة المريض وإطعام الطعام، وهذا ما بينه عثمان بن عفان رضي الله عنه "في خطبة له قال: إن والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير"(4). وقد أمر ﷺ بذلك فقال: "اطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكو العاني"(5).

وقال ابن عثيمين: (إن عيادة المريض فرض كفاية، فإذا لم يقم بها أحد؛ فإنه يجب

---

(1) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٥١/٦.

(2) سورة النور، آية: ٣٩.

(3) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣٩/٨.

(4) أخرجه أحمد ٦٩/١ رقم ٥٠٤، وقال محققو المسند إسناده حسن ٥٣٢/١.

(5) أخرجه البخاري ٥٦٤٩.

على من علم بحال المريض أن يعوده؛ لأن النبي ﷺ جعل ذلك من حقوق المسلم على أخيه، ولا يليق بالمسلمين أن يعلموا أن أخاهم مريض ولا يعوده أحد منهم؛ لأن هذه قطيعة وأى قطيعة!)[1]، أما إطعام الطعام: (فيجب علينا كفائياً إطعام الجائع إنقاذاً له من ألم الجوع، ومحافظة على صحته بل على حياته، إن كان يودي بها فقد الطعام، وليكن إطعامه من خير ما نطعم به، عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾[2]، [3].

وقد حث النبي ﷺ على عيادة المريض وإطعام الطعام، فقال ﷺ: "من أصبح اليوم منكم صائماً ؟ قال أبو بكر: أنا. قال: من عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر: أنا. قال: من شهد منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر: أنا. قال: من أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ قال أبو بكر: أنا. قال رسول الله ﷺ: ما اجتمعت في رجل إلا دخل الجنة"[4].

قال النووي: في قوله ﷺ: "ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة". قال القاضي: معناه: دخل الجنة بلا محاسبة ولا مجازاة على قبيح الأعمال، وإلا فمجرد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالى"[5].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على سقاية الماء وفضل ذلك:

هذا ما يستفاد من الحديث في قوله ﷺ عن رب العزة: "يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني!... "قال ابن عثيمين "وفي ذلك دليل على فضيلة إسقاء من طلب منك السقيا، وأنك تجد ذلك عند الله مدخراً"[6]، وبين ﷺ عظم فضل سقيا الماء. فقال: ((بَيْنَمَا

(١) شرح رياض الصالحين ١١٦٩/٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٧ .

(٣) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ١٠٧.

(٤) أخرجه مسلم ١٠٢٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٦٢.

(٦) شرح رياض الصالحين ١١٧٢/٢.

رَجُلٌ يَمْشي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ. فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ. ثُمَّ خَرَجَ. فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرىٰ مِنَ الْعَطَشِ. فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي. فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً. ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيْهِ حَتَّىٰ رَقِيَ. فَسَقَى الْكَلْبَ. فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ. فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَإِنَّ لَنَا فِي هذِهِ الْبَهَائِمِ لأَجْرًا؟ فَقَالَ «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»)[1].

قال النووي: (في قوله: "فشكر الله له فغفر له" معناه: قبل عمله وأثابه وغفر له)[2].

---

(١) أخرجه البخاري ١٧٣، ومسلم ٢٢٤٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٩٨.

الحديث رقم (٨٩٨)

٨٩٨- وعن أَبي موسى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((عُودُوا المَريضَ، وَأطْعِمُوا الجَائِعَ، وَفُكُّوا العَانِي)) رواه البخاريُّ[1].

"العَانِي": الأسير.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

الحديث من جملة الأحاديث القصار التي تتناول تقوية الروابط الاجتماعية بين المسلمين وقد قام على الأسلوب الإنشائي الذي يمثل جانب الحركة في تجاذب الحوار، وتمثل في أسلوب الأمر في ثلاث جمل اختلف فيها المأمور به، وقد اتصلت أفعال الأمر الثلاثة بواو الجماعة تعميماً للخطاب، وهو خطاب للصحابة ومن بعدهم يطرد باطراد الزمان لهذه الأمة قال الطيبي (والخطاب العام: وهو ما يخاطب به غير معين للإيذان بأن الأمر لعظمه، وفخامته، حقيق بألا يختص بأحد دون أحد)[2] وقد صدرت أوامر الرسول ﷺ (عُودُوا المَريضَ، وَأطْعِمُوا الجَائِعَ، وَفُكُّوا العَانِي) بغرض التوجيه، والإرشاد ترغيباً في خصال الخير التي تنشر المحبة بين المسلمين، والتعاون حتى لا يجد المسلم نفسه يوماً في محنة وحده لا يجد من يعينه.

فقه الحديث

١-إطعام الجائع: قال ابن حجر: (قال الكرماني: الأمر هنا "أطعموا الجائع" للندب، وقد يكون واجبًا في بعض الأحوال أ هـ. ويؤخذ من الأمر بإطعام الجائع جواز

---

(١) برقم ٥٦٤٩، ولفظه: (أطعموا الجائع وعودوا المريض، وفكوا العاني)، وأخرجه أيضًا في: ٣٠٤٦، و٥٣٧٣ وليس في واحد منها تقديم: (عودوا المريض)، وقدمه المؤلف لمناسبة الباب، وبهذا الترتيب الذي أورده المؤلف، أخرجه أبو يعلى المسند ٣١٠/١٣ رقم ٧٣٢٥/١٠٥.

(٢) التباين في علم المعانى والبديع والبيان للطيبي صـ ٢٩٢.

الشبع، لأنه ما دام قبل الشبع فصفة الجوع قائمة به، والأمر بإطعامه مستمر)[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (اتفق الفقهاء على أن إطعام المضطر واجب، فإذا أشرف على الهلاك من الجوع أو العطش ومنعه مانع، فله أن يقاتل؛ ليحصل على ما يحفظ حياته)[٢].

٢-فك الأسير: قال ابن حجر: (قال ابن بطال: فكاك الأسير واجب على الكفاية. وبه قال الجمهور. وقال إسحاق بن راهويه: من بيت المال. وروى عن مالك أيضًا. وقال أحمد: يفادى بالرؤوس، وأما بالمال فلا أعرفه. ولو كان عند المسلمين أسارى وعند المشركين أسارى واتفقوا على المفاداة تعينت. ولم تجز مفاداة أسارى المشركين بالمال)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على عيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني.

ثالثاً: من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ في عيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد الأمر في الحديث في قوله ﷺ: "عودوا المريض وأطعموا الجائع، وفكوا العاني"حيث أمر ﷺ بعيادة المريض وإطعام الجائع وفك الأسير، والأمر من الأساليب

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥١٩/٩ .

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٥/٥ ومراجعها: رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٨٣/٥ ط/ بولاق، والمبسوط، السرخسي ٢٦، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٢٤٢/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٨٠/٩، وقليوبي وعميرة ٩٦/٣، ٩٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٧/٦ . وانظر للمزيد من التفصيل: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠٣/٤، ٢١٤-٢١٥ ومراجعها ومصادرها.

الدعوية التي تعين الداعية على توجيه وإرشاد المدعو إلى فعل الأمر المدعو إليه، لما في ذلك الأمر من الخير والفائدة التي تعود على المدعو والمجتمع.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على عيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني:

على المؤمن أن يرعى حق أخيه بزيارته في مرضه، وإطعامه إذا جاع، والعمل على فكه من الأسر، وهذا ما يقتضيه الحث على البر والتعاون على التقوى، وتدعيم أخوة المسلمين[١]. وهذا يستفاد مما ورد في الحديث من حثه ﷺ على عيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني، تأكيداً لقوله ﷺ: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))[٢]. وقوله: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[٣]. أي: (دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في ذلك)[٤].

فعيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني من حقوق المسلم على المسلم، وقد حث النبي ﷺ على ذلك، فقال في عيادة المريض: ((إن من عاد مريضاً خاض في الرحمة، حتى إذا قعد استقر فيها))[٥]. وقال: ((من أتى أخاه المسلم عائداً، مشى في خرافة الجنة حتى يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة، فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى، وإن كان مساءً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح))[٦].

أما إطعام الطعام، (فقد بين النبي ﷺ أنه من أفضل خصال المسلمين المتعدية النفع إلى الغير)[٧]، (فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٩٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٨٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٤٥.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ٥٢٢، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٤٠٧).

(٦) أخرجه ابن ماجه ١٤٤٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١١٨٣).

(٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٢٢/١.

الإسلام خير؟ قال: "تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)[١].

قال القرطبي: (وجمع له بين الإطعام والإفشاء لاجتماعهما في استلزام المحبة الدينية، والألفة الإسلامية)[٢].

وقد بين الحق تبارك وتعالى عظم فضل إطعام الطعام وفك العاني، فقال في سورة البلد: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[٣]، قال ابن كثير: و"العقبة قيل هى جبل في جهنم"[٤].

وقد أخبر تعالى عن كيفية اقتحامها فقال "فك رقبة"، قال السعدي: (أى: فكها من الرق، بعتقها أو مساعدتها على أداء كتابها، ومن باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار، أو إطعام في يوم ذي مسغبة" أى مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة، أشد الناس حاجة، "يتيماً ذا مقربة" أى جامعاً بين كونه يتيماً، وفقيراً ذا قرابة، أو مسكيناً ذا متربة،" أى: قد لزق بالتراب من الحاجة والضرورة)[٥].

فينبغي على المسلم أن يحرص على عيادة المريض، وإطعام الجائع، وفك الأسير، لما لهذه الأشياء من أجر عظيم، وأثر جليل، في تحقيق المودة والألفة بين المسلمين.

ثالثاً- من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ في عيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني:

قد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم ٣٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٢٢/١.

(٣) سورة البلد، الآيات: ١١ - ١٦ .

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/ ٤٠٥.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٥٥.

إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[١]، قال السعدي: (يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي: الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه، والنهى عنه، ثم حذر من عدم الاستجابة لله وللرسول فقال: "واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه" فإياكم أن تردوا أمر الله، أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه)[٢]، فعلى المدعو أن يستجيب لأمر الله وأمر رسوله ﷺ في عيادة المريض، وإطعام الجائع، وفك العاني، لما في ذلك من عظيم الأجر والفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٠.

الحديث رقم (٨٩٩)

٨٩٩- وعن ثوبان رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قَالَ: ((إنَّ المُسْلِمَ إذَا عَادَ أخَاهُ المُسْلِمَ، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ)).

قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: ((جَنَاهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ثوبان بن بُجْدُدٍ: تقدمت ترجمته في الحديث (١٠٧).

غريب الألفاظ:

جناها: كل ما يجتنى من الثمر[2].

الشرح الأدبي

معنى الحديث يدور حول الترغيب في زيارة المريض يتقدمه من التوكيد ما يكفل له قسطا مناسباً من العناية، والاهتمام ثم جاء أسلوب الشرط الذي يربط عيادة المسلم أخيه بالكون في خرفة الجنة أي ثمارها، وهو أسلوب ترغيب يأخذ الإنسان الحريص على الخير من جانب ما يحب، والتعبير بلم يزل يفيد الاستمرارية، والتعبير بخرفة الجنة يستحضر في عقل المخاطب لحظة جمع الثمار ينتقي أطيبها، وإضافتها للجنة تعطيها بعداً إيحائياً لمدد لا ينقطع، وثمر لا يعطب، ولا تشوبه شائبة، وقوله حتى يرجع بيان للغاية، يدفعه إلى البقاء أطول فترة ممكنة، لأنه يعلم أنه بها في الجنة.

---

(١) برقم ٢٥٦٨/٤١ بدون الشطر الأخير، وأما الشطر الأخير فبرقم ٢٥٦٨/٤٢. أورده المنذري في ترغيبه ٥٠٩٠.
تنبيه: جمع المنذري بين لفظي الحديث في حديث واحد، وتبعه عليه المؤلف.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٧٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على زيارة المريض وثواب ذلك.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعاً: من واجبات الداعية: البيان والإيضاح لأهمية مواساة المسلم وعيادته.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

التوكيد من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على بيان أهمية وتأكيد الأمر المدعو إليه، وهذا ما ورد في الحديث من تأكيده ﷺ على عظم فضل وأجر من عاد مريضاً بأنه لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على زيارة المريض وثواب ذلك:

قد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ: "إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة".

قال القاضي عياض: (وعيادة المريض من الطاعات المرغب فيها، العظيمة الأجر. وقد جاء فيها هذا الحديث وغيره. وقد يكون من فروض الكفاية، لاسيما المرضى من الغرباء ومن لا قائم عليهم ولا كافل لهم، فلو تركت عيادتهم لهلكوا، وماتوا ضراً وعطشاً وجوعاً، فعيادتهم تطلع على أحوالهم ويتذرع بها إلى معونتهم، وإعانتهم، وهي كإغاثة الملهوف، وإنجاء الهالك، وتخليص الغريق. من حضرها لزمته، فمتى لم يعادوا لم يعلم حالهم في ذلك.

ولفظة "العيادة" تقتضي التكرار والعود والرجوع إليه مرة بعد أخرى لافتقاد حاله. والعودة: الرجوع، ومنه: العود أحمد. وجاء: عوداً بعد بدء، أي رجع. ويقال: عدت المريض عوداً وعيادة، والياء عندهم منقلبة عن واو)[١].

وقوله ﷺ "لم يزل في خرفة الجنة"، قال القاضي: قال الإمام: قال أبو عبيد: قال

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣٧/٨.

الأصمعي: واحد المخارف مخرف. وهو جناء النخل، سمي بذلك لأنه يخترف، أي يجني. قال شمر: المخرفة: سكة بين صفين من نخل يخترف من أيهما شاء. وقال غيره: المخرفة: الطريق، فمعنى الحديث: أنه على طريق تؤديه إلى الجنة، أ.هـ.

وقال القاضي: وقد قيل: المخرف: البستان الذي فيه الفاكهة تخترف. وقيل: القطعة من النخل. وقال الخطابي: المخرف بالفتح: الفاكهة نفسها. والمخرف بالكسر: وعاء يجمع فيه ذلك. ومنهم من يفتح الميم فيجله كالمسجد، والمسجد لموضع السجود ومنهم من يكسرها فيجعله كالمربد)[1].

وقال النووي: (أي: يؤول به ذلك إلى الجنة واجتناء ثمارها) [2]، وقال ابن عثيمين: (أي أنه يجني من ثمار الجنة مدة دوامه جالساً عند هذا المريض...)[3]، وقال ابن علان: (قال التوربشتي: المعنى أنه بسعيه إلى عيادة المريض يستوجب الجنة ومخارفها، والعيادة لما كانت مفضية إلى مخارف الجنة سميت بها) [4]، وبين ابن الأثير أن: ("المخارف" جمع مخرف بالفتح وهو الحائط من النخل؛ أى: أن العائد فيها يحوز من الثواب كأنه على نخل الجنة يخترف ثمارها، وقيل: المخارف جمع: مخرفة، وهى سكة بين صفين من نخل تخترف من أيهما يشاء؛ أى: يجتني، وقيل: المخرفة الطريق؛ أى أنه على طريق تؤديه إلى طريق الجنة)[5].

(ومعنى هذا الحديث، أن عائد المريض بما يناله من أجر العيادة وثوابها الموصل إلى الجنة كأنه يجتني ثمرات الجنة، أوكأنه في مخرف الجنة، أي: في طريقها الموصل إلى الاختراف. وسُمي الخريفُ بذلك؛ لأنه فصل تخترف فيه الثمار)[6].

---

(١) المرجع السابق ٣٧/٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٩

(٣) شرح رياض الصالحين ٢ /١١٧٣.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١١٩.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٦٠.

(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٥٠/٦.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

وورد الترغيب في الحديث من قوله ﷺ: "لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع"، "ومما لا شك فيه أن أنواع الطاعات كثيرة جداً، والعبد يحتاج دائماً إلى ما يدفعه للقيام بها على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة، وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها، ودوره في الترغيب في هذه الأنواع"[1]، "فالترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه"[2].

"ومما لا شك فيه أن لكل أجير أجره، ولكل عامل أجره على عمله، ورب العزة والجلال أعطي عباده العمال الأجر العظيم على إيمانهم واستقامتهم على طاعته والتزامهم بمنهجه ﷺ"[3]، فقال عز وجل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[4]، وبناء على ذلك فقد كان الترغيب هو الأسلوب النبوي في الحث على عيادة المريض، والترغيب في ذلك، بذكر أن العائد للمريض يكون في خرفة الجنة يجني من ثمارها حتى يرجع.

رابعاً- من آداب الداعي: البيان والإيضاح لأهمية مواساة المسلم وعيادته:

"لقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغاً"[5]، فقال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[6]، قال السعدي: "وهذا الميثاق أخذه الله تعالى، على كل من أعطاه الله الكتاب، وعلمه العلم

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان الهجاري، ٥١٣.

(٢) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان الهجاري، ٥١١.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٧ .

(٥) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٦.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك ويبخل عليهم به، خصوصاً إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال، أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل[1]. فعلى الداعية أن يمتثل لقول الله تعالى في ذلك ويبين أهمية مواساة المسلم وعيادته.

وقد بين ابن القيم أن لمواساة المؤمنين أنواعًا: (منها: "مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم.

وعلى قدر الإيمان تكن هذه المواساة؛ فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت. وكان رسول الله ﷺ أعظم مواساة لأصحابه بذلك كله، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له.

ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تجرد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم وليس لي ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم في بردهم)[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٧.

(٢) الفوائد ٢٤٦ - ٢٤٧.

الحديث رقم (٩٠٠)

٩٠٠- وعن عليّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِماً غُدْوَة إلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِي، وَإنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

"الخَرِيفُ": الثَّمر المَخْرُوفُ، أي: المُجْتَنى.

ترجمة الراوي:

عليّ بن ابي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

غدوة: الغدوة هي ما بين الفجر وطلوع الشمس. والظاهر أن المراد به أول النهار وما قبل الزوال[2].

عشية: من زوال الشمس إلى المغرب، أو من صلاة المغرب إلى العتمة[3].

الخريف: الثمر المخروف، أي: المجتنى[4].

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على أسلوب القصر لمن عاد مسلماً غدوة على صلاة سبعين ألف ملك عليه، وكذلك يقصر من عاد مسلماً عشية على صلاة سبعين ألف ملك له حتى يصبح، وهذا القصر مع إثباته هذا المعنى، فإنه ينفي عنه ضده، وهو الحرمان من استغفار هذا

---

(١) برقم ٢٠٩٨ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٢٩٥٨، وقال الحاكم ٣٤١/١: هذا حديث إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٥٠٩٢.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ د و)، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٦١/١.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ش ي)، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٦١/١.

(٤) رياض الصالحين ٣٥٧.

العدد من الملائكة له، ومعنى صلاة الملائكة استغفارهم للعبد، والتعبير عن الاستغفار بالصلاة، لأن التعبير بالصلاة مع دلالته على الاستغفار يستصحب معنى الصلة، والدعاء، والطهر، وفي الحديث طباق بين غدوة، وعشية، وبين يصبح، ويمسي يؤكد الفترة الزمنية التي يظل فيها هذا العدد من الملائكة يستغفرون له، وإن كان الله تعالى قد جعل كل هذا العدد يستغفر على هذا العبد ألا يستجيب لهم، وهل جعلهم يستغفرون لكي لا يغفر، المعنى دليل على عظمة فضل الله، ورحمته على عباده، لأنه رحم المريض بجمع إخوانه من حوله، يخففون عنه، ورحم إخوانه بما أعد لهم من مغفرة، ورحمة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على عيادة المريض والمداومة عليها.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الثواب العظيم المترتب على عيادة المريض.

ثالثاً: من مهام الداعية: ترغيب المدعوين في عيادة المريض وبيان فضل ذلك.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على عيادة المريض والمداومة عليها:

(العيادة: لغة: الزيارة، وكل من أتاك مرة بعد أخرى فهو عائد، وقد اشتهرت العيادة في زيارة المريض حتى صارت كأنها مختصة به)[1]، وقد حث النبي ﷺ عليها، وهذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى ...إلخ".

قال المباركفوري: في قوله ﷺ: "إن ما من مسلم يعود مريضاً غدوة" أى: ما بين صلاة الغدوة وطلوع الشمس ...، والظاهر أن المراد به أول النهار وما قبل الزوال. "إلا صلى عليه" أى دعا له بالمغفرة سبعون ألف ملك، "حتى يمسى" من الإمساء (وإن عاد عشية) أى: ما بعد الزوال أو أول الليل ...، (وكان له) "أى للعائد (خريف) أى بستان وهو في الأصل الثمر المجتني أو مخروف من ثمر الجنة"[2]، وفي ذلك حث من النبي ﷺ للمسلمين على عيادة المريض والمداومة عليها وقد كان رسول الله ﷺ يحث على

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ١٠٦.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٦١/١.

عيادة المريض، وكان ﷺ يعود من مرض من أصحابه، وعاد غلامًا كان يخدمه من أهل الكتاب[١]، وعاد عمه وهو مشرك[٢]. وعرض عليهما الإسلام، فأسلم اليهودي، ولم يسلم عمه.

وكان يدنو من المريض، ويجلس عند رأسه، ويسأله عن حاله، فيقول كيف تجدُك؟[٣].

وكان يمسح بيده اليمنى على المريض، ويقول: ((اللهم رب الناس، أذهب البأس، واشفه أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا))[٤] وكان يدعو للمريض ثلاثًا كما قاله لسعد: ((اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا))[٥]. وكان إذا دخل على المريض يقول له: ((لا بأس طهور إن شاء الله))[٦].

وكان يرقي من به قرحة، أو جرح أو شكوى، ولم يكن يخص ﷺ يومًا من الأيام بعيادة المريض، ولا وقتًا من الأوقات، بل شرع لأمته عيادة المريض ليلاً ونهارًا، وفي سائر الأوقات كما في الحديث الذي معنا: "ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة... وإن عاده عشية... إلخ[٧].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الثواب العظيم المترتب على عيادة المريض:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "إلا صلى عليه سبعون ألف ملك" وأيضاً في قوله ﷺ: "وكان له خريف في الجنة"، فهذا ثواب عظيم إذا يصلي عليه سبعون ألف ملك، ويظل يجني من ثمار الجنة. وقد بين النبي ﷺ عظم فضل عيادة المريض،

---

(١) انظر: ما أخرجه البخاري ١٣٥٦.

(٢) انظر: ما أخرجه البخاري مطولاً ١٣٦٠، ومسلم ٢٤.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤٢٦١، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٣٦).

(٤) أخرجه البخاري ٥٦٧٥، ومسلم ٢١٩١.

(٥) أخرجه البخاري ٥٦٥٩، ومسلم واللفظ له ١٦٢٨.

(٦) أخرجه البخاري ٣٦١٦.

(٧) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٤٩٤-٤٩٧.

فقال: "من عاد مريضاً نادى منادٍ من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً"[١]، قال الطيبي: "في قوله ﷺ: "طبت"، "وأصل الطيب ما يستلذه الحواس، وما تستلذه النفس. والطيب من الإنسان من تزكى عن نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال، وتحلى بالعلم والإيمان ومحاسن الأفعال. أقول: قوله: "طبت" دعاء له بأن تطيب عيشه في الدنيا. "وطاب ممشاك" كناية عن سيره وسلوكه طريق الآخرة بالتعري من رذائل الأخلاق، والتحلي بمحاسن الأفعال ومكارمها "وتبوأت" دعاء بطيب العيش في الآخرة"[٢]، وفي ذلك بيان على عظم فضل وأجر عيادة المريض.

ثالثاً- من آداب الداعي: ترغيب المدعوين في عيادة المريض وبيان فضل ذلك:

فعلى الداعية أن يرغب المدعوين في فعل كل ما يحصل لهم به الخير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك الخير العظيم، عيادة المريض لما فيه من أجر عظيم وخير عميم في الدنيا والآخرة، فقد قال رسول الله ﷺ: "أيما رجل يعود مريضاً فإنما يخوض في الرحمة، فإذا قعد عند المريض غمرته الرحمة"[٣]، قال الطيبي: "يخوض في الرحمة" شبه الرحمة بالماء إما في الطهارة، أو في الشيوع والشمول"[٤]، "هذا فضلاً عن أن عيادة المريض تذكرة ومحبة ومنفعة، فهي تذكر الإنسان بنعم الله تعالى، وتعرفه قيمة الصحة التي يتمتع بها، فينطق بشكر مسديها، وهي تزرع المحبة بين المريض وعواده، بل بينهم وبين قرابته، وهى نافعة للمريض تروح عنه وتسليه، وربما وصف العائد دواء ذهب بالداء؛ أو أرشد إلى طبيب ماهر"[٥]، فعلى الداعية أن يرغب المدعوين في عيادة المريض، وأن يبين لهم فضل وثواب ذلك عند الله تعالى.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٠٠٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٣).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣/٢١٥ - ٢١٦.

(٣) أخرجه أحمد ٣/١٧٤ رقم ١٢٧٨٢، قال محققو المسند حديث صحيح لغيره ٢٠/١٧٩-١٨٠.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣/٢١٧.

(٥) الأدب النبوي، محمد الخولي، ١٠٧.

الحديث رقم (٩٠١)

٩٠١- وعن أنسٍ ﷺ، قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأسِهِ، فَقَالَ لَهُ: ((أَسْلِمْ)) فَنَظَرَ إِلَى أبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ؟ فَقَالَ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ يَقُولُ: ((**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الرسول المعلم ﷺ يعلمنا معالي الأخلاق بالفعل قبل القول كما تبين قصة هذا الحديث حيث قصد بالزيارة غلاماً وأي غلام؟!، غلام يخدمه، وأي خادم؟! خادم يهودي، وهو خير خلق الله، وهل صار خير خلق الله إلا بهذا القلب الكبير الذي وهبه الله- تعالى- إياه فوسع الناس جميعاً؟!، وتأمل البناء التركيبي للحديث الذي ينبيء بعظيم أخلاق النبي ﷺ حيث أنبأت فاء العطف بسرعة التحرك لزيارته في قوله: (فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ)، ثم قوله: (فَقَعَدَ عِنْدَ رَأسِهِ) الذي يدل على التقريب والرحمة به ثم دعوته إلى الإسلام التي تدل على منتهى الرحمة، ومن يستشعر عظمة رحمة الرسول ﷺ يشعر أنه كان يدعوه إلى الإسلام بلسانه، وقلبه يدعو الله تبارك وتعالى أن يهديه إلى الإسلام، ونظرة الولد إلى أبيه كناية عن استئذانه، فألان الله قلب والده، فقال له أطع أبا القاسم فلما أسلم خرج رسول ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: ((الحَمْدُ للهِ الَّذِي أنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ) وهو يؤكد ما سبقت الإشارة إليه من رحمة الرسول به ورغبته في إسلامه.

---

(١) برقم ١٣٥٦.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (وفي الحديث:

١- جواز استخدام المشرك.

٢- عيادة المشرك إذا مرض[١].

٣- وعرض الإسلام على الصبي ولولا صحته ما عرضه عليه)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: اليهود.

ثانياً: من صفات الداعية: التواضع والتواصل مع المدعوين وعيادتهم.

ثالثاً: من واجبات الداعية: الحرص على هداية الناس.

أولاً- من أصناف المدعوين: اليهود:

ووردت الإشارة إلى ذلك في دعوته ﷺ لغلام يهودي كان يخدمه ﷺ، "واليهود من أهل الكتاب: هم الذين لم يؤمنوا برسول الله ﷺ وسموا أهل الكتاب لانتسابهم إلى كتبهم السابقة"[٣]، "وقد أشار القرآن الكريم إلى كيفية دعوة أهل الكتاب لتكون المجادلة بالحسنى وبالقول اللين الجميل، لأنه أقرب طريق إلى قبولهم للحق كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[٤]"[٥].

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٧٥/٥، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٨٦/٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٢١/٣ .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة، د.محمد أبو الفتوح البيانوني، ١٧٩.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٤٦ .

(٥) الدعوة، د. حمد العمار، ١٧٨.

وقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(١).

قال ابن كثير: (يقول تعالى آمراً رسوله محمد ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله "بالحكمة")(٢)، والدعوة بالحكمة (هي إصابة الحق بالعلم والعقل)(٣)، وهي منحة الله لأنبيائه، ولمن يشاء من خلقه، قال تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(٥).

(وكما أن الحكمة تعني وضع الشيء في موضعه، فهي أيضاً تعني العقل والوعي وتقدير الموقف، ثم التفاعل مع الحدث تفاعلاً مثمراً لا يخرج عن نهج الحق الصواب، الذي اتضحت معالمه بنور القرآن وسير الأنبياء، والحكمة ليست هي اللين والضعف كما يظن البعض، بل هي أكبر من ذلك، والحكمة إذا أفردت بالذكر، دخلت فيها الموعظة الحسنة، والمجادلة بالحسنى، والمجادلة بغير الحسنى لمن يستحق ذلك)(٦).

(ولما كان الناس مختلفين في طبائعهم ومدركاتهم، في العلم والذكاء، وفي الأمزجة والمشاعر، وفي الميول والاتجاهات)(٧)، (فقد سلك النبي ﷺ: "الطرق الكفيلة معهم لنجاح دعوته، فأورد لكل مقام مقالاً يليق به، وخاطب كل طبقة بما يناسبها)(٨). فعلى الداعية أن ينتهج نهجه ﷺ في دعوته لغير المسلمين، بما في ذلك من الدعوة بمكارم الأخلاق.

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٦١١٢/٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ص ١٢٦.

(٤) سورة النساء، آية: ٥٤ .

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٦٩ .

(٦) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، د. زيد بن عبدالكريم الزيدص ٣٨.

(٧) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله اللحيدان، ٢٣٢.

(٨) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ٣١.

ثانياً- من صفات الداعية: التواضع والتواصل مع المدعوين وعيادتهم:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قول أنس ﵁: "فأتاه النبي ﷺ يعوده"، فمن أهم صفات الداعية التي يستطيع من خلالها أن يصل بدعوته إلى المدعوين هي صفة التواضع، وقد أمر الحق تبارك وتعالى نبيه ﷺ بذلك فقال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]، وقال ﷺ: "إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد"[2]، "وكان أبو بكر ﵁ "إذا مُدح قال: "اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون"[3]، فعلى الداعية أن يجعل التواضع صفة لازمة له.

(أما حسن اتصال الداعية بالمدعوين فبه يكون نجاح الداعية في تحقيق أهدافه، ونشر رسالته، فالدعوة إلى الله تعالى تفاعل تبادلي بين الداعية والمدعوين)[4]، ومن حسن الاتصال بين الداعية والمدعو، حرص الداعية على عيادة المرضى من المدعوين لما في ذلك من تقوية لأواصر المحبة، وحدوث الألفة، مما يساعد الداعية على تبليغ ونشر دعوته للمدعوين، فإن عيادة المريض أمر له فائدة عظيمة، وإن كان غير مسلم، وهي دعوته للإسلام وتذكيره بالله تعالى، وإيناسه بما يخفف ألمه ويذهب أوجاعه ... وعلى الداعية الطمع في هداية العاصين وعدم اليأس منهم[5].

قال ابن عثيمين: (وعلى ذلك فإذا مرض إنسان كافر فلك أن تعوده إذا رجوت في عيادته خيرًا، بأن تعرض عليه الإسلام لعله يُسلم، فهؤلاء العمال الذين عندنا الآن من الكفار - وهم كثيرون- لا ينبغي أن نتركهم هكذا، وأن نجعلهم في منزلة البهائم

(١) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٣٥.

(٤) المنتدى في البناء الدعوي، أحمد عبدالرحمن الصويان.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم ص ٤٩٩.

يعملون لنا دون أن ندلهم على الحق، فهم لهم حق علينا واجب أن ندعهم للإسلام، ونبين لهم الحق، ونرغبهم فيه، حتى يسلموا، أما أن يكون عندنا هذا العدد الهائل من النصارى والبوذيين وغيرهم، ثم لا نجد من يُسلم منهم إلا واحدًا بعد واحدٍ بعد عدة أيام؛ فهو دليل على ضعف الدعوة عندنا، وأننا لم نحاول أن ندعوهم للإسلام، وهذا -لا شك- تقصير منَّا، وإلا فإن العامل جاء يتكفف الناس في الواقع يريد لقمة العيش، فليس عنده دافع الاستكبار، فلو أننا دعوناه باللين ورغبناه لحصَّلنا خيرًا كثيرًا، واهتدى على أيدينا أناس كثيرون، ولكننا في غفلة عن هذه الدعوة إلى الحق، والذي ينبغي لنا أن ننتهز الفرص في هذه الأمور[1].

ثالثاً- من واجبات الداعية: الحرص على هداية الناس:

إن مما يستفاد من الحديث حرصه ﷺ على دعوة الغلام اليهودي إلى الإسلام قبل موته، ويظهر ذلك من قول الراوي "فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: "أسلم" ...، فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول "الحمد لله الذي أنقذه من النار"، وليس أدل على حرصه ﷺ على هداية الناس من قوله ﷺ: "مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، قال فذلكم مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني تقحمون فيها"[2].

وفي بيان ذلك قال ابن حجر: "قوله ﷺ: "مثلي" أى في دعائي الناس إلى الإسلام المنقذ لهم من النار، ومثل ما تزين لهم أنفسهم من التمادي على الباطل (كمثل رجل... إلخ)[3].

وقال النووي: "مقصود الحديث أنه ﷺ شبه المخالفين له بالفراش، وتساقطهم في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا، مع حرصهم على الوقوع في ذلك ومنعه

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١١٧٥.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٢٦، ومسلم ٢٢٨٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٥٣٤ - ٥٣٥.

إياهم"[١]، وفي ذلك بيان على حرصه ﷺ على هداية الناس واجتهاده ﷺ في ذلك، فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في حرصه على هداية الناس من الضلال، وأن يكون طالباً للأجر في ذلك من الله، وقد بين ﷺ عظم الأجر في ذلك فقال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً"[٢].

وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[٣].

قال النووي: في قوله ﷺ: (حمر النعم هي: الإبل الحمر وهي: أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه)[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٣) أخرجه مسلم٢٤٠٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أهداف التربية الإسلامية: دعم العلاقات الإنسانية الطيبة:

جاءت أحاديث الباب داعية إلى إيجاد العلاقات الطيبة بين فئات المجتمع، ودعمها بما يضمن بقاءها واستمرارها، كالقيام بالواجبات الاجتماعية، كعيادة المريض واتباع الجنائز ونصر المظلوم ونحوها، كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: "أمَرَنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وإبرار المقسم ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإفشاء السلام".

وإذا كانت مثل هذه الأعمال الطيبة مرغب بها في جميع أوساط وشرائح المجتمع فمن أولى الشرائح بالالتزام بها العاملون في المجال التربوي والتعليمي، وذلك ارتكازاً على: "أن المعلم والتعليم من الأعمال الاجتماعية الخاصة بالبشر، ولذا تستهدف التربية الإسلامية دعم العلاقات الإنسانية الطيبة بين القوى البشرية المؤثرة في العمل التربوي لما لها من عائد تربوي مثمر"[(١)].

"إن من حق أي مسلم في المجتمع الإسلامي -خاصة القائمين على التربية- أن يشعر بأن أخاه المسلم ظَهْر له في السراء والضراء، وأن قوته لا تتحرك في الحياة وحدها، بل إن قوى إخوانه تساندها وتشد أزرها، ومن ثَمَّ كانت الأخوة الخالصة نعمة مضاعفة لا نعمة التجانس الروحي فحسب، بل نعمة التعاون المادي والحسي كذلك"[(٢)]، فإن المجتمع الإسلامي كلُحْمَة واحدة وجسد واحد، كما يصور لنا ذلك حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «تَرَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَىٰ لَه سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ»[(٣)].

ثانياً- التفاعل والمشاركة الاجتماعية:

إن من الأهداف الرئيسة للتربية الإسلامية إيجاد التفاعل والمشاركة الاجتماعية، وقيام كل فرد من أفراد الجماعة بمسؤولياته الاجتماعية.

---

(١) انظر: في الفكر التربوي الإسلامي، د. لطفي بركات أحمد، ص١٧٢، ١٧٣.

(٢) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي، ص١٨٤.

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦.

وقد جاء في أحاديث الباب التوجيه إلى عدة أمور تدعم المحبة والإخاء وترفع لواء التكافل الاجتماعي منها عيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإبرار المقسم بتحقيق المحلوف عليه شريطة ألا يكون فيه معصية ولا يؤدي إلى شر ولا معصية، وإعانة المظلوم وإجابة الداعي، وإفشاء السلام، وإطعام الجائع، وفكاك الأسير، وغير ذلك من أعمال البر.

"إن الإسلام دين شامل ينتظم علاقات المجتمع كلها ويهتم بارتقائها إلى أعلى مستوى من العمل الرفيع والتعاون البديع"[(١)]، وما جاء في أحاديث الباب من الدعوة إلى الإتيان بأفعال الخير سواء كانت مادية، كإطعام الجائع وفك الأسير أو معنوية، كعيادة المريض وإفشاء السلام ونحوهما يدل على "مسئولية المسلم الاجتماعية تجاه المجتمع وأفراده، وهذا كفيل ببناء مجتمع تقوم علاقات أفراده على التكافل والتعاون والحب والمودة والتآلف والرحمة"[(٢)].

إن أحد أهم أهداف التربية الإسلامية هو إقرار التكافل الاجتماعي وتفعيله بين أفراد المجتمع، إذ أن التكافل الاجتماعي هو قاعدة المجتمع الإسلامي، وهو "نتاج المساواة والإخاء المستمدين من الإسلام وتصوراته للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الإسلامي، ومعنى التكافل الاجتماعي أن يتساند المجتمع أفراده وجماعاته بحيث لا تطغى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، ولا تذوب مصلحة الفرد في مصلحة الجماعة، وإنما يبقى للفرد كيانه وإبداعه ومميزاته وللجماعة هيبتها وسيطرتها فتعيش الأفراد في كفالة الجماعة متلاقية مع مصالح الآحاد ودفع الضرر عنهم"[(٣)].

ثالثاً- من القيم التربوية لأعمال البر والخير:

لقد جاءت أحاديث الباب آمرة بكثير من ضروب فعل الخير والبر كإطعام الطعام وفك العاني ونصر المظلوم وإبرار المقسم وعيادة المريض، وغير ذلك من أعمال الخير التي تشيع روح الإخاء والمحبة، وتربط بين المسلمين بروابط هي أشد وأوثق من روابط الدم

---

(١) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٢٤٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٢٥٠.

(٣) انظر: المجتمع المتكافل في الإسلام، عبدالعزيز خياط، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٧٢م، ص٧٢.

والنسب، وهذه الأعمال تحمل قيماً تربوية تتمثل فيما يلي:

أ-نمو شخصية القادر الغني وكيانه المعنوي، فمثلاً قال الله عن الزكاة وإعانة الفقراء والمساكين: ﴿ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[1]. فَعَطْفُ التزكية على التطهير قد يفيد هذا المعنى، فالطهارة نمو وسمو وارتقاء بكيان الغني وارتقاء لشخصيته إلى الفضيلة، وبعداً عن الرذيلة، ويدرك الغني أنه شخص له قيمة وهو مسئول عن إخوانه من المسلمين فتنشأ رابطة الحب فيحتاج الفقير إلى الغني، ويحتاج الغني إلى الفقير لأن الفقير يكون سبباً في فلاح وصلاح وارتقاء وسمو شخصية الغني وكيانه في الدنيا والآخرة[2].

ب-إن أعمال الخير والتي ورد منها في أحاديث الباب من إطعام الجائع وفك العاني ونصرة المظلوم وإبرار المقسم ونحوها وسيلة من وسائل الضمان والتكافل الاجتماعي الذي جاء به الإسلام.

"إن الإسلام يأبى أن يوجد في مجتمعه من لا يجد القوت الذي يكفيه والثوب الذي يزينه ويواريه والسكن الذي يؤويه، فهذه ضروريات يجب أن تتوافر لكل من يعيش في ظل الإسلام، والمسلم مطالب بأن يحقق هذه الضروريات، وما فوقها من جهده وكسبه فإن لم يستطع فالمجتمع يكفله ويضمنه ولا يدعه فريسة الجوع والعرى والمسكنة، فهكذا علَّم الإسلام المسلمين أن يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى"[3].

إن البر -والقيام بمفرداته من نشر الخير وإسعاف المحتاج وغير ذلك- يُعد قيمة خلقية عظيمة من أكثر القيم الإسلامية جمعاً للخير ووجوه الإحسان، وهو منتهى طريق الخصال الحميدة وجامع لخيري الدنيا والآخرة، وهو كذلك وصف الله به تعالى أهل الخير فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾[4]، ولهذا حث عليه ديننا الحنيف وشجع

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٢) انظر: جوانب تربوية في الفقه الإسلامي، د. مصطفى رجب، ص٢١٥.

(٣) انظر: العبادات في الإسلام، د. يوسف القرضاوي ص٢٧٦.

(٤) سورة الانفطار، آية: ١٣.

الناس على تطبيقه في واقع حياتهم، وقد كان من ثمرات ذلك انتشار جمعياته ومؤسساته ورجاله، سواء في العمل الخيري الإغاثي أو في تقديم يد العون والمساعدة بأوسع معانيها، ولذلك عاش المسلمون في ظل الإسلام يكفل بعضهم بعضاً، وانتشر الخير والبر والإحسان في كافة المجتمعات الإسلامية، بل تعدى هذا الخير والبر إلى غير المسلمين، فهي بحق من أَجَلِّ وأعظم القيم، والتي يحق للمسلم أن يفخر بها لأنها أثمرت ثماراً عظيمة وصارت من محاسن هذا الدين العظيم"[1].

رابعًا: من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب أساليب تربوية، يستفاد منها تربويًا وتعليميًا من ذلك:

أ-التلقين والنصيحة: كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وإبرار المقسم ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإفشاء السلام".

ويمكن للمعلم أن يستخدم التلقين مع المتعلمين الكبار من أجل توضيح بعض الحقائق والمفاهيم المختلفة.

ب-الترغيب: كما في حديث علي رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلَّى عليه سبعون ألف ملك حتى يُمسي، وإن عاده عشية إلا صلَّى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة" والترغيب يستخدمه المعلم لجذب المتعلمين لفعل الخير والمسارعة إليه.

ج-الحوار والمناقشة: كما في حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خُرفة الجنة حتى يرجع، قيل: يا رسول الله وما خُرفة الجنة؟ قال: جناها".

ومما لا شك فيه أن الحوار والمناقشة من الأساليب التي تفعل دور المتعلم وتجعله إيجابيًا ومشاركًا في العملية التعليمية.

د-الممارسة العملية: كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم

---

(١) القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع، ص٤٥.

النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: "أسلم" الحديث.

والممارسة العملية تتميز بشدة بقاء أثر التعليم في نفوس المتعلمين.



١٤٥- باب مَا يُدعى به للمريض

الحديث رقم (٩٠٢)

٩٠٢- عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، كَانَ إذَا اشْتَكى الإنْسَانُ الشَّيْءَ مِنهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ بأُصبُعِهِ هكَذا – وَوَضَعَ سُفْيَانُ (بْنُ عُيَيْنَة الرَّاويُّ)[1] سَبَّابَتَهُ بالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا – وقال: ((بِسمِ اللهِ، تُرْبَةُ أرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإذْنِ رَبِّنَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

القرحة: البَثْرةُ (الرُّمّلُ) إذا دبَّ بها الفساد[3].

قال النبي ﷺ بأصبعه هكذا: فيه إطلاق القول على الفعل[4].

بريقة: أقلّ من الريق وهو اللعاب[5].

سقيمنا: مريضنا[6].

الشرح الأدبي

قوله: (كَانَ إذَا اشْتَكى الإنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ) كناية عن العضو المصاب بالمرض، والتعبير ب (اشتكى) يدل على اشتداد المرض، وإشارة النبي بأُصْبُعِهِ التي حكاها الراوي بقوله (وضع سَبَّابَتَهُ بالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا) تدل على اجتماع الفعل مع القول في هذه

---

(١) هذه الزيادة من النووي.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٤٥، ومسلم واللفظ له ٢١٩٤/٥٤.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ر ح).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٠.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ر ق)، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٧٣.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ق م).

الرقية، والتضاد بين وضع، ورفع يصور أصبع الرسول ﷺ منخفضاً إلى الأرض ثم مرتفعاً والإشارة تعين على فهم المعنى، وثباته لارتباطه بحدث فعلي، ، وقول الرسول ﷺ (بِسمِ اللهِ، تُرْبَةُ أرْضِنَا، برِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بإذْنِ رَبِّنَا) واتصال الأسماء في العبارة ب (نا) الجمع يشير روح الجماعة المسلمة التي تحيط بالمريض حتى تخفف عنه كما أن الجمع في الدعاء مستحب، وفي العبارة سجع بين الجمل الأربع الأخيرة أعطى العبارة عذوبة، وجمالاً، مع تسهيل الحفظ، وسرعة الانتشار.

فقه الحديث

١-استحباب الدعاء للمريض:

قال النووي في المجموع: (يستحب للعائد إذا طمع في حياة المريض أن يدعو له، سواء رجا حياته أو كانت محتملة، وجاء في الدعاء للمريض أحاديث كثيرة جمعتها في كتاب الأذكار)[١].

قلت: وهذه الأحاديث هي أحاديث الباب.

٢-جواز الرقى:

قال النووي: (معنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة، ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء، فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل، ويقول هذا الكلام في حال المسح، والله أعلم)[٢].

قال ابن حجر: (قال القرطبي: فيه دلالة على جواز الرقى من كل الآلام، وأن ذلك كان أمرًا فاشيًا معلومًا بينهم، قال: ووضع النبي ﷺ سبابته بالأرض ووضعها عليه يدل على استحباب ذلك عند الرقية)[٣].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٧٥/٥ . وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٥٩-١٦٢، وانظر: كذلك: المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٦١/٣-٣٦٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧٩/٣١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٣/١٤/٧ .

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٨/١٠، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٧٩/٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في رقية القرحة والجرح ونحوه والاقتداء به في ذلك.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان أن الشفاء بإذن الله تعالى.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في رقية القرحة والجرح ونحوه والاقتداء به في ذلك:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قول عائشة رضي الله عنها "إن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي ﷺ بأصبعه هكذا... إلخ". قال ابن القيم: (ومعنى الحديث: أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة، ثم يضعها على التراب، فيعلق بها منه شيء، فيمسح به على الجرح ويقول هذا الكلام؛ لما فيه: من بركة ذكر اسم الله، وتفويض الأمر إليه، والتوكل عليه، فينضم أحدُ العلاجين إلى الآخر، فيقوى التأثير)[1]، وقال النووي: (قال جمهور العلماء المراد بأرضنا هنا جملة الأرض. وقيل: أرض المدينة خاصة لبركتها، والريقة أقل من الريق، ومعنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب، فيعلق بها منه شيء فيمسح به على الموضع الجريح، أو العليل، ويقول هذا الكلام في حال المسح والله أعلم)[2].

قال ابن حجر: (قال القرطبي: فيه دلالة على جواز الرقى من كل الآلام، وأن ذلك كان أمرًا فاشيًا معلومًا بينهم، قال: ووضع النبي ﷺ سبابته بالأرض ووضعها عليه يدل على استحباب ذلك عند الرقية)[3].

وقال ابن عثيمين: (إنه إذا كان في الإنسان المريض جُرح أو قرحة أو نحو ذلك؛ كان النبي ﷺ يبل إصبعه ثم يمسح بها الأرض فيأخذ من التراب بهذا البلل، ثم يمسح

---

(١) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٧٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٢١٩.

به الجرح ويقول: "تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى به مريضنا بإذن ربنا" وهذا يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يداوى الجرح بمثل ذلك"[١].

وقال القرطبي: (ووضع النبي ﷺ سبابته بالأرض، ورُقاهُ بها يدل: على استحباب ذلك عند الرَّقي. "وزعم بَعْضُ علمائنا"[٢] أن ذلك معللٌ: بأن تراب الأرض لبرودته، ويبسه يقوي الموضع الذي به الألم ويمنع انصباب المواد إليه بيبسه وتجفيفه، مع منفعته في تجفيف الجراح وإدمالها. وقال في الرِّيق: إنه يختص بالتحليل، والإنضاج، والإدمال، وإبراء الجراحات، والأورام، والثآليل، لاسيما من الصائم والجائع. قلت: وهذا إنما يكون عند المعالجة، والشروع فيها على قوانينها، من مراعاة مقدار التراب والريق، وملازمة ذلك في أوقاته)[٣].

وقال ابن القيم: (هذا من العلاج السهل الميسر النافع المركب، وهي معالجة لطيفة يعالج بها القروح والجراحات الطرية، لا سيما عند عدم غيرها من الأدوية. إذا كانت موجودة بكل أرض. وقد عُلِم: أن طبيعة التراب الخالص باردة يابسة، مجففةٌ لرطوبات القروح والجراحات، التي تمنع الطبيعةُ من جودة فعلها، وسرعة اندمالها؛ لاسيما في البلاد الحارة، وأصحاب الأمزجة الحارة. فإن القروح والجراحات يتبعها - في أكثر الأمر - سوء مزاج حار، فيجتمع حرارة البلد والمزاج والجراح، وطبيعة التراب الخالص باردة يابسة أشد من برودة جميع الأدوية المفردة الباردة؛ فَتُقَابلُ برودة التراب حرارة المرض، لا سيما إن كان التراب قد غُسل وجُفف. ويتبعها أيضًا كثرة الرطوبات الرديئة والسيلان؛ والتراب مجفف لها، مزيل: - لشدة يبسه وتجفيفه - للرطوبة الرديئة المانعة من بُرئها. ويحصل به - مع ذلك- تعديل مزاج العضو العليل. ومتى اعتدل مزاج العضو: قويت قواه المدبرة، ودفعت عنه الألم بإذن الله)[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٧٥/٢ - ١١٧٦.

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٩٥/٧ - ٩٦.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٧٩/٥ - ٥٨٠.

(٤) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥٧.

وقال ابن حجر نقلاً عن البيضاوي: (قد شهدت المباحث الطبية على أن للريق مدخلاً في النضج وتعديل المزاج، وتراب الوطن له تأثير في حفظ المزاج ودفع الضرر، فقد ذكروا أنه ينبغي للمسافر أن يستصحب تراب أرضه إن عجز عن استصحاب مائها، حتى إذا ورد المياه المختلفة جعل شيئًا منه في سقائه ليأمن مضرة ذلك. ثم إن الرقى والعزائم لها آثار عجيبة، تتقاعد العقول عن الوصول إلى كنهها)[1].

وهذا ما بينه ابن القيم في قوله: (ولا ريب أن من التربة ما تكون فيه خاصية، ينفع بخاصيته من أدواء كثيرة. ويشفى بها أسقامًا رديئة. قال جالينوس: "رأيت بالإسكندرية مطحولين ومستسقين، كثيرًا يستعملون طين مصر، ويطلون به على سوقهم وأفخاذهم وسواعدهم وظهورهم وأضلاعهم، فينتفعون به منفعة بينة. قال: وعلى هذا النحو، قد ينفع هذا الطلاء للأورام العفنة والمترهلة الرخوة. قال: وإني لأعرف قومًا - ترهلت أبدانهم كلها من كثرة استفراغ الدم من أسفل - انتفعوا بهذا الطين نفعًا بينًا؛ وقومًا آخرين شفوا به أوجاعًا مزمنة، كانت متمكنة في بعض الأعضاء تمكنًا شديدًا، فبرأت وذهبت أصلاً". وقال صاحب الكتاب المسيحي: "قوة الطين المجلوب من كنوس - وهي جزيرة المصطكي- قوة تجلو أو تغسل، وتنبت اللحم في القروح، وتختم القروح". انتهى.

وإذا كان هذا في هذه التربات، فما الظن بأطيب تربة على وجه الأرض وأبركها: وقد خالطت ريق رسول الله ﷺ، وقارنت رقيته باسم ربه وتفويض الأمر إليه؟ وأن قوى الرقية وتأثيرها: بحسب الراقي وانفعال المرقي عن رقيته، وهذا أمر لا ينكره طبيب فاضل عاقل مسلم؛ فإن انتفى أحد الأوصاف، فليقل ما شاء)[2].

قال ابن علان نقلاً عن التوربشتي في ذلك معنىً بديعًا، قال فيه: (والذي يسبق إلى الفهم من صنعة ذلك، ومن قوله "تربة أرضنا" إشارة إلى فطرة آدم "وريقة بعضنا" إشارة إلى النطفة التي خلق الله منها الإنسان، وكأنه يتضرع بلسان الحال ويتعرض لفحوى المقال أنك اخترعت الأصل الأول من طين، ثم ابتدعت نسله من سلالة من ماء مهين،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٩/١٠.

(٢) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥٧.

فَهَيِّنٌ عليك أن تشفي من كانت هذه نشأته، وتمن بالعافية على من استوى في ملكك موته وحياته)[١]، وقال ابن عثيمين: (ووجه ذلك: أن التراب طهور كما قال النبي ﷺ ((جُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا))[٢] وريق المؤمن طاهر أيضًا، فيجتمع الطهوران مع قوة التوكل على الله عز وجل والثقة به، فيشفى بها المريض)[٣].

ثانيًا - من مهام الداعية: بيان أن الشفاء بإذن الله تعالى:

قدأشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ "...، بإذن ربنا"، وقد بين الحق تبارك وتعالى ذلك على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[٤] قال ابن كثير: (أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه)[٥].

وقال القاسمي: (وإنمانسب المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تعالى، مع أنهما منه، لمراعاة حسن الأدب معه تعالى، بتخصيصه بنسبه الشفاء الذي هو نعمة ظاهرة إليه تعالى كما قال الخضر ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[٦] وقال ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾[٧] وكقول الجن في آية ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[٨] ولأن كثيرًا من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه وغيره ذلك)[٩]؛ فعلى الداعية أن يبين ويوضح أن الشفاء لا يكون إلا بإذن الله وقدرته، ولكن ينبغي الأخذ

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢١.

(٢) أخرجه مسلم ٥٢٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١١٧٦.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٨٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/١٤٧.

(٦) سورة الكهف، آية: ٧٩.

(٧) سورة الكهف، آية: ٨٢.

(٨) سورة الجن، آية: ١٠.

(٩) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٨/١٣/٢٢.

بالأسباب المؤدية إلى الشفاء بإذن الله من الرقي الشرعية، والذهاب للطبيب، وأخذ الدواء، ثم بعد ذلك وقبل، نعلم أن الأمر بيد الله.

الحديث رقم (٩٠٣)

٩٠٣- وعنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أهْلِهِ يَمْسَحُ بِيدِهِ اليُمْنَى، ويقولُ: ((اللّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أذْهِب البَاسَ، اشْفِ[1] أنْتَ الشَّافِي لاَ شِفَاءَ إلاَّ شِفاؤكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقمًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

البأس: الشدة[3].

سقمًا: مرضًا[4].

الشرح الأدبي

البداية في الدعاء بلفظ (اللهم) يدخل بالقلب قلب الخشوع بطبيعة تكوينه، ودلالته، ولفظ (رب) يدل على الرعاية، والتربية، والعناية، والحفظ، وإضافته للناس فيه تمهيد لما يقصد إليه من طلب الشفاء، وقوله (أذْهِب البَأسَ، اشْفِ أنْتَ الشَّافِي) الأمر فيه للدعاء، وقوله (أنت الشافي) تخصيص له بالشفاء، وقد أكده بأسلوب القصر، (لاَ شِفَاءَ إلاَّ شِفاؤكَ،) لقصر صفة الشفاء على شفاء الله، ونفيها عن كل من سواه، وهذا الشعور إذا تيقنه العبد لا يخطئه الشفاء، وهو سر نجاح الرقية في تحقيق الغرض من راق إلى راق، وقوله (شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقماً) تكميل بلاغي أضاف معنى جديداً وهو أن هذا الشفاء يختص بكونه لا يبقي سقماً، وبين قوله (الناس، الباس)

---

(١) لفظ البخاري: (اشفه) وهذا لفظ مسلم.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٧٤٣، ومسلم ٤٦/٢١٩١.

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ب أ س).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ق م).

جناس يعطي جرساً عذباً يجذب السمع، ويحقق اليقظة لما يقال، وبين، (اشف، الشافي) جناس أكد المعنى الحبيب الذي ينشده الداعي.

فقه الحديث

١- استحباب مسح المريض باليمين: قال النووي: (فيه استحباب مسح المريض باليمين والدعاء له)[1].

٢- جواز السجع في الدعاء والرقى: قال القرطبي: (قوله: "اللهم رب الناس أذهب الباس" فيه دليل على جواز السجع في الدعاء والرقى، إذا لم يكن مقصودًا ولا متكلفًا)[2].

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: عيادة النبي ﷺ لأهله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الرقية الشرعية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الرقية الشرعية.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: رقية النبي ﷺ للمريض.

خامسًا: من أساليب الدعوة الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: عيادة النبي ﷺ لأهله:

أشار الحديث الأول إلى ذلك من قول عائشة رضي الله عنها "إن النبي ﷺ كان يُعَوِّدُ بعض أهله، وفي بيان عيادته ﷺ لأهله، قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما: ((أَرْسَلَتْ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ: إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَأْتِنَا. فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ: إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥١/١٤/٧ ، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٧٨/٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٧٧/٥.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٠٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٠٤).

وَكُلٌّ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لِيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفَسُهُ تَتَقَعْقَعُ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا رَحْمَةٌ يَجْعَلُهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ))[1].

قال ابن حجر: (وفي هذا الحديث من الفوائد جواز استحضار ذوي الفضل للمحتضر لرجاء بركتهم ودعائهم، ... وعيادة المريض، ولو كان مفضولاً أو صبيًا صغيرًا)[2].

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - وهو الذي قال فيه النبي ﷺ ((هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ))[3]- ((تَشكيتُ بمكة شكوى شديدة، فجائني النبيُّ ﷺ يَعودُني، فقلتُ: يانبيَّ الله، إني أترُكُ مالاً، وإني لم أترُك إلا ابنة واحدة، فأُوصي بثُلُثَي مالي وأترُكُ الثلثَ؟ فقال: لا. قلتُ: فأُوصي بالنصفِ وأتركُ النصفَ؟ قال: لا. قلتُ: فأُوصي بالثلثِ وأترُكَ لها الثلثين؟ قال: الثلثُ، والثلثُ كثير. ثم وضعَ يدَهُ على جبهتِهِ، ثم مَسحَ يدَه على وَجهي وبَطني ،ثم قال: اللهم اشفِ سعدًا، وأَتممْ له هِجرَتَه. فما زِلتُ أجدُ بَردَهُ على كَبِدي فيما يُخالُ إليَّ حتى الساعة))[4]، وفي ذلك بيان على عيادته ﷺ لأهله رضي الله عنهم.

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: الرقية الشرعية:

إن مما نص عليه الحديثان، هو الرقية الشرعية، والرقية (هي كلام يستشفى به من كل عارض)[5]، وهي كما بينها ابن الأثير (العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات)[6]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۝٢٧﴾[7]

(١) أخرجه البخاري ١٢٨٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨١٩/١.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٧٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٥١).

(٤) أخرجه البخاري ٥٣٥٤، ومسلم ١٦٢٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٣٠/٤.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٧٢.

(٧) سورة القيامة، الآية: ٢٧.

قال السعدي: (أي: من يرقيه، من الرقية فيحميه)[1]، (وقد ذهب الجمهور إلى جواز الرُّقي من كل داء يصيب الإنسان بشروط ثلاثة: أولها: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، ثانيها: أن يكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، ثالثها: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بإذن الله تعالى وقدرته، لما روى عوف بن مالك ﷺ قال: ((كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ كَيْفَ تَرَىٰ فِي ذٰلِكَ؟ فَقَالَ: اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ. لاَ بَأْسَ بِالرُّقَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ))[2])[3].

وقد حث النبي ﷺ على رقية المريض، فعن جابر بن عبدالله ﷺ قال: ((لَدَغَتْ رَجُلاً مِنَّا عَقْرَبٌ. وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَرْقِي؟ قَالَ: مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ))[4].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: ((انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ فَلُدِغَ سَيِّدُ ذٰلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لاَ يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هٰؤُلاَءِ الرَّهْطَ الَّذِين نَزَلُوا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لاَ يَنْفَعُهُ فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ وَاللّهِ إِنِّي لأَرْقِي، وَلٰكِنْ وَاللّهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ (الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا فَقَالَ الَّذِي رَقَى لاَ تَفْعَلُوا، حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٣٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٠٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢٥٤٦/٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢١٩٩.

اللهِ ﷺ، فَذَكَرُوا لَهُ فَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ثُمَّ قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا))[1].

قال ابن حجر: (وفي الحديث جواز الرقية بكتاب الله، ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور، وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور)[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الرقية الشرعية:

هذا ما يستفاد من الحديثين، ومما لاشك فيه أن العلاج بالرُّقَي الشرعية سواء بالقرآن الكريم، وبما ثبت عن النبي ﷺ من الرُّقى، هو علاج نافع وشفاء تام (ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة؛ فما الظن بكلام رب العالمين: الذي فضله على كل كلام كفضل الله على خلقه؛ الذي هو الشفاء التام، والعصمة النافعة، والنور الهادي، والرحمة العامة؛ الذي لو أنزل على جبل لتصدع من عظمته وجلالته)[3].

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[4] وقال ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[5] قال القرطبي: (اختلف العلماء في كونه شفاءً على قولين: أحدهما - أنه شفاءٌ للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الريب، ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل، لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى. الثاني - شفاءٌ من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحوه)[6].

وقال السعدي: (أي: يهديهم لطريق الرشد، والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة، ما به تحصل الهداية التامة، وشفاء لهم من الأسقام البدنية، والأسقام

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٧٦، ومسلم ٢٢٠١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٣٥/٤.

(٣) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥١.

(٤) سورة فصلت، آية: ٤٤.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٨٢.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٦/١٣.

القلبية)[١]، وفي بيان ذلك قالت عائشة رضي الله عنها: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ، نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ. فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ. لأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي))[٢]، قال النووي: (وفيه استحباب الرقية بالقرآن والأذكار، وإنما رقى بالمعوذات لأنهن جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً)[٣].

وكذلك العلاج بالرقى النبوية الثابتة من أنفع الأدوية. ويؤكد ذلك ما ورد عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: ((إِنَّهُ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ قَالَ عُثْمَانُ وَبِي وَجَعٌ قَدْ كَادَ يُهْلِكُنِي قالَ فقَالَ النَّبيُّ ﷺ: امْسَحْهُ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَقُلْ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ الله مَا كَانَ بِي، فَلَمْ أَزَلْ آمُرُ بِهِ أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ))[٤].

وكذلك ما ورد في الحديثين اللذين نحن بصددهما من قول عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: "اللهم رب الناس... إلخ الحديث"، وقول أنس رضي الله عنه لثابت رضي الله عنه: "ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ.. إلخ الحديث"، وكذلك باقي أحاديث الباب التي تؤكد رقية النبي ﷺ لكثير من المرضى وحثه عليها.

رابعًا – من موضوعات الدعوة: رقية النبي ﷺ للمريض:

هذا ما ظهر جليًا في الحديثين من قول عائشة رضي الله عنها "كان يُعَوِّد بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول "اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا" ومن قول أنس رضي الله عنه لثابت: "ألا أرقيك برقية رسول

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٩٧.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٤٨، ومسلم ٢١٩٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٧٢.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٨٩١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٩٣).

الله ﷺ؟ قال: بلى، قال: "اللهم رب الناس، مذهب البأس... إلخ".

قال القرطبي: (قوله: "أذهب البأس ربَّ الناس!" البأس: الضرر. وفيه دليل على جواز السجع في الدعاء والرقى؛ إذا لم يكن مقصودًا، ولا متكلفًا، وقوله: "شفاءً لا يغادر سقمًا" شفاءً على المصدر، والشافي: اسم فاعل من ذلك، والألف واللام فيه بمعنى: الذي، وليس باسم علم لله تعالى، إذ لم يكثر ذلك، ولم يتكرر... و"لا يغادر"؛ أي: لا يترك. و"السقم": المرض. و"مسحه ﷺ بيمينه عند الرُّقي" دليل على جواز ذلك. وحكمته: التبرك باليمين، وأن ذلك غاية تمكُّن الرَّاقي، فكأنَّه مدَّ يده لأخذ المرض وإزالته. ومن حكمته: إظهار عجز الرَّاقي عن الشفاء، وصحة تفويضه ذلك إلى الله تعالى، ولذلك قال عند ذلك: "لا شفاء إلا شفاؤك")[1].

قال ابن هبيرة: (فأما قوله: رب الناس، فإن المعنى يا رب الناس، فحذف منه حرف النداء لاستشعار قرب المنادى؛ وكذلك قوله: مُذهب البأس، فحذف منه حرف النداء لذلك. وقوله: مذهب نكرة عرفها الإضافة، والمعنى أن الله تعالى معروف بإذهاب البأس، فدعاه باسم يناسب المسألة التي يريد السائل أن يسألها، وهي قوله: اشف أنت الشافي، يعني إن أشفيت بسبب فأنت الشافي بغير سبب.

وقوله: لا شفاء إلا شفاؤك، يعني أن الشفاء من كل طريق، وعلى كل وجه، فإنه منك.

وقوله: شفاء لا يغادر سقمًا، شفا مصدر لقوله اشف، يعني اشف شفاء لا يغادر سقمًا أي لا يخلف سقمًا، وسقمًا هاهنا مصدر نكرة، فهو في هذاالموضع أبلغ من المعرف، أي لا يغادر سقمًا من الأسقام)[2].

وقد بين ابن القيم: (أن في هذه الرقية، توسل إلى الله: بكمال ربوبيته، وكمال رحمته بالشفاء؛ وأنه وحده الشافي، وأنه لا شفاء إلا شفاؤه، فتضمنت التوسل إليه:

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ابو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥٧٧ - ٥٧٨.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٣٢١.

بتوحيده وإحسانه وربوبيته)[١].

وقال ابن عثيمين - مبينًا هديه ﷺ في رقية المريض - (فإنه كان إذا عاد بعض أهله "يمسح بيده اليمنى" أي: يمسح المريض، ويقرأ عليه هذا الدعاء: "اللهم رب الناس" فيتوسل إلى الله عز وجل بربوبيته العامة، فهو الرب سبحانه وتعالى الخالق المالك المدبر لجميع الأمور...، "أذهب البأس" يعني: المرض الذي حلَّ بهذا المريض، "اشف أنت الشافي" والشفاء: إزالة المرض وبُرء المريض، فيقال: اشفِ، ولا يقال: أَشفِ لأن الثانية - أشف - بمعنى أهلك، وأما الأولى - اشف- فمعناها البرء من السقم...، و"الشافي" هو الله عز وجل لأنه الذي يشفي المرض، وما يصنع من الأدوية أو يقرأ من الرُّقى، فما هو إلا سبب قد ينفع وقد لا ينفع، فالله هو المسبب عز وجل وقوله: "لا شفاء إلا شفاؤك" صدق رسول الله ﷺ فلا شفاء إلا شفاء الله...، فالشافي هو الله، فليس الطبيب وليس الدواء هما اللذان يشفيان، بل الطبيب سبب والدواء سبب، وإنما الشافي هو الله، وقوله "شفاء لا يغادر سقمًا" أي شفاءً كاملاً لا يبقي مرضًا)[٢].

خامسًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(الترغيب من الأساليب الدعوية المهمة التي يقصد بها حمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه بعد تشويقه إليه وقبوله، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته... وهو من الأساليب الدعوية الناجعة للنفس الإنسانية التي يتنازعها الخير والشر، والتي جبلت على حب السعادة، والنفور من الضيق والعذاب)[٣]، والترغيب في هذين الحديثين يكون بحصول الشفاء من الله، وذلك باتباع هدي النبي ﷺ في الأخذ بالرقية الشرعية، على النحو الوارد عنه ﷺ في الحديث.

---

(١) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥٨.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٧٦/٢ - ١١٧٧.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

الحديث رقم (٩٠٤)

٩٠٤- وعن أنسٍ رضي الله عنه أنه قَالَ لِثابتٍ: ألاَ أرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رسول الله ﷺ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: ((اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ البَاسِ، اشْفِ أنْتَ الشَّافِي، لاَ شَافِيَ إلاَّ أنْتَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقمًا)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الرقية: العوذة التي يُرقي بها صاحب الآفة[2].

البأس: الشدة[3].

الشرح الأدبي

صحابة الرسول ﷺ، ورضوان الله عليهم كانوا أحرص الناس على تنفيذ توجيهاته، وأسرعهم إليها، وهذا الحديث يعرض صورة عملية لتنفيذ أوامر النبي ﷺ بين أنس رضي الله عنه الله عنه وثابت بدأه أنس باستفهام قصد به العرض، والتشويق: (ألاَ أرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رسول الله ﷺ؟) ثم ذكر دعاء الرقية السابقة لا يختلف إلا في جزئيات بسيطة منها قوله (مُذْهِبَ) في هذه الرواية، ويدل على ثبات الصفة، ودوامها، وفي الرواية السابقة عبر بالفعل (أذهب) وهو أمر بمعنى الدعاء، ومنها: قوله: (لاَ شَافِيَ إلاَّ أنْتَ) حيث قصر صفة الشفاء عليه على الله، ونفى أن يكون هناك شافٍ إلا الله، وفي الحديث السابق قصر الشفاء على الشفاء المضاف لله، ونفى أن يكون هناك شفاء حقيقي إلا شفاء الله، ونفى أن يكون هناك شافٍ إلا الله، أبلغ في الدلالة على

(١) برقم ٥٧٤٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ق ي).

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ب أ س).

اختصاصه بالشفاء لأن الأولى (لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفاؤكَ) تنفي الصفة المماثلة، والثانية (لاَ شَافِيَ إِلاَّ أنْتَ) تنفي الموصوف المماثل.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٠٥)

٩٠٥- وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ، قال: (عادني رسول الله ﷺ)[١]، فقال: ((اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

هذا الحديث لمسة حنونة تعكس محبة الرسول ﷺ لسعد بن أبي، وقاص ﷺ خاصة، ودليل على محبته لأصحابه عامة يحكيها سعد بنفسه، وقوله: (عادني رسول الله ﷺ) أي زارني في أثناء مرضي لاختصاص العيادة بزيارة المريض، وفيها دلالة على التكرار كما يفهم منها، وقوله (اللهم اشف سعداً) هذا الدعاء بهذا التركيب يشير إلى محبته لسعد، ويؤكده هذا التكرار لجملة الدعاء ثلاث مرات مما يعكس حرصه على شفائه، وتكرار الاسم الظاهر (سعد) دون ضميره فيه حفاوة، وتكريم له ﷺ يشرح صدره، ويطيب نفسه، ويعجل بشفائه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: عيادة المريض.

ثانيًا: من صفات الداعية: التواضع للمدعوين والدعاء لهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل زيارة المريض.

أولاً - من موضوعات الدعوة: عيادة المريض:

لقد أشار الحديث إلى ذلك من قول سعد بن أبي وقاص ﷺ "عادني رسول الله ﷺ"، والعيادة في الاصطلاح: (هي الزيارة والافتقاد "أي التفقد"، أما المريض:

---

(١) هذه الزيادة عند مسلم برقم ١٦٢٨/٥.

(٢) برقم ١٦٢٨/٨.

فهو من اتصف بالمرض)[١]، أما المرض اصطلاحًا فقد وردت فيه أقوال عديدة منها ما قاله الجرجاني: (بأنه ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص)[٢].

وقد عظّم النبي ﷺ الحث على عيادة المريض والأمر بها، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: ((أمَرَنا النبيُ ﷺ بسَبعٍ، ونهانا عن سَبعٍ: أمرَنا باتِّباعِ الجَنائزِ، وعَيادةِ المريضِ، وإجابةِ الداعي، ونَصْرِ المظلومِ، وإبرارِ القَسَمِ، ورَدِّ السلامِ، وتَشميتِ العاطِسِ. ونهانا عن آنيةِ الفِضةِ، وخاتَمِ الذهبِ، والحَريرِ، والدِّيباجِ، والقَسِّيِّ، والإسْتَبْرَقِ))[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ: رَدُّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ)) وفي رواية أخرى ستًا، فيها: ((وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ))[٤].

وقد استجاب الصحابة رضوان الله عليهم لأمر النبي ﷺ بعيادة المريض، فعن نافع: ((أنَّ ابنَ عمرَ رضي الله عنهما ذُكرَ له: أن سعيدَ بن زيد بن عمرو بن نفَيل - وكان بَدريًّا - مَرِض في يوم جمعة، فرَكبَ إليهِ بعدَ أن تعالى النهارُ واقترَبَتِ الجمعة، وترك الجمعةَ))[٥].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث ما يدل على أن من له نسيب مريض فإنه يجوز له ترك الجمعة اشتغالاً بالقيام على مريضه)[٦]. وما ذلك إلا لعظيم أمر عيادة المريض وأهمية القيام بها.

ثانيًا - من صفات الداعية: التواضع للمدعوين والدعاء لهم:

يظهر ذلك في الحديث من عيادته ﷺ لسعد ودعائه ﷺ له بقوله "اللهم اشف

---

(١) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٢/٢.

(٢) التعريفات ٢٦٤.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٣٩، ومسلم ٢٠٦٦.

(٤) أخرجه مسلم ٢١٦٢.

(٥) أخرجه البخاري ٣٩٩٠.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٢٥/٤.

سعدًا، اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا"، فعلى الداعية أن يحرص - لكي تنجح دعوته - على تأليف القلوب، وجمع الشمل حول دعوته، وللتواضع دور بارز في هذا المجال، فبقدر ما يلين الداعية جانبه يألفه الناس، ويحبونه ويقبلون عليه، وبذا يكثر أتباع الدعوة، وينال الداعية من الله تعالى عظيم الأجر، ولكن إذا تعالى الداعية وتكبر على من حوله، نفر الناس منه وابتعدوا عنه، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1].

أما الدعاء للمدعوين ففيه خير عظيم، فبه تكمن هدايتهم، وتحصل محبتهم للداعية، مما يساعده ذلك على إبلاغ ونشر دعوته للمدعوين، هذا فضلاً عن اقتدائه في ذلك بالنبي ﷺ في دعائه للمدعوين، فعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((ائْتِ قَوْمَكَ فَقُلْ: إِنَّ رَسُولَ اللّهِ قَالَ: أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللّهُ وَغِفَارُ غَفَرَ اللّهُ لَهَا))[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((قَدِمَ الطُّفَيلُ بنُ عمرو الدَّوسِيُّ وأصحابهُ على النبيِّ ﷺ فقالوا: يا رسولَ اللهِ إنَّ دَوسًا عَصَتْ وأبَتْ، فادْعُ اللّهَ عليها، فظن الناس أنه يدعو عليهم، فقال: اللهمَّ اهدِ دَوسًا وائْتِ بهم))[3]، فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في كل ما يساعده على نجاح دعوته وتبليغها للمدعوين.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل زيارة المريض:

يستنبط هذا من عيادة النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ولقد بيّن النبي ﷺ عظم فضل زيارة المريض فقال: ((مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ جَنَاهَا))[4]، وقال ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إلاَّ صَلى عليهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمسِيَ، وإنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إلاَّ صَلى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتى

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) أخرجه مسلم، ٢٥١٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٩٧، ومسلم ٢٥٢٤.

(٤) أخرجه مسلم، ٢٥٦٨.

يُصْبِحَ وكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الجَنَّةِ))[١]، وقال: ((مَنْ عَادَ مَرِيضًا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً))[٢]، (وبعد ذكر هذه الأحاديث الصحيحة في بيان فضل عيادة المريض، والثواب الذي يناله العائد من عيادته، فلا ينبغي التفريط فيها، بل تلزم المبادرة إليها، والمداومة عليها، حتى تنال رحمة الرحمن الرحيم وفي عيادة المريض غير ما ذكر. تطييب قلبه [أي المريض]،واستعراض حوائجه، والاتعاظ بمصرعه)[٣].

(١) أخرجه الترمذي ٩٦٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٧٧٥).

(٢) أخرجه الترمذي ٢٠٠٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٢).

(٣) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب، ٢٤٨.

الحديث رقم (٩٠٦)

٩٠٦- وعن أَبي عبدِ الله عثمان بنِ أَبي العاصِ ﷺ: أنه شَكَا إلَى رسول الله ﷺ وَجعًا، يَجِدُهُ في جَسَدِهِ[1]، فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: ((ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي يَأَلَم مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بسم اللهِ ثَلاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ الله[2] وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ)) رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

عثمان بن أبي العاص: هو عثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي الطائفي، كنيته: أبو عبدالله، له ولأخيه الحكم صحبة.

قدم في وفد ثقيف على النبي ﷺ في سنة تسع وكان أصغرهم، فأسلموا وأمره النبي ﷺ عليهم لما رأى من رجاحة عقله، وحرصه على الخير وتعلم أمور الدين. وقال له ﷺ ((أنت أمامهم))[4].

وظل على الطائف حتى توفي النبي ﷺ فلما ارتد كثير من العرب قام في ثقيف خطيبًا، فمنعهم عن الردة وثبّتهم على الإسلام، فقال: يا معشر ثقيف كنتم آخر الناس إسلامًا، فلا تكونوا أولهم ارتدادًا.

وأقره أبوبكر على الطائف، ثم عمر حتى ولاه البحرين وعمان، فلما عُزِل نزل البصرة واختط دارًا بها.

وظلّ قابضًا على راية الجهاد، فقد غزا عدة غزوات بفارس والهند، ففتح "توج" - بلدة بفارس- ومصّرها سنة ٢١هـ.

---

(١) عند مسلم زيادة: (منذ أسلم).

(٢) لفظ مسلم: (أعوذ بالله)، والمثبت لفظ أبي داود ٣٨٩١، والترمذي ٢٠٨٠.

(٣) برقم ٢٢٠٢/٦٧. أورده المنذري في ترغيبه ٥٠٦١.

(٤) أخرجه أحمد ٢١/٤، رقم١٦٢٧١، ١٦٧٢، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم أهـ. وأصله في صحيح مسلم ٤٦٨ (أُمَّ قومك).

وكان رجلاً يهاب محارم الله ويقف عند حدوده، بعث غلمانًا له تجارًا فلما جاءوا قال: ما جئتم به؟ قالوا: جئنا بتجارة تربح الدرهم عشرة. قال: وما هي؟ قالوا: خمر. قال: خمر! وقد نهينا عن شربها وبيعها، فجعل يفتح أفواه الزِّقاق ويصبها[(١)].

وكان صاحب حكمة فهو القائل: الناكح مُغترس فلينظر أين يضع غرسه، فإن عرق السوء لابد أن ينزع ولو بعد حين.

قال عنه الحسن البصري: ما رأيت أحدًا أفضل منه.

مات سنة ٥١هـ بالبصرة، حيث هناك موضع يقال له: شط عثمان منسوب إليه[(٢)].

الشرح الأدبي

قوله (يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ) هذه الجملة مؤكدة لما قبلها توكيداً معنوياً؛ لأنه من المعلوم أن من شكا من وجع، فهو في جزء من جسده، والفعل الماضي (يجده) يعطي الألم صورة حاضرة متجددة مستمرة في جسده، وإضافة الفعل (يَألَم) إلى العضو المصاب من نسبة الشيء لموضعه على سبيل المجاز مبالغة في شدة الألم حتى كأن العضو هو الذي يتألم، ، والأمر (قل) في الحديث على سبيل النصح، والإرشاد إلى ما يحقق الرضي القلبي، ويشعره بالقرب الإلهي الذي يحقق الطمأنينة التي لا تلبث أن تكون سبباً من أسباب شفائه يتلوها فيض من الرحمة لعبد ذكر الله في شدته، ورخائه، والعوذ بالعزة تعال على الأمراض، والعوذ بالقدرة تعال على الأسباب، وإنما ينطلق بقدرة الله الذي لا يعجزه داء، ولا يبعد عنه دواء، وكل شيء بقدرته، والمرض جند من جنده يسلطه على

---

(١) قال محققو السير: إسناده حسن.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٥٠٨/٥، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٥٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٥٧٣/٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨٨٩، والسير ٣٧٤/٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١١٨/٥، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٦/٣، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢٠٧/٤، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٣١٥/٢.

من يشاء، ويصرفه عن من يشاء بسبب، أو من دون سبب، وقوله (ما أجد) هو عوذ من الهم بالمرض الحاضر (وأحاذر) مبالغة من أحذر أي: ما أخافه من الآتي.

فقه الحديث

استحباب وضع اليد على موضع الألم مع الدعاء:

قال النووي: (فيه حديث عثمان بن العاص، ومقصوده: أنه يستحبّ وضع يده على موضع الألم ويأتي بالدعاء المذكور، والله أعلم)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: علاج الوجع بالرقية.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ كيفية رقية الإنسان لنفسه.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

أولاً – من موضوعات الدعوة: علاج الوجع بالرقية:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله – ثلاثًا – وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" قال ابن القيم: (ففي هذا العلاج – من ذكر اسم الله، والتفويض إليه والاستعاذة بعزته وقدرته من شر الألم – ما يذهب به. وتكراره ليكون أنجع وأبلغ، كتكرار الدواء لإخراج المادة. وفي السبع خاصية لا توجد في غيرها)[2].

قال القاضي عياض: (وفي قوله ﷺ: "قل: بسم الله ثلاثًا" وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ماأجد وأحاذر"، فيه اختصاص هذه الأمور بالوتر، وتخصيص الثلاث منها والسبع، وذلك كثير في موارد الشرع، لا سيما تخصيص السبع بما هو في باب الشفاء والمعافاة والنشر، ودفع السحر وأمر الشيطان والسم، كقوله: ((صُبُّوا عَلَيّ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٨/١٤/٧ ، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٨٩/٥-٥٩٠.

(٢) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥٨.

مِنْ سَبْعٍ قِرَبٍ))[١]، و((مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ لم يَضُرُّهُ سُمٌّ))[٢])[٣].

وقال ابن عثيمين: (أن النبي ﷺ سأله عثمان أنه يشكو من مرض في جسد فأمره أن يقول: "بسم الله ثلاثًا" ويضع يده على موضع الألم، ثم يقول: "أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر"، يقولها سبع مرات، فهذا من أسباب الشفاء، فينبغي للإنسان إذ أحس بألم أن يضع يده على هذا الألم ويقول: "بسم الله ثلاثًا، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" يقولها سبع مرات، إذا قاله موقنًا بذلك مؤمنًا به، وأنه سوف يستفيد من هذا؛ فإنه يذهب الألم بإذن الله عز وجل، وهذا أبلغ من الدواء الحسي كالأقراص، والشراب والحقن؛ لأنك تستعين بمن بيده ملكوت السماوات والأرض، الذي أنزل هذا المرض، وهو الذي يجيرك منه)[٤].

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ كيفية رقية الإنسان لنفسه:

هذا ما أشار إليه الحديث من تعليمه ﷺ لأبي عبدالله عثمان بن أبي العاص، وقد بين ابن علان ذلك فقال: (إنه شكا إلى رسول الله ﷺ مرضًا يجده "أي: يحسه في جسده، فقال له رسول الله ﷺ ضع يدك أي اجعلها موضوعة "على الذي يألم" أي يوجع "من جسدك" "وقل" أي: مع وضعها، أو عقبه مصاحبًا له، كما يومئ إليه السياق، أي بحضور القلب مع الرب ونسيان ما سواه "باسم الله" أي: أستشفى باسمه "ثلاثًا"... "وقل سبع مرات" أي: تارات "أعوذ" أي: أعتصم وأتحصن "بعزة الله" أي بغلبته "وقدرته" أي: صفته الأزلية القادر بها على كل ممكن "من شر ما أجد" أي: من الألم "وأحاذر" أي: أحذر، والمغالبة للمبالغة، والإتيان بالذكر المذكور ليسري أثره في الأعضاء السبعة)[٥]، قال الطيبي: (تعوذ من وجع ومكروه هو فيه، ومما يتوقع حصوله في

---

(١) أخرجه أحمد ١٥١/٦ رقم ٢٥١٧٩، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٩٧/٤٢.

(٢) أخرجه مسلم ١٥٤.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١١٠/٧.

(٤) شرح رياض الصالحين ١١٧٨/٢.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٣ - ١١٢٤.

المستقبل من حزن وخوف؛ فإن الحذر هو الاحتراز عن الخوف)[١]، فينبغي على من يعلم الرقية الشرعية أن يعلمها لغيره؛ حتى يرقي بها نفسه عند الحاجة إليها.

ثالثًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

هذا ما ظهر جليًا في الحديث من تعليمه ﷺ لأبي عبدالله عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه كيفية الرقى، وقد أمر النبي ﷺ بذلك، فعن الشفاء بنت عبدالله رضي الله عنها قالت: ((دخل علينا النبيّ ﷺ وأنا عند حفصة، فقال لي: ألا تُعَلِّمينَ هذهِ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كما عَلَّمْتِيها الكِتابَةَ؟))[٢].

قال القاضي: (قال الإمام: "... والنملة قروح تخرج في الجنب)[٣]، وقال ابن القيم: (النملة : قُروح تخرج في الجنبين ، وهو داء معروف، وسمي نملةً، لأن صاحبَه يُحس في مكانه كأن نملة تدب عليه وتعضُّه)[٤]، فيتضح من ذلك أهمية تعليم الرقية الشرعية بصفة خاصة، وتعليم العلم، بصفة عامة، وقد حث الإسلام على العلم، وحفل بالتعليم فكانت أول آية نزلت على الرسول ﷺ تدعوه إلى القراءة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[٥] وتوالى نزول الآيات في كتاب الله المنزل، تدعو إلى العلم و السعي في طلبه، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾[٦])[٧].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٩٥/٣.

(٢) أخرجه ابو داود ٣٨٨٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٩١).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١٠٢/٧.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٨٤/٤.

(٥) سورة العلق، الآيات: ١ – ٥.

(٦) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٧) تعليم المتعلم طرق التعلم، برهان الإسلام الزرنوجي ص ٣٤.

(ولقد مدح الله سبحانه وتعالى العلم وأهله، وحث عباده على العلم والتزود منه وكذلك السنة المطهرة، فالعلم من أفضل الأعمال الصالحة، وهو من أفضل وأجلّ العبادات)[1] وفي جملة كثيرة من أحاديث النبي ﷺ دعوة صريحة إلى التعليم وبيان لفضل العلم وأصحابه، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا حَسَدَ إلاّ في اثْنتينِ: رَجلٌ آتاهُ اللّهُ مالاً فسُلّطَ على هَلَكَتِهِ في الحقِّ، ورَجُلٌ آتاهُ اللّهُ الحكمةَ فهُوَ يَقْضي بها ويُعَلّمُها))[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمسُ فِيه عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))[3] قال ابن حجر: (في قوله ﷺ "سهل الله له طريقا" أي في الآخرة، أو في الدنيا، بأن يوفقه للأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة، وفيه بشارة بتسهيل العلم على طالبه لأن طلبه من الطرق الموصلة إلى الجنة)[4]، وفي ذلك بيان على أهمية تعلم العلم ونشره كوسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

---

(١) كتاب العلم، محمد بن صالح بن عثيمين ١٥.

(٢) أخرجه البخاري ٧٣، ومسلم ٨١٦.

(٣) أخرجه مسلم ١٦٩٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٩٣.

الحديث رقم (٩٠٧)

٩٠٧- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْهُ أجَلُهُ، فقالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ**[1]**: أسْأَلُ اللهَ العَظيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظيمِ، أنْ يَشْفِيَكَ، إلاَّ عَافَاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ المَرَضِ**)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن)، وقال الحاكم[3]: (حديث صحيح عَلَى شرط البخاري).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

لم يحضره أجَلُهُ: أي لم تتم مدة عمره[4].

الشرح الأدبي

ذكر الله عند المريض يفتح قلبه على الأمل في الخلاص مما هو فيه من البلاء، ولذلك نجد الرسول ﷺ لا يعود مريضاً حتى يفيض عليه قبساً من هذا الذكر يكون في كالمقوى له على مرضه وما أجمل أن يدخل الزائر للمريض، ومعه الشفاء، وهو ما يهفو إليه قلب المريض، وهذا الحديث يعلمنا كيف ندخل على المريض بالشفاء، وقد صاغه في جملة شرط طويلة ضمنها الدعاء المرغب فيه حتى يكون حافزاً للحرص عليه، وقوله: (لم يحضره أجله) احتراس عن ما انتهى عمره فإن اجل الله لا يؤخر أما من كان في عمره بقية فإن هذا الدعاء يعجل بشفائه، وقوله: (أسأل الله العظيم) توسل إلى الله ببعض أسمائه الحسنى وذكر العرش العظيم يوحي بالإحاطة، والعظمة التي

---

(١) لفظ أبي داود: (مرار)، والمثبت لفظ الترمذي.

(٢) أخرجه أبو داود واللفظ له ٣١٠٦، والترمذي ٢٠٨٣ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٢٩٧٨. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٠١.

(٣) المستدرك ٣٤٢/١. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٠١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٤.

تقتض الاستعانة به وحده، والالتفات بالخطاب إلى المريض بعد التوجه إلى الله بالدعاء في قوله: (أنْ يَشْفِيَكَ) فيه إيناس له، وملاقاة له بما يحب، وقوله (إِلاَّ عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ المَرَضِ) حصر لمن دعا هذا الدعاء في المعافاة لمريضه لا تتخلف عنه، وهو توكيد للمعنى المراد، وبين قوله: (مريضاً) في أول الحديث، وبين (عافاه) في نهاية الحديث طباق يلوح بالعافية لمن أصابه المرض إذا اغتنم ما ذكر بينهما من دعاء.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: عيادة المريض والدعاء له.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تبشير المرضى وبعث الأمل في نفوسهم بشفاء الله لهم.

ثالثًا: من واجبات المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ فيما ورد عنه من الدعاء عند المريض.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة تكفير المرض للذنوب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: عيادة المريض والدعاء له:

مما لاشك فيه أن عيادة المريض من أهم الحقوق الواجبة على المسلم، لما في ذلك من تقوية أواصر المحبة، وتوثيق عرى الأخوة الإسلامية، فضلاً عن تطييب قلب المريض، وهذا ما حث عليه النبي ﷺ في الحديثين من قوله ﷺ "من عاد مريضًا لم يحضره أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك: إلا عافاه الله من ذلك المرض؛ وكذلك الحديث الثاني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده، وكان إذا دخل على من يعوده، قال: "لا بأس؛ طهور إن شاء الله" وقد حث الإسلام على عيادة المريض فقال النبي ﷺ: ((خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ)) وفي رواية ((حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ - ثم ذكر ﷺ من ذلك - عيادة المريض))[2] وقال البراء بن عازب رضي الله عنه: ((أَمَرَنا النبيُّ ﷺ بسبع ونهانا عن سَبع: أمرنا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٠٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٠٨).

(٢) أخرجه مسلم ٢١٦٢.

بعيادة المريض... إلخ))[١].

وبين ابن عثيمين: (أن عيادة المريض فرض كفاية، فإذا لم يقم بها أحد؛ فإنه يجب على من علم بحال المريض أن يعوده؛ لأن النبي ﷺ جعل ذلك من حقوق المسلم على أخيه، ولا يليق بالمسلمين أن يعلموا أن أخاهم مريض ولا يعوده أحد منهم، لأن هذا قطيعة وأي قطيعة!)[٢]، (وينبغي على من عاد مريضًا أن لا يقول إلا خيرًا، لأن الملائكة تؤمن على قوله، ولقد جاء ذلك مصرحًا به في حديث أم سلمة رضي الله عنها، قالت: ((قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ، أَوِ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا. فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ. قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ. وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَىٰ حَسَنَةً قَالَتْ: فَقُلْتُ. فَأَعْقَبَنِي اللّه مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ. مُحَمَّدًا ﷺ))[٣].

ويستحب للعائد أن يدعو للمريض بالرحمة، والمغفرة، والتطهير من الذنوب، والسلامة والعافية. وللنبي ﷺ دعوات، ينبغي على العائد أن يدعو بها، لأنها صدرت من المعصوم الذي أوتي جوامع الكلم، والذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[٤]. فمن دعائه ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ: ((مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يحضره أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيَكَ إِلاَّ عَافَاهُ اللّهُ مِنْ ذٰلِكَ الْمَرَضِ))، وقوله ﷺ: ((لا بأسَ، طَهُورٌ إِنْ شاءَ اللّهُ)).

قال ابن حجر في بيان ذلك: (وقوله "طهور" هو خبر مبتدأ محذوف أي هو طهور لك من ذنوبك أي مطهرة، ويستفاد منه أن لفظ الطهور ليس بمعنى الطاهر فقط، وقوله "إن شاء الله" يدل على أن قوله طهور دعاء لا خبر)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٦٦.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٦٩/٢.

(٣) أخرجه مسلم ٩١٩.

(٤) كتاب الأدب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب، ٢٥٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٤/١٠.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تبشير المرضى وبعث الأمل في نفوسهم بشفاء الله لهم:

يستنبط هذا من الحديثين إذ أنه ﷺ بشّر المريض الذي إذا عاده أحد المسلمين وقال عنده: "أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك" سبع مرات، فإن الله سوف يعافيه ما لم يحضر أجله، وفي ذلك تبشير له وبعث للأمل في شفائه، كما يظهر ذلك في الحديث الثاني من تبشير النبي ﷺ للأعرابي عند عيادته له وذلك بقوله ﷺ "لا بأس طهور إن شاء الله"، فكان ﷺ يبعث في النفوس الأمل والراحة، ويغمرها بالدعة والطمأنينة، ويزيل عنها الغم والحزن، ويقتل فيها اليأس والقنوط، ويحيي فيها روح التفاؤل والعمل [١].

وخير دليل على ذلك ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: ((جَاءَنِي رَسُولُ اللَّه يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ، مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، قدْ بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ مَا تَرَى، وأَنَا ذُو مَالٍ. وَلاَ يَرِثُنِي إلاَّ ابْنَةٌ لِي. أَفَأَتَصدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ رَسُولُ الله: «لاَ» فَقُلْتُ: فَالشَّطْرُ؟ قَالَ: لاَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله: الثُّلُثُ. وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ. إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاس وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بهَا وَجْهَ الله، إلاَّ أُجِرْتَ. حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ قَالَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَأُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ فقَالَ رَسُولُ الله: إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ، فَتَعْمَلَ عَمَلاً صَالِحًا، إلاَّ ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً. وَلَعَلَّكَ أنْ تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ. اللَّهُمَّ أَمْضِ لأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلاَ تَرُدُّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ. لكِنِ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ. يَرْثِي لَهُ رَسُولُ الله أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ))[٢].

قال النووي: (فيه استحباب عيادة المريض، وإنها مستحبة للإمام كاستحبابها لآحاد الناس...، وأما قوله ﷺ "إنك لن تخلف فتعمل عملاً" فالمراد بالتخلف طول العمر والبقاء في الحياة بعد جماعات من أصحابه)[٣]، وقوله ﷺ "ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم) وتلك

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٣٠.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٥٤، ومسلم ١٦٢٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٣٥.

بشرى منه ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وبعث الأمل في نفسه، قال النووي: (فإن سعدًا عاش حتى فتح العراق وغيره، وانتفع به أقوام في دينهم ودنياهم، وتضرر به الكفار في دينهم، ودنياهم فإنهم قتلوا وصاروا إلى جهنم، وسبيت نساؤهم وأولادهم، وغنمت أموالهم وديارهم، وولي العراق فاهتدى على يديه خلائق، وتضرر به خلائق بإقامته الحق فيهم)[1].

وتبشير المريض وبعث الأمل في نفسه يكون من باب الفأل (والفأل هو الكلمة الصالحة أو الكلمة الحسنة) مصداقُ ذلك ما جاء في الحديث الشريف من أنه ﷺ سُئل ما الفأل؟ فقال: ((الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ))[2] وجاء في حديث أنس رضي الله عنه أن الفأل: ((الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ))[3] ومن ثم يكون المراد بالتفاؤل: (انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظن بالله، وتوقع الخير بما يسمعه من الكلم الصالح أو الحسن أو الطيب)[4].

ثالثًا - من واجبات المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ فيما ورد عنه من الدعاء عند المريض:

لقد أمر الحق تبارك وتعالى باتباع هدي النبي ﷺ في كل ما ورد عنه من أقوال وأفعال فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[5] وقال ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[6].

قال ابن كثير: (أي: ما يقول قولاً عن هوى وغرض: "إن هو إلا وحي يوحى" أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موفرًا من غير زيادة ولا نقصان)[7]، فعلى

---

(١) المرجع السابق ١٠٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٥٥، ومسلم ٢٢٢٣.

(٣) أخرجه البخاري ٥٧٥٦، ومسلم ٢٢٢٤.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ١٠٤٦/٣.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٦) سورة النجم، آية: ٣، ٤.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٤٣/٧.

المدعوين الالتزام بما ورد عن النبي ﷺ في الدعاء عند زيارة المريض (بأن يقول "أي العائد" سبع مرات "أسأل الله العظيم" أي في ذاته وصفاته "أن يشفيك")[1].

وأن يقول "لا بأس طهور إن شاء الله" وذلك فضلاً عما ورد من أحاديث صحيحة في ذلك كقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ((ثم وضعَ يدَهُ على جبهتهِ، ثم مَسحَ يدَه على وَجهي وبَطني، ثم قال: اللهم اشفِ سعدًا، اللهم اشفِ سعدًا، اللهم اشفِ سعدًا))[2].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(إن الترغيب من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية في ترغيب المدعو وحمله على الاستجابة للامر المدعو إليه)[3]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي المهم في الحديث من قوله ﷺ - مرغبًا في الدعاء عند المريض على النحو المبين - "إلا عافاه الله من ذلك، المرض" أي: (أعطاه عافية تامة من ذلك المرض)[4].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: تكفير المرض للذنوب:

قد ورد هذا في بيانه ﷺ للأعرابي في أن مرضه سيكون سببًا في تكفير خطاياه إن شاء الله، وذلك في قوله ﷺ "لا بأس طهور إن شاء الله" قال ابن حجر: (في قوله ﷺ "لا بأس" أي: أن المرض يكفر الخطايا، فإن حصلت العافية فقد حصلت الفائدتان، وإلا حصل ربح التكفير، وقوله "طهور" أي هو طهور لك من ذنوبك أي مطهرة)[5].

فالمرض مطهر للذنب، مكفر للخطايا، وإن ظنه الإنسان كربًا وشدة، هكذا كان الرسول ﷺ يخبر المرضى ويعلمهم[6].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٧٠٩/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٥٩، ومسلم ١٦٢٨.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٤/١٠.

(٦) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٠١.

وقد استفاضت الأحاديث النبوية في بيان ذلك، فعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: ((مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلاَ نَصَبٍ، وَلاَ سَقَمٍ، وَلاَ حَزَنٍ، حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ إِلاَّ كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ))[1]، وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((لاَ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ مُصِيبَةٍ، حَتَّى الشَّوْكَةِ، إِلاَّ قُصَّ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ، أَوْ كُفِّرَ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ))[2].

وقال ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خيرًا يُصِبْ مِنْهُ))[3].

قال ابن حجر: (وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل مؤمن، لأن الآدمي لا ينفك غالبا من ألم بسبب مرض أو هم أو نحو ذلك مما ذكر، وأن الأمراض والأوجاع والآلام - بدنية كانت أو قلبية - تكفر ذنوب من تقع له)[4].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ ابْتَلاَهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ، إِلاَّ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي صِحَّتِهِ، مَا كَانَ مَرِيضًا، فَإِنْ عَافَاهُ، أُرَاهُ قَالَ: غَسَلَهُ))، وفي رواية: ((وَإِنْ قَبَضَهُ، غَفَرَ لَهُ، وإن شفاه غسله))[5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((ما من مرض يصيبني أحب إلي من الحمى، لأنها تدخل في كل عضو مني، وإن الله يعطي كل عضو قسطه من الأجر))[6].

فليعلم الإنسان أن الله تعالى رحمته واسعة، وأن فضله عظيم، فإذا ابتلى عبده فإنما هو لتكفير ذنوبه ورفع درجاته، فليصبر ويحتسب لينال الأجر والثواب.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٤١، ٥٦٤٢، ومسلم ٢٥٧٣ واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٧٢.

(٣) أخرجه البخاري ٥٦٤٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥١١/٣.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٠١، قال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح الأدب المفرد ٣٨٦).

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٠٣، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٣٨٨).

الحديث رقم (٩٠٨)

٩٠٨- وعنه: أنَّ النبي ﷺ دَخَلَ عَلَى أعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَنْ[1] يَعُودُهُ، قَالَ: ((لاَ بَأسَ؛ طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللّهُ)) رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

طهور: أي مطهر لك من ذنوبك[3].

الشرح الأدبي

لو راجعنا ما مضى من أحاديث في باب عيادة المريض لوجدناها تحصي زيارات للرسول ﷺ إلى مختلف طبقات الناس الغني، والفقير المسلم، وغير المسلم الكبار، والصغار، والصاحب، والأعرابي، وهو تطبيق عملي لتوجيهه بعيادة المريض، وفي هذا الحديث يزور أعرابياً، ويدخل عليه بالبشر، والسرور يسبقه ذكر لله، ويحدوه على مدار الأنفاس، وقوله (لاَ بَأسَ؛ طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللّهُ) فيها إيجاز بالقِصَر، وهو كثرة المعاني، وقلة الألفاظ، وفائدته المحافظة على نشاط النفس؛ لأن الكلام الموجز غير المخل المؤدي للغرض، والموصل للمعنى بأقصر عبارة أدعى للمحافظة على نشاط نفس المتلقي في متابعته، وإبعاد السأم، والملل عنه لاسيما المرضى، والأعراب، وقوله (لا بأس؛ طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللّهُ) لا بأس عليك مما تجده بل يكفر الله به ذنوبك ثم يفرج عنك فيجمع لك الأجر، ومغفرة الذنوب، وفيه فتح لباب الأمل في الشفاء من دائه، والطهارة من ذنوبه مما يساعد في تنشيطه، والتعبير بالطهور مبالغة في الطهر حتى تشمل الطهر

---

(١) لفظ البخاري في الموضعين ٥٦٥٦، و٣٦١٦: (مريض) بدل: (من).

(٢) برقم ٥٦٥٦، و٣٦١٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢٤.

القلبي باليقين بالله، والثقة في أنه الشافي، والطهر المعنوي بالنقاء من الذنوب، والطهر البدني من المرض.

فقه الحديث

بوّب النووي في الأذكار على هذا الحديث: باب استحباب تطييب نفس المريض[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٦٤-١٦٥ .

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٠٩)

٩٠٩- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن جبريلَ أتَى النَّبيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)) قَالَ: بِسْمِ الله أرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِسمِ اللهِ أُرقِيكَ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

أرقيك: الرقية: العوذة التي يرقي بها صاحب الآفة[2].

الشرح الأدبي

المعنى في الحديث يدور حول الرقية، وهي مظهر من مظاهر ارتباط المؤمن بربه، وارتباط المؤمن بأخيه الراقي له، وقد قام المعنى على الحوار بين رسول السماء إلى الأرض جبريل عليه السلام، و رسول الأرض للأرض محمد ﷺ، وسؤال جبريل عليه السلام، (اشتكيت) استفهام تقرير بغرض التحقيق، والتثبيت، وهو كناية عن المرض، والرقي التي ذكرها جبريل عليه السلام تتميز بعدة ميزات في بنائها التركيبي أولها أنها تحيط المريض بعناية الله عن طريق الإرصاد البديع حيث بدأت باسم الله، وانتهت بسم الله، والباء في البسملة للاستعانة بمعنى أبتدأ مستعيناً بسم الله. ثانيها أنها اعتمدت توكيد الوقاية، والمبالغة في الحفظ عن طريق الإطناب بذكر الخاص بعد العام عن طريق لفظ (كل) المضاف للنكرة (شيء) الذي شمل الحفظ من كل شر، ثم خصص من هذا العموم ما له مزيد تعلق بالضرر، وهو (كل نفس) وهو خصوص بالنسبة لما قبله؛ لأنه بعض من الشيء المستعاذ منه أولاً، وهو عموم بالنسبة لما بعده؛ لأنه

---

(١) برقم ٢١٨٦/٤٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ق ى).

جزء منه خصه بالذكر لمزيد الاهتمام، وهو نوع من ذكر الخاص بعد العام عناية به، وحاصل هذا الدعاء على هذا النسق أنه جعل له حماية مزدوجة حيث رقاه أولاً من شر كل شيء ثم خص من هذا العموم شر كل نفس لمزيد خطرها ثم خص من هذا العموم شر العين لمزيد خطرها على ما تقدم ثم عاد بالدعاء له بالشفاء مما حل به منها، ومن الملاحظ أن لفظ الجلالة (الله) تكرر فيه ثلاث مرات والمستعاذ منه الشر العام، وشر النفس، وشر العين.

فقه الحديث

استحباب الرقية بأسماء الله تعالى:

قال القرطبي عن حديث عائشة رضي الله عنها[1] وهو بمعنى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: (فيه دليل على استحباب الرقية بأسماء الله تعالى، وبالعوذة الصحيحة المعنى، وأن ذلك لا يناقض التوكل على الله تعالى ولا ينقصه)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: العلاج بالرقى لمن أصابه مكروه وبيان فضل ذلك.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان رقية جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: اليقين في أن الشفاء من الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: العلاج بالرقى لمن أصابه مكروه وبيان فضل ذلك:

ورد هذا في الحديث من قول أبي سعيد رضي الله عنه، "إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد اشتكيت؟ قال: "نعم" قال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك" قال القرطبي: (وفي الحديث دليلٌ على استحباب الرقية بأسماء الله تعالى وبالعُوذ الصحيحة المعنى، وأن ذلك لا يناقض

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٨٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥٦٣، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤/٧-١٤١/١٤١-١٤٢ .

التوكل على الله تعالى ولا ينقصه؛ إذ لو كان شيءٌ من ذلك لكان النبي ﷺ أحق الناس بأن يجتنب ذلك؛ فإن الله تعالى لم يزل يُرَقِّي نبيه ﷺ في المقامات الشريفة، والدرجات الرفيعة إلى أن قبضه الله على أرفع مقام، وأعلى حال، وقد رُقي في أمراضه، حتى في مرض موته ﷺ، فقد رقته عائشة رضي الله عنها في مرض موته، ومسحته بيدها وبيده[(١)]، وهو مُقرٌّ لذلك، غير منكرٍ لشيءٍ مما هنالك)[(٢)].

(والرقية قد تكون بكتابة شيء وتعليقه، وقد تكون بقراءة شيء من القرآن والمعوذات والأدعية المأثورة)[(٣)]، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ، نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ. فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ. لأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي))[(٤)].

قال النووي: (وفي هذا الحديث استحباب الرقية بالقرآن وبالأذكار، وإنما رقى بالمعوذات لأنهن جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً، ففيها الاستعاذة من شر ما خلق، فيدخل فيه كل شيء، ومن شر النفاثات في العقد، ومن السواحر، ومن شر الحاسدين، ومن شر الوسواس الخناس)[(٥)].

وقال صاحب عون المعبود: (قال القسطلاني: وفيه جواز الرقية لكن بشروط أن تكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية غير مؤثرة بنفسها، بل بتقدير الله عز وجل، وقال الشافعي: لا بأس أن يرقى بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله)[(٦)]. (وقد سئل مالك

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٥١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥٦٣ - ٥٦٤.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢٣/٩٦ نقلاً عن قواعد الفقه للمجددي.

(٤) أخرجه مسلم ٢١٩٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٧٢.

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٦٦٧.

عن الرقى بالأسماء العجمية، فقال: وما يدريك أنها كفر؟ ومقتضى ذلك أن ما جهل معناه لا يجوز الرقية به، مخافة أن يكون فيه كفر أو سحر وغير ذلك)[١].

وينبغي أن يكون العلاج بالرقى الشرعية بالقرآن الكريم وبما ورد عن النبي ﷺ في ذلك لكمال الشفاء وتمامه، قال ابن القيم: (فقد مرّ بي وقت في مكة سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بالفاتحة، آخذ شربة من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مرارًا، ثم أشربه، فوجدت بذلك البراء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع)[٢]، (وقد تضمنت الفاتحة لجميع معاني كتب الله، المشتملة على ذكر أصول أسماء الرب ومجامعها وهي: الله والرب والرحمن والرحيم، وإثبات المعاد، وذكر التوحيدين: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية؛ وذكر الافتقار إلى الرب سبحانه في طلب الإعانة، وطلب الهداية.

وبالجملة: فما تضمنته الفاتحة: من إخلاص العبودية، والثناء على الله، وتفويض الأمر كله إليه، والاستعانة به والتوكيل عليه؛ وسؤاله مجامع النعم كلها، وهي: الهداية التي تجلب النعم، وتدفع النقم - من أعظم الأدوية الشافية الكافية وقد قيل: إن موضع الرقية منها: "إياك نعبد وإياك نستعين" ولا ريب أن هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء هذا الدواء؛ فإن فيهما -: من عموم التفويض والتوكل، والالتجاء والاستعانة، والافتقار والطلب، والجمع بين أعلى الغايات، وهي: عبادة الرب وحده، وأشرف الوسائل، وهي: الاستعانة به على عبادته - ما ليس في غيرها)[٣]. وفي ذلك بيان الفضل وأهمية العلاج بالرقية الشرعية.

ثانيًا - من مهام الداعية: بيان رقية جبريل عليه السلام للنبي ﷺ:

إنه ينبغي على الداعية بيان رقية الأمين جبريل عليه السلام للنبي ﷺ عندما اشتكى ﷺ من وجع أو مرض ليستفيد بها الناس، وفي بيان ذلك قال ابن عثيمين:

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٣/٩٧.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/١٧٨.

(٣) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي، ١٥١ - ١٥٢.

(وفيه دليل على أنه ينبغي أن نقرأ على المريض بهذه الرقية "بسم الله أرقيك" يعني: اقرأ عليك "من كل شيء يؤذيك" من مرض، أو حزن، أو هم، أو غم... إلخ "من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك" "من شر كل نفس" من النفوس البشرية أو نفوس الجن أو غير ذلك، أو "عين حاسد" أي: ما يسمونه الناس بالعين)[١].

قال النووي: (... فإن النفس تطلق على العين ويقال: رجل نفوس إذا كان يصيب الناس بعينه)[٢]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[٣]، وقال القرطبي وفي الحديث (دليل على أن الحسد يؤثر في المحسود ضررًا يقع به؛ إما في جسمه بمرض، أو في ماله وما يختص به بضرر، وذلك بإذن الله تعالى، ومشيئته، كما قد أجرى عادته، وحقق إرادته، فربط الأسباب بالمسببات، وأجرى بذلك العادات، ثم أمرنا في دفع ذلك بالالتجاء إليه، والدعاء، وأحالنا على الاستعانة بالعوذ والرقى)[٤] (وقول: الله يشفيك، أي يبرئه ويزيل سقمه "بسم الله أرقيك" فبدأ بالبسملة في أول الدعاء وفي آخره)[٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: اليقين في أن الشفاء من الله:

هذا ما بينه جبريل عليه السلام في قوله: "بسم الله أرقيك... الله يشفيك..."، والأصل في ذلك قول الحق تبارك وتعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[٦] قال ابن كثير (أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه)[٧]، وقد أجمع العلماء على أن من شروط جواز

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٧٩/٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي، ١٣٦٧.

(٣) سورة الفلق، آية: ٥.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٦٤/٥.

(٥) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١١٧٩/٢.

(٦) سورة الشعراء، آية: ٨٠.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٤٧/٦.

الرقية (أن يعتقد أن الرقية لاتؤثر بذاتها، بل بذات الله تعالى وقدرته، لما روى عوف بن مالك ﷺ قال: ((كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ ﷺ: اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ. لاَ بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ))[1][2].

(١) أخرجه مسلم ١٧٢٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٤٦/٣

الحديث رقم (٩١٠)

٩١٠- وعن أَبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رسول الله ﷺ، أنّه قَالَ: ((مَنْ قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَاللهُ أكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ أنَا وأنَا أكْبَرُ[1]. وَإذَا قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: يقول: لاَ إلهَ إلاَّ أنَا وَحْدِي لا شَرِيكَ لِي. وَإذَا قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ أنَا لِيَ المُلْكُ وَلِيَ الحَمْدُ. وَإذَا قَالَ: لاَ إله إلاَّ اللهُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ، قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ أنَا وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بي)) وَكَانَ يقُولُ: ((مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

صورت عبارة الرسول ﷺ في قوله: (تطعمه النار) النار في خيال المخاطبين بوحش يتناول طعامه بشراً أحياء عن طريق الاستعارة في الفعل المضارع (تطعمه) الذي ساعد على تحريك الصورة التي تهز الوجدان، بمشهد الدخول في النار، مما يجعل المخاطب يعود سريعاً إلى حرف النفي (لم) وما سبقه من الذكر الذي يحجب، وإذا راجعنا تركيب هذا الحجاب العظيم من النار وجدنا جمله تشترك في عدة خصائص بلاغية: منها قيامها على أسلوب القصر الحقيقي التحقيقي والذي يكون النفي فيه عاماً شاملاً لكل ما سوى المقصور فيفرد الله بالصفة، وينفيها عن كل ما سواه، وتحقيقي؛ لأنه مطابق للواقع لأن الله هو المتصف بهذه الصفات في الحقيقة، والواقع، ومنها: أن كل جملة شملت إقراراً من العبد بمضمونها، وتوكيداً من الله لهذا المضمون، وفي هذا

---

(١) عند الترمذي زيادة: (وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، قال: يقولُ: لا إله إلا أنا وحدي).

(٢) برقم ٣٤٣٠ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٨٥١، وقال الحاكم ١/٥: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٠١.

تجاوب بين العبد، وربه في توحيد خالص من العبد يشمله رضا من الرب، وبالنظر في الألفاظ نجد أنه تشع بمعاني الإخلاص لله تعالى كالألوهية، والوحدانية، والقدرة، والحول، والقوة، والملك، والحمد، وهذه العناصر جعلتها حجاباً من هول نار تطعم البشر.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ذكر الله.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان فضل الذكر.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التبشير.

أولاً - من موضوعات الدعوة: ذكر الله:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "من قال: لا إله إلا الله، والله أكبر، صدقه ربه.. إلخ الحديث"، قال ابن القيم: (وذكر الله هي منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون، والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا...، فبه يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات. إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون...، وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها)[1].

(وهو قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقوة الأبدان، وحبيب الرحمن، إنه درع المؤمن وسلاح المسلم، وقوّة الموحد، ورفعة العابد، وطيب النفوس، وجلاء الهموم، وذهاب الغموم.

إذا مرضنا تداوينا بذكركمُ   فنترك الذكر أحيانًا فننتكس

...، به تعظم القربات، وتعلو الدرجات، وتدفع الآفات، وتجلب البركات، وتُجلى

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٥٨/٣ - ٢٥٩.

الظلمات، ملجأ في النوازل، ومفزع في المخاطر، وملاذٌ في الشدائد، إنه عبودية القلب واللسان، لا حدّ لها ولا وقت، ولا عذر لمن تركها، فهو سمة المؤمن في كل أحواله قائمًا وقاعدًا، مفيقًا وراقدًا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[1].

قلوب المحبين لا تطمئن إلا بذكره، وأرواح المشتاقين لا تسكن إلا برؤيته ...، والذكر برهان على الحب، وغراس للجنة، وضمان للمغفرة، يجلو صدأ القلوب، ويزيح غشاوة الأبصار، ويفتح آفاق الأذهان، ويزيل وقر الأسماع، وبكم الألسن، يزين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين)[2].

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالإكثار من ذكره فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[3]، قال ابن كثير: (يقول تعالى آمرًا المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى، المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن، لما لهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب)[4].

وقال ابن كثير: (قال ابن عباس في قوله تعالى: "اذكروا الله ذكرًا كثيرًا" إن الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه، إلا مغلوبًا على تركه فقال ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾[5] بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال)[6].

---

(١) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٢) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر مسفر الزهراني ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٤١ - ٤٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٣١/٦.

(٥) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٣٣/٦.

وقال السعدي: (يأمر تعالى المؤمنين، بذكره ذكرًا كثيرًا، من تهليل، وتحميد، وتسبيح، وتكبير وغير ذلك، من كل قول فيه قربة إلى الله. وأقل ذلك أن يلازم الإنسان أوراد الصباح، والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب. وينبغي مداومة ذلك، في جميع الأوقات، على جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل، وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح، "وسبحوه بكرة وأصيلا" أي: أول النهار وآخره، لفضلهما، وشرفهما، وسهولة العمل فيهما)[1].

ثانيًا – من مهام الداعية: بيان فضل الذكر:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ: "...، من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار" قال الطيبي: (أي لم تأكله، استعار الطعم للإحراق مبالغة)[2] وقد بين تعالى عظم فضل ذكره، بأن علق الفلاح على الإكثار منه، فقال: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3] وأثنى على أهله، وحسن جزائهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[4] ومن عظم فضل ذكر الله، نجده تعالى يختم به الأعمال الصالحة، فقد ختم به الحج في قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦١٤.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٨٣/٥.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾[١].

قال ابن كثير: (يأمر تعالى بذكره والإكثار منه بعد قضاء المناسك وفراغها، وقوله "كذكركم آباءكم" هو كقول الصبي أبي أمي، يعني كما يلهج الصبي بذكر أبيه وأمه، فكذلك أنتم فالهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك)[٢].

قال ابن القيم: (وفيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة، لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله، وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة، ثم أعرض عنه لحظة، لكان ما فاته أعظم مما حصل)[٣].

وختم تعالى به الصلاة كقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾[٤] وختم تعالى به الجمعة فقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٥] قال الطبري: (أي: واذكروا الله كثيرًا بالحمد له، والشكر على ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه، لتفلحوا فتدركوا طلباتكم عند ربكم، وتصلوا إلى الخلد في جنانه)[٦].

وقد قرنه تعالى بالجهاد، وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران، ومكافحة الأعداء فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٦١/٢.

(٣) بدائع التفسير، ابن القيم، جمع: يسري السيد أحمد، ٣٨٩/١.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٥) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٤٤/٢٢.

تُفْلِحُونَ ﴾(١) قال القرطبي: (للعلماء في هذا الذكر ثلاثةُ أقوال: الأول: اذكروا الله عند جَزَعِ قلوبكم، فإنَّ ذكره يعين على الثبات في الشدائد. الثاني: أُثبتوا بقلوبكم، واذكروا بألسنتكم؛ فإن القلب قد يَسْكن عند اللقاء ويضطرب اللسان، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر، ويقول ما قاله أصحاب طالوت: ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٢).

وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتِّقاد البصيرة، وهي الشجاعة المحمودة في الناس. الثالث: أُذكروا ما عندكم من وَعد الله لكم في ابتياعه أنفسكم ومُثامنته لكم. قلت: والأظهرُ أنه ذِكرُ اللسان الموافقُ للجنان. قال محمد بن كعب القُرَظي: لو رُخِّص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا، يقول الله عز وجل: ﴿ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا ﴾(٣) ولرخص للرجل يكون في الحرب، يقول الله عز وجل: ﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٤))(٥).

وقد أكد النبي ﷺ على عظم فضل ذكر الله فقال: ((لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))(٦).

وقال ﷺ: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أعمَالِكُمْ وأزْكَاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٤١.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٩/١٠.

(٦) أخرجه مسلم ٢٧٠٠.

فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قالُوا بَلَى، قالَ ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى))[١].

قال المباركفوري: (في قوله ﷺ "وأزكاها" أي أنماها وأنقاها، والزكاء النماء والبركة" وخير لكم من إنفاق الذهب والورق "بكسر الراء ويسكن أي خير لكم من إنفاق الذهب والفضة...إلخ)[٢].

(وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده)[٣]، فعلى الداعية بيان عظم فضل ذكر الله، لما في ذلك من كامل الأجر، والفلاح في الدنيا والآخرة.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: أسلوب التبشير:

قد ورد التبشير كأسلوب دعوي في الحديث من قوله ﷺ "من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار" والتبشير من الأساليب الدعوية المهمة التي يكون بها تأليف القلوب وحملها على سرعة الامتثال للأمر المدعو إليه، لما في ذلك من عظم الأجر وجزيل الثواب. وهذا ما ورد في الحديث، تبشير المدعو على كثرة ذكر الله تعالى وعدم طعم النار له، وفي ذلك بشارة عظيمة يتمناها كل مسلم.

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٨).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٢٤/٢.

(٣) الفوائد، ابن القيم، ٢٧٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- تعهد المتربين والسؤال عن أحوالهم:

لقد كان من هدي رسول الله ﷺ في التربية أنه كان يتعهد أصحابه ويسألهم عن أحوالهم، سواء أكانت تتعلق بالعبادة أم ما يتعلق بحياتهم وما يعرض لهم من أزمات وعوارض كالمرض والحاجة ونحو ذلك، والعمل على حلها والمساعدة في تخطيها والتغلب عليها، كما هو واضح في أحاديث الباب من خلال تعهده ﷺ لمن يمرض من صحابته، كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عادني رسول الله ﷺ فقال اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعداً"، وكما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده وكان إذا دخل على من يعوده قال له: "لا بأس طهور إن شاء الله".

لذا كان من تمام التربية وكمال الفضل أن يتفقد المربي تلاميذه وطلابه ويتعهدهم بالسؤال والزيارة ويعود مرضاهم ويتعهدهم بالسؤال والزيارة، ويعود مرضاهم مع مراعاة آداب عيادة المريض من "خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة، والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع" [1]، وغير ذلك من الآداب.

وهذا التعهد لا يقتصر على ما تنزل بهم من نوازل وأزمات، وإنما ينبغي أن يتعهدهم في كل ما فيه مصلحتهم فيسألهم عن أحوالهم وعباداتهم تنشيطاً لهم ورفعاً لهمتهم في الطاعة والعبادة .

ومن شواهد ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِماً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِيناً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضاً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ النَّبِي ﷺ : «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

---

(١) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حَويَّ، ص٤٥٨.

فهذا أدب حسن للمربين في تعهد مَنْ يقومون بتربيتهم فينظرون للمقصر في الطاعة والعبادة، فيخصونهم بمزيد من الاهتمام والنصح، وكذا يثنون على من ينشط للطاعة ويبشرونه بالخير[(١)].

ثانياً: التربية بالتلقين:

من أساليب التربية والبناء العملي والفكري، اتباع أسلوب التلقين والحفظ، خاصة في مثل الكلمات التي تُرَدّد بنصها كالأدعية المأثورة ونحوها، وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التلقين في أحاديث الباب في تعليم الصحابة الأدعية التي تقال عند المرض، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً ، لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ؛ أَنْ يَشْفِيكَ، إلا عَافَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ ذَلِكَ المَرَضِ». وكذلك حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلاّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ. صَدَّقَهُ رَبُّهُ وَقَالَ لا إِلَهَ إِلاّ أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ ....».

وقد ورد أسلوب التلقين في رقية جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: «يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ » قَالَ: بِاسْمِ اللّهِ أَرْقِيكَ. مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ. مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللّهُ يَشْفِيكَ. بِاسْمِ اللّهِ أَرْقِيكَ».

لذا ينبغي على المعلمين ألا يغفلوا أسلوب التلقين في نقل المعلومات وإلى من يقومون بتعليمهم خاصة إذا كانوا في المراحل العمرية الأولى.

إذ أنه في المرحلة العمرية الأولى "يسهل تلقين الطفل المعلومات الأساسية بحيث يحفظها كما لُقنها، وإذا لقن الطفل المعلومات بطريقة جيدة فإنها تنطبع في ذهنه ولا يكاد ينساها بمرور الزمن، وخاصة عند مراجعتها بين الحين والآخر، ولذلك ينبغي أن تستغل هذه الفترة في تلقين الطفل للقرآن الكريم ويبدأ بالحفظ من قصار السور، مع

---

(١) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ٢٧٦، ٢٧٧.

الاستعانة في ذلك بما ظهر من الأجهزة كالمسجلات وأجهزة الحاسب، ونحو ذلك، ويلقن الطفل في هذه المرحلة بعض الأحاديث القصيرة التي فيها كليات العقيدة والأدعية والآداب"[1].

ثالثاً- التربية بالقدوة والممارسة العملية:

يعد أسلوب الممارسة العملية من الأساليب التربوية الناجحة، والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية، كإتقان العمل وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج وشعور الإنسان بالمسئولية عن صحة العمل وحب العمل واستبعاد الغرور، وترك الكسل والتواكل وغير ذلك، لذا كان أسلوب الممارسة العملية أهم أساليب التربية الإسلامية"[2].

وجاء هذا الأسلوب جلياً واضحاً في أحاديث الباب فلم يكتف الرسول ﷺ بالإرشاد إلى عيادة المريض وتلقين الناس الرقى التي يقولها المريض أو مَنْ يعوده، كما في قوله ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً، لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللّٰه العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ؛ أَنْ يَشْفِيكَ، إلا عَافَاهُ اللّٰه تَعَالَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ المَرَضِ».

بل جمع إلى ذلك الممارسة العملية، ليكون ذلك قدوة حية ومثلاً كريماً يحتذى به، ونرى ذلك في عيادته للمريض ورقيته، سواء كانت لنفسه أو لمن يمرض من أهله أو من أحد من المسلمين، ومن دلائل ذلك حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي ﷺ: بأصبعه هكذا، ووضع سفيان بن عيينة الراوي سبَّابته بالأرض، ثم رفعها وقال: «بِسْمِ اللّٰهِ تُرْبَةُ أَرْضِنا بِرِيقَةِ بَعْضِنا يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنا بإذْنِ رَبِّنا».

وكذا حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عاداني رسول الله ﷺ فقال: "اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعداً"، وكانت عيادته ﷺ للمرضى غير قاصرة على أهله أو كبار صحابته وإنما كانت تعم الجميع دون النظر إلى المستوى والفوارق الاجتماعية،

---

(١) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ص٣٤.

(٢) انظر: التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، د. عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٤٢.

ومن دلائل ذلك في الباب حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أعرابي يعوده وكان إذا دخل على من يعوده قال له: "لا بأس طهور إن شاء الله".

وهكذا يعلمنا رائد التربية الإسلامية ومعلم البشرية صلى الله عليه وسلم أن نتعلم ونمارس ما نتعلم وأن نعمد إلى تعليم وتربية المتعلمين والمتربين بالأسلوب العملي، كما ينبغي على المربي المسلم أن يدرك أن تلاميذه إنما يحسن تعليمهم إذا هم مارسوا ما تعلموه من خلال خبرتهم وتجربتهم المباشرة.

وخلاصة ما سبق أن "أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قريناً للعلم وقائماً على أساسه، وهو دين يجعل العمل أساساً للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة، فإن كان خيراً فخير وصلاح وفوز ونجاح وإن كان شراً فشر وخسران، ويطالب الدين الإسلامي كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقاً عملياً سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة، وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشئون الحياة الدنيا"[1].

رابعاً- التربية على التوجه إلى الله والدعاء إليه:

إن من أهداف التربية الإسلامية تربية المسلم على أن تكون علاقته مباشرة بالله، يلجأ إليه في كافة الظروف وفي جميع الأحوال يسأله مباشرة دون حاجة إلى واسطة ولا استئذان في الليل أو النهار، في البر أو البحر، أو الجو، يظهر الضعف والفقر إلى الله يرجو رحمته ويخاف عذابه.

وفي أحاديث الباب وتعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة للرقية التي تنطق ألفاظها بالتوجه إلى الله تعالى ما يدل على ذلك، فهو صلى الله عليه وسلم يأمر بالتوجه إلى الله تعالى مباشرة سواء كان في ممارساته العملية أو تعليمه للناس، كما في حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً، لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ؛ أَنْ يَشْفِيكَ، إلا عَافَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ ذَلِكَ

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٧٧-١٨٠.

المَرَضِ». وفي ذلك تعليم للمسلم أن يتذكر قدرة الله تعالى ويلتجئ إليه ويدعوه دونما شفيع أو وسيط فإن الإسلام يرفض الشفعاء والوسطاء.

"إن التوجه إلى الله تعالى ودعاءه توثيقٌ لصلة العبد بالله تعالى في كل حين إلى جانب الصلاة والصوم والحج، إذ أن علاقة الإنسان بالله تعالى تحتل مساحة واسعة في التوجيه الإسلامي خلافاً للفلسفات المادية الحديثة التي ركزت على علاقات الإنسان المادية بالطبيعة، والمجتمع وأهملت علاقته بالله تعالى، ولاشك أن علاقة الإنسان بالله تنعكس على علاقاته الاجتماعية والكونية"[1].

خامساً- التكرار المنظم:

من الأساليب التربوية التي وردت في أحاديث الباب "أسلوب التكرار" وذلك ما نلحظه في إرشاده ﷺ إلى الرقية بألفاظ تكرر ألفاظها سواء كان هذا التكرار مطلقاً دونما تقييد بعدد، كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال عادني رسول الله ﷺ فقال: "اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعدًا" فنجد أن الرسول ﷺ "كرر الدعاء لمزيد الاعتناء بسعد رضي الله عنه وللمبالغة في الدعاء رجاء تحققه"[2]. أو كان التكرار مقيداً بعدد، كما في حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال من عاد مريضاً لم يحضره أجله فقال عنده سبع مرات أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عافاه الله من ذلك المرض".

لذا ينبغي على المعلم الاستفادة من هذا المنهج النبوي القويم، فينبغي عليه "تكرار الأشياء المهمة والأشياء الصعبة بألفاظ وأساليب مختلفة تأكيداً لأهمية الشيء، حتى ينبه السامعين للإصغاء بإمعان وتدبر وحتى يسمعها من لم يسمعها، وحتى تفهم فهماً جيداً دون لبس أو غموض، وحتى يكون الكلام أوقع في نفوس السامعين، ويبلغ منهم كل مبلغ.

---

(١) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٩٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٥٠٠.

إن التكرار من الأساليب التعليمة المستخدمة لتثبيت التعلم، والمعلم يقوم بتكرار الأمور الهامة في الموضوع تمكيناً للسامعين لفهمها واستيعابها، ولكي يعرف الطلبة الأفكار الهامة أو العناصر الأساسية في الموضوع، وليكون أوضح دلالة على ما يريد تعليمه لهم"[١].

سادسًا- من الأساليب التربوية:

وردت في الأحاديث عدة أساليب تربوية، يجدر بالمعلم أن يستخدمها، من ذلك:

أ-التربية بالممارسة العملية والتجربة: كما في حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: اللهم رب الناس أذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سَقَما.

والممارسة العملية تكون من خلال قيام المعلم ببعض الأفعال التدريسية عن طريق استخدام الموارد المتاحة لديه حتى يمكنه إكساب المتعلمين بعض المهارات اللازمة لهم في أمور حياتهم.

ب-استخدام موارد المجتمع المحلي: كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جُرْح قال النبي ﷺ بأصبعه هكذا -ووضع سفيان بن عيينة الراوي سبابته بالأرض ثم رفعها- وقال: "بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضها يشفى به سقيمنا بإذن ربنا".

ويمكن للمعلم أن يستعين ببعض الموارد الموجودة في المجتمع المحيط للمدرسة في تحقيق أهدافه التربوية من التدريس ويدخل ذلك في نطاق المشاركة المجتمعية.

ج-التربية بالمواقف والأحداث: كما في حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده فقال له رسول الله ﷺ ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثًا وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" والمعلم البارع هو الذي يستثمر المواقف المختلفة لغرس الأهداف

---

(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان، ص٢١٦، ٢١٧.

التربوية فيهم، وتعليمهم المهارات والمعارف المطلوبة.

د-الحوار والمناقشة: كما في قول أنس رضي الله عنه لثابت، ألا أرقيك برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: بلى. قال: اللهم رب الناس مذهب البأس اشفِ أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقمًا.

وأسلوب المناقشة والحوار من شأنه تفعيل موقف المتعلم في العملية التعليمية وينقله من المتعلم السلبي إلى المتلقي الإيجابي والمشارك الفعال في موقف التعليم والتعلم.



١٤٦- باب استحباب سؤال المريض عن حاله

الحديث رقم (٩١١)

٩١١- عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما : أنَّ عليَّ بْنَ أَبي طالب رضي الله عنه ، خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رسولِ الله ﷺ ، في وَجَعِهِ الَّذي تُوُفِّيَ فيهِ، فقالَ النَّاسُ: يا أَبَا الحَسَنِ، كَيْفَ أصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئًا. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

بارئًا: أي معافى[2]، فاعل بمعنى مفعول.

الشرح الأدبي

الظرف عند المضاف للرسول ﷺ يوحي بشرف المكان، وبيان المخرج، وقوله (في وجعه) يشير إلى خصيصة في المرض وهي الوجع، الألم، ويوحي باشتداد المرض، وقوله الذي توفي فيه تؤكد ذلك، وقوله (فقال الناس) يشير إلى الحال العامة بانشغال الناس بمرض الرسول ﷺ واستفهامهم (كَيْفَ أصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟) يفصح عن هذا المصاب الجلل فالواحد منهم يفديه بأهله، ونفسه، وماله، وقول الإمام علي - كرم الله وجهه - (أصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئاً) أي معافى مما يعتري المريض من الهم، والقلق، أو هو من باب التفاؤل.

---

(١) برقم ٤٤٤٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر أ)، وانظر دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٧.

فقه الحديث

بوّب النووي في الأذكار على هذا الحديث: باب استحباب سؤال أهل المريض وأقاربه عنه وجواب المسؤول[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: استحباب سؤال أهل المريض عن حاله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: مواساة المدعوين فيما أصابهم.

أولاً- من آداب المدعو: استحباب سؤال أهل المريض عن حاله:

هذا واضح من سؤال الصحابة عليًا عن حال النبي ﷺ في مرضه. قال ابن عثيمين: (ففيه دليل على أنه إذا لم يمكن الوصول إلى المريض، فإنه يسأل عنه من يراه من أقاربه أو غيرهم ليطمئن الإنسان. وفي وقتنا الحالي حصل - ولله الحمد - الاتصال بالهاتف، فإن الإنسان إذا لم يتمكن من الذهاب إلى المريض بنفسه، فهذا الهاتف يدخل على البيوت بدون استئذان، لهذا نقول إذا لم تتمكن من عيادة المريض بنفسك، فإنك تتصل بالهاتف وتسأل عن حاله، ويكتب لك الأجر بذلك إن شاء الله تعالى، والله الموفق)[٢].

وقال ابن علان: (يؤخذ منه استحباب السؤال عن حال المريض إذا عسر الوصول إليه لعارض، كغلبة مرض أو شرب دواء، فيسن سؤال أهله حينئذ عن حاله، قال ابن حجر الهيتمي: وهذا الندب وإن لم يصرح به أصحابنا لكنه ظاهر المعنى، لأن المريض إذا بلغه ذلك سرّ به)[٣].

قال ابن القيم عن فائدة زيارة المريض -وينسحب هذا على ما قد يقوم مقامها

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٥٨ .

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٨١/٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٧.

كالسؤال عنه إذا تعذرت الزيارة-: (وقد شاهد الناس كثيرًا من المرضى تنتعش قواه بعيادة من يحبونه ويعظمونه، ورؤيتهم لهم ولطفهم بهم، ومكالمتهم إياهم، وهذا أحد فوائد عيادة المرضى التي تتعلق بهم، فإن فيها أربعة أنواع من الفوائد: نوع يرجع إلى المريض، ونوع يعود على العائد، ونوع يعود على أهل المريض، ونوع يعود على العامة)[١].

والسؤال عن المريض من الآداب التي تناسب عصرنا الحاضر، خاصة في بعض الأحيان يكون المريض حالته حرجة، ويمنع الأطباء من زيارته، خوفًا من أن يزداد مرضه.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

هذا واضحٌ من سؤال الصحابة ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ: (يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ: فأجابهم عن سؤالهم هذا بأن أخبر أنه ﷺ أصبح بحمد الله بارئًا "أي قريبًا من البرء بحسب ظنه أو للتفاؤل، أو بارئًا مما يعتري المريض من قلق وغفلة"، وفيه أنه ينبغي لمن يسأل عن حال المريض أن يجيب بمثل ما ذكر فيه، مما يشعر برضا المريض بما هو فيه عن الله تعالى، وأنه مستمر على حمده وشكره، لم تغيره عنه شدة ولا مشقة، وبما يؤذن بخفة مرضه وقرب عافيته[٢].

قال ابن هبيرة: (فيه من الفقه جواز الإخبار عن حال المريض بأحسن ما يخبر به رجاءً للبرء، فإنه قال: "أصبح رسول الله ﷺ بارئًا" وبارئًا اسم فاعل، واسم الفاعل فعله لما يستقبل من الزمان، فهو يعني إن شاء الله بارئًا)[٣].

فأسلوب السؤال والجواب من اساليب الدعوة التي لها قيمة تأثيرية عظيمة، لدى طارحي الأسئلة، الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين...، وخاصة أن من طبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم على من

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١١٦/٤.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٧.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٦٤/١.

يحترمونه ويقدرونه، ويثقون بعلمه وأمانته.. فهم إذا تلقوا منه الجواب تلقفوه تلقفًا، لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه [(١)].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: مواساة المدعوين فيما أصابهم:

لقد سأل الصحابة ﭫ عن حال النبي ﷺ في مرضه، وهذا السؤال من محاسن الأخلاق ومكارم الشمائل، لأن في ذلك مواساة للمريض وأهله، وإشعارًا لهم بأن المجتمع معهم يواسيهم ويشاركهم ما هم فيه من محنة وتعب. ولاشك أن هذا يساعد على نشر روح الود والمحبة والتآلف بين المجتمع، فضلاً عن أنه يظهر المجتمع وحدة مترابطة يخاف بعضها على بعض، ويشارك بعضها بعضًا الآلام والمسرات والأحزان والأفراح، يقول ابن القيم عن أنواع المواساة: (المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم.

وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت. وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلأتباعه من المواساة بحسب اتّباعهم له. ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تجرد وهو ينتفض فقالوا: ما هذا يا أبا النضر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم، وليس لي ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم في بردهم)[(٢)].

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة الميداني ص ٥٨.

(٢) الفوائد ٢٤٦ - ٢٤٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التفاؤل:

إن من أهداف التربية الإسلامية السامية بعث روح التفاؤل في النفوس، إذ أن التفاؤل "يبعث في النفوس الأمل والراحة، ويغمرها بالدعة والطمأنينة، ويزيل عنها الغم والحزن ويقتل فيها اليأس والقنوط ويحيي فيها روح التفاؤل والعمل"[(١)].

إن الناس بحاجة إلى غرس التفاؤل في نفوسهم، ونرى ذلك في الباب في إجابة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه عمن سأله عن رسول الله ﷺ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً» .

ففي هذا الحديث إرشاد إلى "تحسين الإجابة تفاؤلاً وإشعاراً بالرضى بقضاء الله تعالى وشكره على السراء والضراء، وكذلك يجيب المريض عن حاله، بمثل هذه الجملة الطيبة"[(٢)].

إن غرس التفاؤل في نفوس الناس -خاصة المتربين- له أكبر الأثر وأنفعه في الحياة، إذ أن "النفوس المتعبة المريضة القلقة الخائفة المتشائمة المتطيرة المرتبكة المترددة الخائرة الحائرة يصعب على المربي تربيتها وقيادتها، مثل ما يصعب عليها هي أن تؤدي دوراً فاعلاً وإيجابياً تنفع به نفسها أو تنفع به غيرها..

لذلك كان من أهداف التربية الإسلامية، أن تكون النفوس دائمة البشر إيجابية التفكير، نشطة وصحيحة، قوية وشجاعة، متفائلة ومتطلعة، مطمئنة إلى طريقها واثقة من نفسها، حتى تُبنى وتتكون وتزداد فيها معالي الأمور وصفات الكمال ويبنى بها أمة كريمة ودولة عظيمة"[(٣)].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في الإسلام، د. زياد محمود العاني، ص٢٣٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٥٠٢.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص٢٢٩-٢٣٢.

ثانياً- التربية على توثيق العلاقات بين الناس:

من المضامين التربوية التي يحملها حديث الباب في طَيَّاته التربية على توثيق العلاقات الاجتماعية بين الناس والتي من أسبابها عيادة المريض، والسؤال عن حاله تضامناً معه ومع أهله، وتأتي أهمية السؤال عن المريض في أن المريض قد يُحال بين الناس وزيارته، لما قد يقتضيه طبيعة المرض أو المكان والكيفية التي يعالج بها فإذا كان الأمر كذلك فلا أقل من سؤال أهله عنه والاطمئنان عليه.

وقد عبَّر الصحابة بصورة حية عن اهتمامهم برسول الله ﷺ وسؤال ابن عمه وزوج ابنته علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونرى ذلك في صريح قول ابن عباس رضي الله عنهما: إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ...".

لقد بات معلوماً في التربية الإسلامية خاصة الاجتماعية منها أن عيادة المريض والسؤال عنه "من الآداب التي توثق العلاقات بين الناس وتقوي المعنويات العامة وترفع روح المجتمع وتنهض به"[1].

وتلك الآداب والتوجيهات لا تقتصر على النواحي المادية فحسب، وإنما تمتد لتشمل التكافل المعنوي والأدبي وغيرهما، "فربما يكون الإنسان قد حيره أمر من الأمور ينقصه الرأي السديد، وفي هذه الحالة يكون تفريج كربه بإدلاء المشورة والنصيحة له فيما يعود عليه بالنفع والخير، كما أن زيارة الإنسان المسلم لأخيه المريض وسؤاله عنه يعتبر تنفيساً لهمه وضيقه، لما يترتب على ذلك من تسلية للمريض، وتذكير له على أن ما يصيبه في هذه الدنيا يكون له فيه الأجر العظيم إذا كان صابراً محتسباً"[2].

ولقد بين لنا رسول الله ﷺ قيمة رفع الروح المعنوية وتسلية المريض والتخفيف عنه وعن أهله سواء بزيارته أو بالسؤال عنه والاهتمام به بقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٢٦١.

(٢) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص٣٦٨.

الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟». فهل هناك فضل أعظم وأجر أكبر من ذلك؟!.



١٤٧- باب مَا يقوله مَن أيس من حياته

الحديث رقم (٩١٢)

٩١٢- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إلَيَّ، يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بالرَّفِيقِ الأَعْلَى)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الموقف الذي تحكيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يعكس المودة، والرحمة، والحنان التي جعلها الله بين الزوجين والذي يدل عليه قولها (وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إلَيَّ) وقوله ﷺ (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بالرَّفِيقِ الأَعْلَى) اللهم نداء خاشع، ودعاء خاضع، وقوله (اغفر لي) أمر أريد به الدعاء، والمغفرة من الغفر، وهو الستر، والتغطية، وطلبه المغفرة يعلمنا أن نتهم أنفسنا، فهو الذي لم يذنب قط، يدعوا بالمغفرة فكيف بالخطأ، وقوله (وارحمني) استشعار لموجبات أسماء العزة، والجبروت، وبصيرة بمظاهر القدرة في الملكوت، وما ينتظر الناس من أهوال في المواقف وقوله: (وَأَلْحِقْنِي بالرَّفِيقِ الأَعْلَى) كناية عن محبته لربه، وشوقه للقائه، والتعبير بالإلحاق رغبة في إدراك سابق، وذكر الرفيق يثير في النفس معاني الشفقة، والرفق، والرأفة، ووصفه بالعلو يعطيه أبعاداً إيحائية تتخطى حدود أهل الأرض حيث يجب أن يكون خير خلق الله في منزلته عند ربه.

فقه الحديث

تقدم بالأرقام ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٧٤، ومسلم ٢٤٤٤/٨٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار عائشة ﵂ بدعاء النبي ﷺ في مرضه الأخير.

ثانيًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في دعائه.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الدعاء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إخبار عائشة ﵂ بدعاء النبي ﷺ في مرضه الأخير:

فقد قال ﷺ: (اللهمَّ اغفِرْ لي وارحمني وألْحِقْني بالرفيق الأعْلَى) وقد أخرج البخاري في كتاب المغازي في باب مرض النبي ﷺ ووفاته[1] أحاديث، منها الأحاديث التالية:

قالت عائشة ﵂: ((كنتُ أسمعُ أنَّهُ لا يموتُ نبيٌّ حتى يُخيَّرَ بين الدنيا والآخرة؛ فسمعتُ النبيَّ ﷺ يقول في مرضِهِ الذي مات فيه - وأخَذتهُ بُحَّةٌ - يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾[2]، فظننتُ أنه خُيِّرَ))[3].

وقالت ﵂: ((لما مرِضَ النبيُّ ﷺ المرضَ الذي مات فيه جعل يقول: في الرَّفيق الأعلى))[4].

وقالت: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ، حَتَّى يُرَى مَقْعَدَهُ فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ، وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي، غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ أَفَاقَ. فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى. قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِذًا لاَ يَخْتَارُنَا. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَعَرَفْتُ الْحَدِيثَ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ وَهُوَ صَحِيحٌ))[5].

---

(١) كتاب المغازي برقم ٦٤، والباب برقم ٨٣.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٣) أخرجه البخاري ٤٤٣٥، ومسلم ٨٦ - ٢٤٤٤.

(٤) أخرجه البخاري ٤٤٣٦، ومسلم ٨٧ - ٢٤٤٤.

(٥) أخرجه البخاري ٤٤٣٧، ومسلم ٨٧ - ٢٤٤٤.

قال النووي: (الصحيح الذي عليه الجمهور أن المراد بالرفيق الأعلى: الأنبياء الساكنون أعلى عليين، ولفظة "رفيق" تطلق على الواحد والجمع. قال الله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾[(١)])[(٢)].

وقال ابن حجر: (ومعنى كونهم رفيقًا تعاونهم على طاعة الله وارتفاق بعضهم ببعض... قال السهيلي: الحكمة في اختتام كلام المصطفى بهذه الكلمة، كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب، حتى يستفاد منه الرخصة لغيره أنه لا يشترط أن يكون الذكر، باللسان، لأن بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع، فلا يضره إذا كان قلبه عامرًا بالذكر انتهى ملخصًا)[(٣)].

ثانيًا- من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في دعائه:

ولذلك عنون النووي هذا الباب بقوله: باب ما يقوله من أيس من حياته. قال ابن علان قوله: "اللهم اغفر لي" وهذا منه خضوع لمقام الربوبية، وإلا فهو معصوم من جميع الذنوب، أو تشريع للأمة، وتنبيه على أن حق مثل هذا المطلب، ألا يغفل عنه المستيقظ حالتئذ، لأنها حالة الانتقال وساعة الارتحال "وارحمني" ورحمة كل شيء بحسب ما يليق به، فأعظم الرحمات ما منحه نبيه ﷺ مما لا يحيط به بيان... "وألحقني بالرفيق الأعلى" قيل: المراد به الملائكة المقربون والعباد الصالحون بالمعنى الأعم، وهو الوجه الأتم المناسب لما جاء في قول يوسف ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[(٤)])[(٥)].

قال ابن عثيمين: (ييأس الإنسان من حياته إذا عاين الموت فماذا يقول؟ تقول عائشة رضي الله عنها إن النبي ﷺ كان يقول: "اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨/١٥/٢١٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٧٤٤.

(٤) سورة يوسف، آية: ١٠١.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٧ - ١١٢٨.

الأعلى"، هكذا يقول الرسول ﷺ عند موته، وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. من هم الرفيق الأعلى؟ هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وحسن أولئك رفيقا، هكذا الرسول ﷺ يقول عند موته)[1].

قال النووي عما يستحب لمن أيس من حياته أن يفعله قال: (ويستحب أن يكثر من القرآن والأذكار، ويكره له الجزع، وسوء الخلق، والشتم، والمخاصمة، والمنازعة في غير الأمور الدينية، ويستحب أن يكون شاكرًا لله تعالى بقلبه ولسانه، ويستحضر في ذهنه أن هذا آخر أوقاته من الدنيا، فيجتهد على ختمها بخير، ويبادر إلى أداء الحقوق إلى أهلها، من ردِّ المظالم والودائع والعواري، واستحلال أهله: من زوجته، ووالديه، وأولاده، وغلمانه، وجيرانه، وأصدقائه، وكل من كانت بينه وبينه معاملة أو مصاحبة، أو تعلق في شيء. وينبغي أن يوصي بأمور أولاده إن لم يكن لهم جدٌّ يصلح للولاية، ويوصي بما لا يتمكن من فعله في الحال: من قضاء بعض الديون ونحو ذلك. وأن يكون حسن الظن بالله سبحانه وتعالى أنه يرحمه، ويستحضر في ذهنه أنه حقير في مخلوقات الله تعالى، وأن الله تعالى غنيٌّ عن عذابه وعن طاعته، وأنه عبده، ولا يطلب العفو والإحسان والصفح والامتنان إلا منه.

ويستحب أن يكون متعاهدًا نفسه بقراءة آيات من القرآن العزيز في الرجاء، ويقرؤها بصوت رقيق، أو يقرؤها له غيره وهو يستمع. وكذلك يستقرئ أحاديث الرجال وحكايات الصالحين وآثارهم عند الموت. وأن يكون خيره متزايدًا، ويحافظ على الصلوات، واجتناب النجاسات، وغير ذلك من وظائف الدين، ويصبر على مشقة ذلك، وليحذر من التساهل في ذلك، فإن من أقبح القبائح، أن يكون آخر عهده من الدنيا التي هي مزرعة الآخرة، التفريط فيما وجب عليه أو ندب إليه. وينبغي له أن لا يقبل قول من يخذله عن شيء مما ذكرناه، فإن هذا مما يُبتلى به، وفاعل ذلك هو الصديق الجاهل والعدو الخفي فلا يقبل تخذيله، وليجتهد في ختم عمره بأكمل

---

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١١٨١ - ١١٨٢.

الأحوال، ويُستحبُّ أن يُوصي أهله وأصحابه بالصبر عليه في مرضه، واحتمال ما يصدر منه، ويوصيهم أيضًا بالصبر على مصيبتهم به، ويجتهد في وصيتهم بترك البكاء عليه، ويقول لهم: صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((الميِّتَ يُعذَّبُ ببكاءِ أهلِهِ عليه))[1].

فإياكم يا أحبائي والسعي في أسباب عذابي، ويوصيهم بالرفق بمن يخلفه من طفل وغلام وجارية ونحوهم، ويوصيهم بالإحسان إلى أصدقائه، ويُعلِّمهم أنه صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إنَّ مِنْ أبرِّ البرِّ أنْ يصِلَ الرَّجُلُ أهْلَ وُدِّ أبيه))[2] وصحَّ أن رسول الله ﷺ كان يكرم صواحبات خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها[3] ويستحب استحبابًا مؤكدًا أن يوصيهم باجتناب ما جرت العادة به من البدع في الجنائز، ويؤكد العهد بذلك. ويوصيهم بتعاهده بالدعاء وأن لا ينسوه بطول الأمد. ويستحب له أن يقول لهم في وقت بعد وقت: متى رأيتم مني تقصيرًا في شيء فنبهوني عليه برفق، وأدُّوا إلي النصيحة في ذاك، فإني معرَّض للغفلة والكسل والإهمال، فإذا قصرت فنشِّطوني وعاونوني على أُهبة سفري هذا البعيد.

ودلائل ما ذكرته في هذا الباب معروفة مشهورة، حذفتها اختصارًا فإنها تحتمل كراريس. وإذا حضره النزع فيكثر من قول: لا إله إلا الله؛ لتكون آخر كلامه)[4].

ثالثًا - من وسائل الدعوة: الدعاء:

لقد كان هذا الدعاء منه ﷺ وفعله دعوة للمدعوين أن يفعلوا مثله، ويعملوا بعمله ويقتدوا به ويهتدوا بهديه، فهو قدوتهم وأسوتهم ومثلهم المحتذى. فبين لهم بهذا الدعاء ما يفعلونه وقت اليأس من الحياة، وهو التضرع إلى الله سبحانه وتعالى وطلب غفرانه ورحمته وعلو المنزلة والمكانة عنده.

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٨٦، ومسلم ٩٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٥٢.

(٣) انظر ما أخرجه البخاري ٣٨١٦ - ٣٨١٨، ومسلم ٢٤٣٥.

(٤) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٦٧ - ١٦٩.

فينبغي على المسلم أن يحرص على دعاء الله في كل الأوقات وجميع الأحوال، فالدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، وهو من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن [١].

(١) الذكر والدعاء والعلاج بالرقي من الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص ٨٨٥.

الحديث رقم (٩١٣)

٩١٣- وعنها، قالت: رَأيتُ رسولَ الله ﷺ وَهُوَ بِالمَوْتِ، عِنْدَهُ قَدَحٌ فِيهِ مَاءٌ، وَهُوَ يُدْخِلُ يَدَهُ في القَدَحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بالماء، ثُمَّ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ اعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ المَوْتِ أوْ سَكَرَاتِ المَوْتِ)) رواه الترمذيُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

قدح: إناء يشرب فيه الماء ونحوه[2].

غمرات الموت أو سكرات الموت: غمرات الموت: شدائده ومكارهه. وسكرات الموت: جمع سكْرة: الغشي الناشيء عن الألم[3].

الشرح الأدبي

قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (رَأيتُ رسولَ الله ﷺ وَهُوَ بِالمَوْتِ) يجعل الحديث ذا شجون، لأن مرأى الرسول ﷺ في هذه الحال مما يفطر القلب، ويفزعه، وقولها، (وهو بالموت) يوحي بحرج اللحظة، وشدتها التي تؤكد صعوبة الموقف الذي سيمر بالناس جميعاً لكي يعد كل إنسان لهذا الموقف عدته، وقوله (وَهُوَ يُدْخِلُ يَدَهُ في القَدَحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بالماء) كناية عن شدة ألمه، وارتفاع حرارة الجسم من المرض، وتشير (ثم) بين إدخال اليد في القدح، وبين المسح على الوجه إلى فترة زمنية تحكي ضعف الجسم، وبطء الحركة، وقول الرسول (أعني) أمر بمعنى الدعاء بطلب الإعانة التي تشير إلى

---

(١) برقم ٩٧٨ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وقال الحاكم ٣٦٥/٢: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الحافظ في الفتح ٣٦٢/١١: إسناده حسن.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٢٦.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٢٣٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٩/١١-٢٧٠.

شدة الأمر، وأنها عقبة يحتاج الإنسان فيها إلى من يعينه، والتعبير بالغمر يوحي بإحاطة المرض، وجمع الكلمة يعطيها بعداً إيحائياً كأنه إذا خرج من سكرة دخل في أخرى دلالة على امتناع الخروج لمن دخل في سكرات الموت، وإضافة الغمرات، أو السكرات للموت يزيدها ترهيباً من حيث شدته، وهوله، وما يسفر عنه الموت من آلام فوق الوصف، ثم إنه موقف سيمر بكل، واحد منا، وإذا كان الرسول ﷺ أحب خلق الله، وأتقاهم يقول ذلك فما حال بقية الناس؟!

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: دعاء النبي ﷺ ربه أن يعينه على شدائد الموت.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الدعاء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: دعاء النبي ﷺ ربه أن يعينه على شدائد الموت:

لقد دعا النبي ﷺ ربه الإعانة على سكرات الموت وشدته كما يتضح من الحديث، وقد قالت عائشة رضي الله عنها أيضًا: ((إن من نعمة الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في يومي وفي بيتي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند الموت. قالت: دخل عليّ أخي بسواك معه، وأنا مسندة رسول الله ﷺ إلى صدري، فرأيته ينظر إليه. وقد عرفت أنه يحب السواك ويألفه. فقلت: آخذه لك فأشار برأسه أي نعم فلينته له فأمرّه على فيه. قالت: وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه، ثم يقول: «لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات» ثم نصب أصبعه اليسرى وجعل يقول: «في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى»، حتى قُبض ومالت يده في الماء))[1].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٤٩. وقد ساق ابن كثير أحاديث وفاته ﷺ في البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٨/٢٤ - ٧٨، من ذلك: فصل في كيفية احتضاره ووفاته عليه الصلاة والسلام.

وقد قالت عائشة رضي الله عنها كذلك: ((مات النبيُّ ﷺ وإنه لبين حاقِنَتي وذاقِنَتي[1]، فلا أكرَهُ شدةَ الموت لأحدٍ أبدًا بعدَ النبي ﷺ))[2].

قال الطيبي: (قال البيضاوي: عنت أني لما رأيت شدة وفاته علمت أن ذلك ليس من المنذرات الدالة على سوء عاقبة المتوفى. وأن هون الموت وسهولته ليس من المكرمات، وإلا لكان رسول الله ﷺ أولى الناس به، فلا أكره شدة الموت لأحد ولا أغبط أحدًا يموت من غير شدة)[3].

قال ابن عثيمين: (هكذا كان الرسول يقول عند موته، وكان عنده إناء فيه ماء، وقد أتى من شدة الموت وسكراته ما لم يُؤْتِ أحد، لأنه ﷺ يمرض مرض رجلين، شدّد عليه المرض، شدد عليه النزع، لماذا؟ من أجل أن ينال أعلى درجات الصبر، لأن الصبر يحتاج إلى شيء يصبر عليه، فكأن الله قد اختار لنبيه ﷺ أن يكون مرضه شديدًا، ونزعه شديدًا حتى ينال أعلى درجات الصابرين، فكان ﷺ يضع يده في الإناء الذي فيه الماء، ويمسح بذلك وجهه ويقول: اللهم أعني على سكرات الموت، أو قال: على غمرات الموت" أي أعني عليها حتى أتحمل وأصبر وأتروى، ولا يزيغ عقلي، وحتى يختم لي بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لأن المقام مقام عظيم، مقام هول وشدة إذا لم يعنك الله عز وجل ويصبرك فأنت على خطر، ولهذا كان يقول: اللهم أعنى على غمرات الموت. وفي رواية أخرى يقول: "لا إله إلا الله، إن للموت سكرات"[4] وصدق النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا

(١) قال الطيبي: (قولها "بين حاقنتي وذاقنتي" أي توفي مستندًا إليّ. قال ابن الأثير [النهاية في غريب الحديث ٢٢٢، ٣٢٨] الحاقنة: الوهدة المنخفضة بين الترقوتين من الحلق. الذاقنة: الذقن. وقيل: طرف الحلقوم. وقيل: ما يناله الذقن من الصدر. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٩٨/٣.

(٢) أخرجه البخاري ٤٤٤٦.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٩٨/٣.

(٤) أخرجه البخاري ٤٤٤٩.

كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾[(١)])[(٢)].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن حال النبي ﷺ وقت احتضاره، وقد استخدم أسلوب الإخبار هذا كثيرًا في نقل أحوال النبي ﷺ من قبل الصحابة رضوان الله عليهم، وقد أمرهم النبي ﷺ بالتبليغ عنه فقد قال: ((بلِّغوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرجَ، ومن كذَبَ عليَّ مُتعَمِّدًا فليتَبوأْ مَقعدهُ منَ النار))[(٣)].

قال ابن حجر: (قال المعافى النهرواني في كتاب "الجليس": الآية في اللغة تطلق على ثلاثة معانٍ: العلامة الفاصلة، والأعجوبة الحاصلة، والبلية النازلة، فمن الأول قوله تعالى: ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾[(٤)] ومن الثاني: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً ﴾[(٥)] ومن الثالث: جعل الأمير فلانًا اليوم آية: ويجمع بين هذه المعاني الثلاثة أنه قيل لها آية: لدلالتها وفصلها وإبانتها. وقال في الحديث: "ولو آية" أي واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل، ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ اهـ كلامه)[(٦)].

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الدعاء

هذا واضح في قول عائشة رضي الله عنها إن النبي ﷺ قال: "اللهم أعني على غمرات الموت أو سكرات الموت" فكان هذا الدعاء لبيان تضرع النبي ﷺ -وهو في حال احتضاره- إلى الله تعالى ولجوئه إليه عز وجل وطلب العون منه والتوفيق والسداد، وهذا كله دعوة للمدعوين أن يفعلوا مثلما فعل ﷺ فهو قدوتهم وأسوتهم.

---

(١) سورة ق، آية: ١٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٨٢/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٤١.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٤٩.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩٨/٦، .

نقل ابن علان في الفتوحات الربانية شرح الأذكار النواوية القول بأنه (في تشديد الموت على الأنبياء فائدتان: إحداهما تكميل فضائلهم ورفع درجاتهم، وليس ذلك نقصًا ولا عذابًا، بل هو كما جاء: ((إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَوْلِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ))[1]. والثانية: أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت، فقد يطلع الإنسان على بعض الموتى ولا يرى عليه حركة ولا قلقًا ويرى سهولة خروج روحه، فيظن الأمر سهلاً ولا يعرفُ ما الميت فيه، فلما ذكر الأنبياء الصادقون شدة الموت مع كرامتهم على الله سبحانه، قطع الخلقُ بشدة الموت الذي يقاسيه الميت مطلقًا، لإخبار الصادق عنه، ما خلا الشهيد قتيل الكفار على ما ثبت في الحديث[2])[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٤٠٢٣، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٤٩).

(٢) الحديث نصه: "ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة" أخرجه الترمذي ١٦٦٨. وصححه الألباني (صحيح الترمذي ١٣٦٢).

(٣) الفتوحات الربانية ٤/٩٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على مداومة الدعاء واللجوء إلى الله تعالى:

إن من أهداف التربية الإسلامية، توثيق صلة المسلم بربه، يدعوه ويلجأ إليه ويستجير به ويعتصم به، ويزداد هذا التعلق عند نزول المصائب وفي الأوقات العصيبة التي تمر بالإنسان، وأشدها الاحتضار ونزول الموت وسكراته، فما أحوج الإنسان ساعتها إلى رحمة الله وواسع فضله، وتنقل لنا عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في حديث الباب دعائين من الأدعية التي دعا بها رسول الله ﷺ عند نزول الموت، في الحديث الأول دعا ربه وسأله المغفرة والرحمة وأن يلحقه بالرفيق الأعلى، فقال ﷺ: «اللهمَّ اغفرْ لي وارحمني وألْحِقْني بالرفيق الأعْلَى»، وفي الحديث الثاني دعا ربه أن يعينه على تحمل سكرات الموت وغمراته قائلاً: «اللَّهُمَّ أَعِنِي عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَسَكَرَاتِ الْمَوْتِ».

لذا ينبغي للمربي أن يركز في توجيهاته على أهمية حسن الصلة بالله والابتهال إليه والدعاء واللجوء إليه، فإن الدعاء هو "السلاح الأمضى والعامل الأقوى، وله فعله في النفوس يثبتها ويقومها"[1].

إن تربية النشء على حسن الصلة بالله وتوثيقها بتصحيح العقيدة والإيمان به تعالى وأن كل ما ينزل بالمسلم في حياته لا يستطيع دفعه لأنه قضاء الله وقدره، ويستعين بالدعاء على تحمل الشدائد والصعاب التي تحيط به وتلم به، "ومتى انطبعت العقيدة وصحت في نفس المسلم فإنه سيتجنب كل ما من شأنه أن ينزلق به في هوة الحرام، وسيعمل على الاستباق إلى الفضيلة التي تسكب في ضميره السكينة، وهدوء البال وسينعكس هذا السلوك الراشد على أفراد المجتمع مما يشيع فيه الأمن والسلام، وكلٌ من راحة الضمير وطيب النفس والإحساس بالأمن والسلام يعتبر أسمى ما يمكن أن تحققه التربية للإنسان كفرد وكمجموعة"[2].

(١) الثبات ووسائله في ضوء القرآن الكريم، د. نبيل بن محمد آل إسماعيل، ص٥٨.

(٢) التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، ص١٢، ١٣.

ثانياً- حفظ العلم وتبليغه للناس:

إن مما ينبغي أن يغرسه المربي في نفوس المتعلمين أن ما يتعلمونه من علم وما يرونه من أحوال العلماء، لا يتعلمونه لكي يُنْسى أو يُتَبَاهى بحفظه، بل يجب العمل بما علمه الإنسان وليس ذلك فحسب بل يحرص أيضًا على نشر هذا العلم النافع.

وقد أعطت لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مثلاً حياً يحتذى به، حيث نقلت للأمة كل ما رأت من أحواله ﷺ خاصة التي لا يطلع عليها غالبًا إلا أهله وذووه والمقربون منه- كأحواله في البيت والتي منها ما كان يعانيه ﷺ من سكرات الموت، وما كان يدعو به من أدعية، كما في حديثي الباب: ﷺ: «اللهمَّ اغفِرْ لي وارحمني وألْحِقْني بالرفيق الأَعْلَى»، «اللَّهُمَّ أَعِني عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَسَكَرَاتِ الْمَوْتِ».

لذا يحسن بالمتربي إذ أراد لنفسه الخير ولغيره أيضاً أن يحفظ ما استطاع من سنة رسول الله ﷺ ويعمل بما حفظ ويبلغه لغيره.



١٤٨- باب استحباب وصية أهل المريض

ومن يخدمه بالإحسان إليه واحتماله والصبر عَلَى مَا يشق من أمره وكذا الوصية بمن قرب سبب موته بحد أوْ قصاص ونحوهما

الحديث رقم (٩١٤)

٩١٤- عن عِمْران بن الحُصَيْنِ رضي الله عنهما: أنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أتَت النَّبِيَّ ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَا، فَقَالَتْ: يَا رسول الله، أصَبْتُ حَدًّا فَأقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا رسولُ الله ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: ((أحْسِنْ إلَيْهَا، فَإذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا)) فَفَعَلَ، فَأمَرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أمَرَ بِهَا فَرُجِمَت، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصَيْن: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢).

غريب الألفاظ:

حَدًّا: الحدُّ: الذنب الموجب للعقوبة في الدنيا والآخرة[2].

الشرح الأدبي

التعبير بالإتيان يشير إلى مجيء فيه تكلف، ومشقة، وهو ما يشي بما تجد المرأة في هذه الحالة في نفسها من شدة الحرج، والحياء لاسيما في مواجهة الرسول ﷺ، وتعرضها للفضيحة بين الناس، وفي مجتمع طاهر يندر أن يحدث فيه مثل هذا الذنب، وإذا علمنا شدة الموقف أدركنا مدى صبرها، وقوة احتمالها إرضاء لربها، ورغبة في تطهير نفسها يدل على ذلك قولها (، أصَبْتُ حَدّاً فَأقِمْهُ عَلَيَّ) والتعبير بالإصابة دلالة على تحقق الإلمام بالذنب كما أن صياغته في الماضي تؤكد ذلك وتنكير الحد لاستهجان التصريح بذكره معرفاً، وفيه ستر لهذا الذنب عن من لا يلزم إخباره بعد

---

(١) برقم ١٦٩٦/٢٤، وتقدم برقم ٢٢. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦١٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح د د).

الرسول ﷺ، وقد يدل التنكير مع هذا على تعظيم هذا الحد، واتصال الفاء بالفعل في قوله (فأقمه) تشير إلى رغبتها في سرعة تطهير نفسها، والخلاص من ذنبها، والتعبير بالإقامة يوحي بتعديل الميل، وتقويم الخطأ، وإتمام الحد، وقول الرسول ﷺ لوليها (أَحْسِنْ إِلَيْهَا) يشير إلى سمو الإسلام، وكمال تعاليمه، حتى في أشد المواقف التي يتصدى فيها للفاحشة يتخذ الإحسان سبيله يأخذ الحق دون تثريب، ولا زيادة، وقوله: (فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا) يشير إلى عدل الإسلام في عدم أخذ الصغير بذنب أمه، ومن يتأمل الموقف النفسي لامرأة أتت هذا الموقف، وراحت تعترف به أمام الناس، وعند رسول الله ﷺ، ثم إنها بقيت شهوراً طويلة في مجتمع ينظر إلى هذا الذنب على أنه أقبح الذنوب، وظلت تعالج نظرات الشماتة، والاحتقار، والغضب، وغيرها ثم إنها فوق ذلك تنتظر الموت أدرك عظم ما عانت في سبيل استرداد ثوب الطهر الذي خلعته عنها المعصية، ثم خلعته عليها التوبة بعد ذلك، ولذلك قال الرسول ﷺ عنها في نهاية الحديث بعد أن صلى عليها (لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِّمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدَتْ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ؟!).

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى الأحكام الآتية:

الحكم الأول: إقامة حد الرجم على المرأة الزانية إذا كانت حبلى من الزنا: إذا كانت المرأة الزانية حبلى من زنا، فلا يجوز إقامة الحد عليها وهذا محل اتفاق بين الفقهاء. ويؤخر إلى أن تلد ويرضع الطفل حتى يأكل. ولأن إقامة الحد على الحامل فيه قتل للجنين الذي في بطنها، وهو قتل لنفس بريئة من غير وجه حق[(١)].

الحكم الثاني: مشروعية الوصية: فقد اتفق الفقهاء على مشروعية الوصية في مجملها[(٢)].

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة لعبدالرحمن الجزيري ٣٠/٥.

(٢) الإجماع لابن المنذر ٧٣، رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٦٤٨/٦، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٤٢٢/٤، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٩/٣، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٥٣٨/٢، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٦.

الحكم الثالث: هل يجلد من وجب عليه الرجم أم لا؟ اختلف الفقهاء في اجتماع الحدين الرجم والجلد على من وجب عليه الرجم. فذهب جمهور الفقهاء إلى أن الزاني المحصن لايجب عليه إلا الرجم فقط[(١)].

وذهب الحسن البصري وإسحاق إلى أن الزاني المحصن يجلد ثم يرجم[(٢)].

الحكم الرابع: رجم الرجل والمرأة: وقد اتفق الفقهاء على أن المرأة ترجم قاعدةً، يجمع عليها ثيابها ويشد بحيث لا تنكشف عورتها أثناء تقلبها وتكرار اضطرابها. أما الرجل فإنه يرجم قائمًا[(٣)].

الحكم الخامس: الصلاة على المرجوم: قد اختلف العلماء في الصلاة على المرجوم، فكرهها مالك وأحمد للإمام وأهل الفضل دون باقي الناس، ويصلي عليه غير الإمام وأهل الفضل. قال الشافعي وآخرون يصلّي عليه الإمام وأهل الفضل وغيرهم، والخلاف بين الشافعي ومالك إنما هو في الإمام وأهل الفضل. وأما غيرهم فاتفقوا على أنه يصلي علي، وبه قال جماهير العلماء. قالوا: فيصلي على الفساق والمقتولين في الحدود والمحاربة وغيرهم)[(٤)].

المضامين الدعوية[(٥)]

---

(١) بداية المجتهد للمرغيناني ٣٤/١، شرح معاني الآثار للطحاوي ١٣٨/٣، المجتهد لابن رشد ١٢٣٢/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٨٩/٦.

(٢) شرح معاني الآثار ١٣٨/٣، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد بن رشيد القرطبي ١٢٣٢/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠٥/١١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٨٩/٦، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٩/٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢١٢/١١/٦ .

(٥) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٢).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

تقدم ذكرها في المضامين التربوية للباب رقم (٢).



١٤٩- باب جواز قول المريض: أنا وجع، أَوْ شديد الوجع أوْ مَوْعُوكٌ أوْ وارأساه ونحو ذلك. وبيان أنَّه لا كراهة في ذلك إذا لَمْ يكن عَلَى سبيل التسخط وإظهار الجزع

الحديث رقم (٩١٥)

٩١٥- عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسِسْتُهُ[١]، فَقلتُ: إنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا، فَقَالَ: ((أجَلْ، إنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

يُوعَك: يتألم من الحُمَّى أو غيرها[٣].

الشرح الأدبي

معنى الحديث يقرر أن الأنبياء أشد بلاءً من غيرهم وقوله: (يوعك) يشخص بدلالته المرض، ويحدد مكانه في البطن، وصياغته في المضارع تقرر استمراره، وتجدده، وقوله: (فمسسته) يشير إلى الرفق، والشفقة، والمحبة، وقوله: (إنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكاً شَدِيداً؟) وهو استفهام تقرير يفيض بالشفقة، والرحمة، وتوكيد الفعل بالمصدر (توعك وعكاً) ووصفه بالشدة يشير إلى شدة ما يعانيه في المرض، والتي أكدها في جوابه بتقريرها، بل ومضاعفتها عن طريق التشبيه (إنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ) فهو كغيره يتقلب في أمر الله بين الصحة، والمرض لأنه سنة الله في عباده المؤمنين قال

---

(١) عندهما زيادة: (بيدي).

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٦٧، ومسلم ٢٥٧١/٤٥ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٥٠٢٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ع ك)

تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة١٥٥) حتى لا يتضجر مسلم بما أصابه في أي زمان، ومكان، فهو لن يكون أفضل من رسول الله!

فقه الحديث

بوّب البخاري في صحيحه على أحاديث الباب في كتاب المرضى: باب ما رخص للمريض أن يقول: إني وجع أو وارأساه أو اشتدّ بي الوجع وقول أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1])[2].

وقال النووي: (قوله في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: "عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجع اشتد بي" ... فيه جواز ذكر المريض ما يجده لغرض صحيح من مداواة أو دعاء صالح أو وصية أو استفتاء عن حاله أو نحو ذلك،وإنما يكره من ذلك ما كان على سبيل التسخط ونحوه، فإنه قادح في أجر مرضه)[3].

المضامين الدعوية [4]

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٨٣.

(٢) الباب رقم ١٦ من كتاب المرضى برقم ٧٥، الأحاديث ٥٦٦٥-٥٦٦٨. وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢٣-١٢٥، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٦٣-١٦٤ .

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/١١/٦٥ .

(٤) سيأتي ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث رقم (٩١٧).

الحديث رقم (٩١٦)

٩١٦- وعن سعد بن أَبي وقاصٍ ﷺ، قَالَ: جَاءني رسولُ الله ﷺ يَعُودُني مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بي، فقلتُ: بَلَغَ بي مَا تَرَى، وَأنَا ذُو مَالٍ، وَلاَ يَرِثُنِي إلاَّ ابْنَتِي. وذكر الحديث. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

قول سعد بن أبي وقاص ﷺ جاءني رسول الله ﷺ بوصل الفعل بياء المخاطب يوحي باعتزازه بزيارة الرسول ﷺ، والفعل (يعودني) يؤكد الفعل السابق، ويشير إلى سبب الزيارة، وقوله (من وجع) ينص عليه، وقوله (بَلَغَ بي مَا تَرَى) خبر أريد به لازم فائدته، وهو الاستعطاف، والاسترحام، وهو ليس من باب الشكوى، والضجر، وإنما من باب وصف الحال، واستدرار رحمة الرحيم لاسيما إذا كان رسول الله ﷺ.

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٦٦٨، ومسلم ١٦٢٨/٥، وتقدم ٦. أورده المنذري في ترغيبه ٥٠٢٩.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦).

الحديث رقم (٩١٧)

٩١٧- وعن القاسم بن محمد، قَالَ: قالت عائشةُ رضي الله عنها: وَارَأْسَاهُ! فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: ((بَلْ أنَا، وَارَأْسَاهُ!)) وذكر الحديث. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

وارأساه: تفجع على الرأس لشدة ما وقع به من ألم الصداع[2].

الشرح الأدبي

حورا النبي ﷺ مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يقرر أن حديث الإنسان بمرضه ليس فيه غضاضة إذا لم يكن على وجه الاعتراض على أمر الله، وقولها: (وا..! رأساه) وا نداء استغاثة مما تلاقيه من الألم، وهو ما يصيب الرأس من الصداع، وقول الرسول ﷺ (بَلْ أنا، وَارَأْسَاهُ !) تقديم الضمير أنا للاختصاص، أنا الذي أعني الألم في رأسي أكثر مما تعانيه أنت، ولذلك أتى ببل في بداية الجملة، ومن المعلوم من الحديث السابق أنه كان يعاني ضعف غيره.

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: جواز شكوى المريض من مرضه بشرط ألا يكون هذا على سبيل التسخط وإظهار الجزع.

ثانيًا: من آداب المدعو: الرضا بما يصيبه دون تسخط أو تضجر.

ثالثًا: من مهام الداعية: لفت انتباه المدعو إلى ما هو أهم.

---

(١) برقم ٥٦٦٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٣٠.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ٩١٧ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩١٥).

أولاً - من موضوعات الدعوة: جواز شكوى المريض من مرضه بشرط ألا يكون هذا على سبيل التسخط وإظهار الجزع:

يتضح هذا من قول ابن مسعود ﷺ: "دخلت على النبي ﷺ وهو يُوعك فمسسته فقلت: إنك تُوعك وعكاً شديداً، فقال: أجل إني أوعك كما يُوعك رجلان منكم" وقول أم المؤمنين عائشة ﷺ: ("وارأساه" هو تفجع على الرأس لشدة ما وقع به من ألم الصداع)[1].

كما أنها قالت في هذا الحديث نفسه ((واثُكْلِيَاهْ))[2] قال ابن حجر: (بضم المثلثة [أي الثاء] وسكون الكاف وفتح اللام وبكسرها مع التحتانية الخفيفة وبعد الألف هاء للندبة. وأصل الثكل فقد الولد أو من يعز على الفاقد، وليست حقيقته هنا مرادة، بل هو كلام كان يجري على ألسنتهم عند حصول المصيبة أو توقعها)[3].

أما قوله ﷺ "بل أنا وارأساه" فقال ابن حجر: (هي كلمة إضراب [أي بل]، والمعنى: دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي. وزاد في رواية عبيد الله ((ثُمَّ بُدِئَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ﷺ))[4]... وفي الحديث أن ذكر الوجع ليس بشكاية، فكم من ساكت وهو ساخط، وكم من شاكٍ وهو راض، فالمعول في ذلك على عمل القلب لا على نطق اللسان)[5].

وقال ابن عثيمين: (فهذا [أي الحديث] اجتمع فيه سنتان: إقرارية وقولية، أما الإقرارية فإن النبي ﷺ أقرّ عائشة عندما قالت: "وارأساه" وأما القولية فهو نفسه ﷺ قال: "وارأساه"، وعليه فإن الإنسان إذا قال: وارأساه وابطناه أو ما أشبه ذلك، فلا حرج بشرط ألا يقصد بذلك أن يشكو الخالق إلى المخلوق، بل يقصد التوجع مما قضاه الله

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٥/١٠، .

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٦٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٥/١٠ .

(٤) أخرجه أحمد ٢٨٨/٦، رقم ٢٥٩٠٨، وابن ماجه ١٤٦٥ وقال محققو المسند: حديث حسن ٨٢/٤٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٥/١٠ - ١٢٦، .

عليه، فإذا كان مجرد خبر فلا بأس به، ولا سيما إذا كان يذكر هذا عند من يريد أن يعالجه، لأنه خبر مجرد، ليس المراد به الاعتراض والتسخط على قضاء الله وقدره)[(١)].

ثانيًا - من آداب المدعو: الرضا بما يصيبه دون تسخط أو تضجر:

لقد ساق البخاري هذا الحديث في كتاب المرضى، باب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع أو وارأساه أو اشتد بي الوجع وقول أيوب عليه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[(٢)])[(٣)].

قال ابن حجر: (لعل البخاري أشار إلى أن مطلق الشكوى لا يمنع ردا على من زعم من الصوفية أن الدعاء بكشف البلاء يقدح في الرضا والتسليم، فنبه على أن الطلب من الله ليس ممنوعا، بل فيه زيادة عبادة، لما ثبت مثل ذلك عن المعصوم وأثنى الله عليه بذلك، وأثبت له اسم الصبر مع ذلك[(٤)]...

فكأن مراد البخاري أن الذي يجوز من شكوى المريض ما كان على طريق الطلب من الله، أو على غير طريق التسخط للقدر والتضجر، والله أعلم، قال القرطبي: اختلف الناس في هذا الباب، والتحقيق أن الألم لا يقدر أحد على دفعه، والنفوس مجبولة على وجدان ذلك، فلا يستطاع تغييرها عما جبلت عليه، وإنما كلف العبد أن لا يقع منه في حال المصيبة ما له سبيل إلى تركه، كالمبالغة في التأوه والجزع الزائد، كأن من فعل ذلك خرج عن معاني أهل الصبر، وأما مجرد التشكي فليس مذموما، حتى يحصل

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٨٦/٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٨٣.

(٣) كتاب المرضى برقم ٧٥، والباب برقم ١٦، وتحته الأحاديث ٥٦٦٥ - ٥٦٦٨.

(٤) يقصد ابن حجر قوله تعالى عن استجابته سبحانه لدعاء أيوب: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤] وقوله عز وجل عن أيوب ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٤٤].

التسخط للمقدور، وقد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه، وشكواه إنما هو ذكره للناس على سبيل التضجر، والله أعلم، وروى أحمد في "الزهد" عن طاوس أنه قال: أنين المريض شكوى، وجزم أبو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية أن أنين المريض وتأوهه مكروه، وتعقبه النووي فقال: هذا ضعيف أو باطل، فإن المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود، وهذا لم يثبت فيه ذلك، ثم احتج بحديث عائشة في الباب، ثم قال: فلعلهم أرادوا بالكراهة خلاف الأولى، فإنه لا شك أن اشتغاله بالذكر أولى ا هـ، ولعلهم أخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين، وتشعر بالتسخط للقضاء، وتورث شماتة الأعداء، وأما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقا)[1].

ثالثًا - من مهام الداعية: لفت انتباه المدعو إلى ما هو أهم:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ كما ذكر ابن مسعود رضي الله عنه: "دخلت على النبي ﷺ وهو يُوعك فمسسته فقلت: إنك لتوعك وعكا شديداً، فقال: أجل، كما يوعك رجلان منكم، قال: لك أجران، قال: نعم ما من مسلم يصيبه أذى - مرض فما سواه إلا حطّ الله سيئاته كما تحط الشجرة ورقها"، وقول النبي ﷺ: "بل أنا وارأساه" قال ابن حجر: (هي [أي بل] كلمة إضراب، والمعنى دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي، وزاد في رواية عبيدالله [ابن عبدالله بن عتبة] عن عائشة: ((ثُمَّ بُدِئَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ﷺ))[2][3].

ومن قبيل لفت الداعية انتباه المدعو إلى ما هو أهم، ما رواه عطاء بن أبي رباح: قال لي ابن عباس: ((أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ. أَتَتِ النَّبِيَّ قَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ. وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ. فَادْعُ اللّهَ لِي. قَالَ: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ. وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ». قَالَتْ: أَصْبِرُ. قَالَتْ: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ. فَادْعُ اللّهَ أَنْ لاَ

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢٤.

(٢) أخرجه أحمد ٦/٢٨٨، رقم ٢٥٩٠٨، وابن ماجه ١٤٦٥، وقال محققو المسند: حديث حسن ٤٣/٨٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢٥ .

أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا))[1].

قال ابن حجر: (وفي الحديث أن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة، لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة)[2].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((أنَّ فاطمةَ عليها السلام شكت ماتَلقى في يدِها من الرَّحى فأتَتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم تسألُهُ خادِمًا، فلم تجِدْه، فذكرَت ذلكَ لعائشة، فلما جاءَ أخبرَتهُ، قال: فجاءَنا وقد أخَذْنا مَضاجِعَنا، فذهبْتُ أقومُ، فقال: مكانكِ، فجلسَ بينَنا حتى وجدتُ بردَ قدَمَيهِ على صدري، فقال: ألا أدُلكما على ماهو خيرٌ لكما من خادِمٍ؟ إذا أوَيتما إلى فِراشِكما - أو أخَذتما مَضاجعَكما - فكبرا أربعًا وثلاثين، وسَبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدَا ثلاثًا وثلاثين، فهذا خيرٌ لكما من خادم))[3].

قال ابن حجر: (وفي الحديث منقبة ظاهرة لعلي وفاطمة عليهما السلام، وفيه بيان إظهار غاية التعطف والشفقة على البنت والصهر، ونهاية الاتحاد برفع الحشمة والحجاب، حيث لم يزعجهما عن مكانهما فتركهما على حالة اضطجاعهما. وبالغ حتى أدخل رجله بينهما ومكث بينهما، حتى علمهما ما هو الأولى بحالهما من الذكر، عوضًا عما طلباه من الخادم، فهو من باب تلقى المخاطب بغير ما يطلب، إيذانًا بأن الأهم من المطلوب هو التزود للمعاد، والصبر على مشاق الدنيا، والتجافي عن دار الغرور)[4].

وربما كان قيام الداعية بلفت انتباه المدعو إلى ما هو أهم، هو العلاج الصحيح لما يقع فيه كثير من أهل التدين، وخاصة الشباب الذين يعلنون حزنهم الشديد على ما أصاب الأمة الإسلامية من تأخر وتخلف وتسلط أعدائها عليها وعلى مقدراتها، فيعلنون

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٥٢، ومسلم ٢٥٧٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٥/١٠، .

(٣) أخرجه البخاري ٦٣١٨، ومسلم ٢٧٢٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٨/١١.

سخطهم الكبير وألمهم المفجع من هذه الحال التي وصلت إليها الأمة الإسلامية مما قد يؤدي ببعضهم إلى اليأس من الإصلاح والوقوف عند حالة الشكوى، بل واعتزال الناس وترك دنياهم، وهنا يأتي دور الداعية الفقيه. فيلفت الانتباه إلى ما هو أهم وأولى، فيبين أن الحزن والتألم لذلك، يدل على حسن التوجه وصدق التدين، لكن الأهم هو عدم الوقوف عند ذلك والاكتفاء، وإنما الأهم هو قيام كل مسلم بواجبه تجاه أمته قدر المستطاع، لأن على كل فرد من المسلمين من الواجبات التي لا يستطيع أن يتنازل عنها بمحض اختياره، وإنما الواجب عليه القيام بها قدر استطاعته.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أهداف التربية الإسلامية: دعم التواصل الإيجابي مع الناس:

إن من أبرز أهداف التربية الإسلامية: دعم تواصل الإنسان مع إخوانه، بزيارتهم والسؤال عنهم وتفقدهم إذا غابوا ومواساتهم والتعاون معهم وغير ذلك من مظاهر التواصل الإيجابي، ولقد أصّل لنا النبي ﷺ في أحاديث الباب بسلوكه العملي مَنْ خلال تواصله مع من يربيهم وتفقده لأحوالهم والاطمئنان عليهم، كما ورد في الحديث الذي رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «جاءني رسول الله ﷺ يعودني من وجع اشتدَّ بي، فقلت: ...»، وهذا مما يدلل على أهمية العمل والتحرك بما يحمله الإنسان من قيم وآداب "إذ أن تَكَوّن أخلاقِ الإنسان وبناء علاقاته الاجتماعية لا تقوم بالوعظ وحده ولا بالحفظ وحده، بل تحتاج إلى أفعال يمارسها الإنسان لتتكون أخلاقه عملياً ليبني علاقات معَ بني الإنسان بالواقع"[1].

إن مما ينبغي على المعلم والمربي فعله: هو دعم العلاقات الاجتماعية في نفوس المتربين ودعم ميولهم لإقامة العلاقات الاجتماعية الحسنة فيما بينهم خاصة في أوساط الناشئة منهم "فنتيجة لخروج الصبي المتكرر من البيت والذهاب إلى المسجد والمدرسة والاحتكاك بأقرانه في تلك الأماكن يبدأ الصبي في تكوين علاقات اجتماعية أوسع من علاقاته السابقة التي كانت قاصرة على إخوته وأقاربه، ويظهر من الصبي الرغبة في تكوين الصداقات والعلاقات وما يتبع ذلك من التأثر بهم والحرص على مودتهم وتبادل المقتنيات الشخصية معهم أو الزيارات، ومثل هذا الاتجاه لا ينبغي منعه بل ينبغي دعمه وتأييده حتى يتعود الصبي التعامل مع الناس، وهو عما قريب سيصير رجلاً فلابد أن تكون له الخبرة الكافية في ذلك، لكن ينبغي عل المربي أن يتنبه لنوعية تربية هؤلاء الأصدقاء، وذلك لأثرها على الصبي في هذه المرحلة، حيث حاسته النقدية أو قدرته على النقد لا تتجاوز المواقف الآنية، فقد يعود إلى قول أو فعل ما انتقده منذ وقت

---

(١) نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، محمد فاضل الجمالي ص١٠٤.

قليل وخاصة إذا صدر عن صديقه أو زميله، ولهذا قالوا: "الصاحب ساحب"، وأبلغ منه قول الرسول ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ»[1][2].

ثانياً: من خصائص التربية: الواقعية ومراعاة طبيعة النفس البشرية:

إن واقعية التربية الإسلامية والتوجيه الإسلامي واضحة ظاهرة من خلال الحقائق الموضوعية المتوافقة مع الفطرة البشرية ومع القدرات الإنسانية لا مع تصورات عقلية مجردة، ولا مع مثاليات لا مكان لها في حياة الإنسان[3].

وهذا ما يمكن لنا أن نستخلصه من أحاديث الباب حيث أقر النبي ﷺ أموراً ينكرها بعض من لا يفهمون واقعية التعاليم الإسلامية، ويعتبرونها منافية للرضا بقضاء الله وقدره، ولذا حينما توجعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقالت: وَارَأْسَاهُ . فَقَالَ النبي ﷺ: «بَلْ أَنَا، وَارَأْسَاهُ»، وكذلك في شكاية سعد بن أبي وقاص له من مرضه، فعنه رضي الله عنه قال: «جَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي فَقُلْتُ: قَدْ بَلَغَ بِي مَا تَرَى...».

فنجد أن النبي ﷺ لم ينكر على أحد تأوهاً أو شكاية من مرض، بل إننا لنجد أن النبي ﷺ "أقر عائشة على شكواها من وجع رأسها، وبين لها أن عنده أشد مما عندها، والمدار في كل ذلك على عدم السخط في القضاء أو إهمال الصبر عند البلاء"[4].

ومما سبق يتبين لنا أن "التربية الإسلامية تربية واقعية، تتعامل مع الإنسان كما هو لحماً ودماً وفكراً وشعوراً وانفعالاً ونزوعاً وروحاً وتحليقاً، ومناط ذلك مبني على رعاية ضعف الإنسان، وكثرة أعبائه وتعدد مشاغله وضغط الحياة ومتطلباتها عليه، والدين

---

(١) أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ٢/٣٣٥، وقال شعيب الأرنؤوط، إسناده جيد، انظر: الموسوعة الحديثية، حديث رقم: ٨٤١٧، ج/١٤/١٤٢.

(٢) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ص٨٤، ٨٥.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٥٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٥٠٤.

الإسلامي وشارع هذا الدين رءوف رحيم لا يريد بعباده عنتاً ولا رهقاً إنما يريد لهم الخير والسعادة وصلاح الحال والمال في المعاش والمعاد"[(١)].



(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص١٦٨، ١٧٧.

١٥٠- باب تلقين المحتضر: لا إله إلاَّ اللهُ

الحديث رقم (٩١٨)

٩١٨- عن معاذ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ كَانَ آخِرَ كَلامِهِ: **لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ**)) رواه أَبُو داود والحاكم[1]، وقال: (صحيح الإسناد).

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

الحديث من الأحاديث القصار التي تحمل معاني عظيمة تزف بشارة للمسلمين في كل مكان، وزمان لاسيما الذاكرين الله تعالى، والذاكرات، وقوله (من كان) ما اسم موصول بمعنى الذي، والتعبير بالموصول تمهيد لذكر ما يختص به من الصلة، وقوله (آخر كلامه) يشير إلى حسن الختام، وهو كناية عن موته، وكلمة التوحيد فيها قصر لصفة الألوهية على الله تعالى ونفيها عن كل ما عداه نفياً عاماً مطابقاً للواقع، والاعتقاد، وبهذا تصير أعظم ما يقوله الإنسان، وبه يتحقق نفعها في المواقف كلها، وقوله (دخل الجنة) تحقيق للفوز بالجنة، ولفظها يثير في النفس البهجة، والخضرة، والنعيم، الذي يشرح الصدر، ويرغب في العمل الذي يؤدي إليها، وهو قول كلمة التوحيد، والإكثار منها، حتى يختم بها، وتلقينها لمن أوشك على الموت.

فقه الحديث

١- تلقين الميت:

قال النووي: (الأمر بهذا التلقين أمر ندب، وأجمع العلماء على هذا التلقين،

---

(١) أخرجه أبو داود ٣١١٦، والحاكم ٣٥١/١، وقال الحافظ ابن حجر في أماليه بعد تخريجه: هذا حديثٌ حسنٌ غريب، أخرجه أحمد ٢٢٠٣٤، و٢٢١٢٧ ورواته من رجال الصحيح، إلا صالح بن أبي عَرِيب، فإنه روى عنه جماعة، ولم أر للمتقدمين فيه جرحًا ولا تعديلاً، إلا أن ابن حبان ذكره في الثقات على قاعدته فيمن لم يجرح ولم يرو ما ينكر، وقد ورد للحديث متابع وشاهد، ثمّ ذكره. الفتوحات الربانية ١٠٨/٤ – ١١٠. وقال ابن الملقن في البدر المنير ١٨٩/٥: هذا الحديث صحيحٌ.

وكرهوا الإكثار عليه والموالاة، لئلا يضجر بضيق حاله وشدة كربه، فيكره ذلك بقلبه ويتكلم بما لا يليق، قالوا: وإذ قاله مرة لا يكرر عليه إلا أن يتكلم بعده بكلام آخر فيعاد التعريض به؛ ليكون آخر كلامه. ويتضمن الحديث الحضور عند المحتضر، لتذكيره وتأنيسه، وإغماض عينيه والقيام بحقوقه، وهذا مجمع عليه)[١].

وأما عن تكرير التلقين فقال النووي: (قال الجمهور: لا يزاد على مرة. وقال جماعة من أصحابنا: يكررها عليه ثلاثًا ولا يزاد على ثلاث).

ولا يسنّ زيادة محمد رسول الله عند الجمهور، لظاهر الأخبار[٢] قال النووي: (ودليل الجمهور أن هذا موحّد ويلزم من قوله: "لا إله إلا الله" الاعتراف بالشهادة الأخرى، فينبغي الاقتصار على لا إله إلا الله؛ لظاهر الحديث)[٣].

وذهب جماعة من الفقهاء إلى أنه يلقن الشهادتين بأن يقول الملقن: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله؛ ودليلهم: أن المقصود تذكر التوحيد، وذلك لا يحصل إلا بالشهادتين[٤].

ويسنّ أن يكون الملقن غير متهم بعداوة أو حسد أو نحو ذلك، وأن يكون من غير الورثة، فإن لم يحضر غيرهم، لقّنه أشفق الورثة، ثم غيره[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٩٤/٦/٣ ، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٦٩/٢-٥٧٠.

(٢) الطحطاوي على مراقي الفلاح ص ٣٠٥ ط/ الأميرية، ببولاق، والبدائع ٢٩٩/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٠/١، والحطاب ٢١٩/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٥٠/٢، عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٩٦/١٣.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٧٦/٥ .

(٤) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٥٧٠/١-٥٧١، والشرح الصغير ٥٦١/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٠/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٥٠/٢ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٩٦/١٣.

(٥) انظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٧٦/٥ ، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٠/١.

٢-التلقين بعد الموت:

اختلفوا في تلقين الميت بعد الموت: فذهب بعض الفقهاء إلى أن التلقين لا بأس به، فرخصوا فيه ولم يأمروا به، لظاهر قوله ﷺ: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله"، وقد نقل عن طائفة من الصحابة أنهم أمروا به كأبي أمامة الباهلي وغيره، وصفته أن يقول: "يا فلان بن فلان، اذكر دينك الذي كنت عليه وقد رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد عليه الصلاة والسلام نبيًا)[1].

وقالت طائفة من الفقهاء: لا يلقن، إذ المراد بموتاكم في الحديث: من قرب من الموت، وفي المغني: (وأما التلقين بعد الدفن فلم أجد فيه عن أحمد شيئًا ولا أعلم فيه للأئمة قولاً، سوى ما رواه الأثرم، قال: قلت لأبي عبدالله [أحمد بن حنبل]: فهذا الذي يصنعون إذا دفن الميت يقف الرجل ويقول يا فلان ابن فلانة ... اذكر ما فارقت عليه شهادة أن لا إله إلا الله؟ فقال: ما رأيت أحدًا فعل هذا إلا أهل الشام حين مات أبو المغيرة جاء إنسان، فقال ذاك)[2].

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: تلقين المحتضر لا إله إلا الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل لا إله إلا الله.

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٣٤/١، والحطاب ٢١٩/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٠/١، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٩٦/٢٣ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٩٦/١٣، وانظر كذلك: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/١٦، بل نقل النووي في المجموع عن بعض الشافعية أنه يستحب. انظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٥/٥.

(٢) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣٧/٣-٤٣٨، وانظر: الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ١٥٧/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٠/١، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٣٤/١ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٩٦/١٣، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/١٦-٤٣.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩١٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩١٩).

ثالثًا: من أهداف الدعوة: سوق الخير للمدعوين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والأمر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تلقين المحتضر لا إله إلا الله:

هذا واضح من الحديثين، فحديث أبي سعيد الخدري ﷺ أمر بتلقينه كلمة التوحيد، وحديث معاذ ﷺ بيان لجزاء من كان "لا إله إلا الله" آخر كلامه قبل موته.

قال ابن عثيمين: (المحتضر: هو الذي حضرت الملائكة لقبض روحه، والله سبحانه وتعالى قد وكل بالإنسان ملائكة يحفظونه في حال حياته وبعد مماته، قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[1] وقال الله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[2] والإنسان إذا حضر أجله نزل إليه ملائكة يقبضون روحه من يد ملك الموت، فإن ملك الموت يتولى قبضها من البدن، والملائكة معهم كفن وحنوط[3] من الجنة إذا كان من المؤمنين -جعلنا الله وإياكم منهم- وأما إذا كان من الكافرين، فملائكة العذاب معهم كفن من النار[4] وحنوط من النار -نعوذ بالله من ذلك- فإذا احتضر الإنسان وعلمنا أنه في النزع وأنه ميت فإننا نلقنه "لا إله إلا الله" كما قال النبي ﷺ: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله")[5].

قال أبو عبدالله القرطبي: (قال علماؤنا: تلقين الموتى هذه الكلمة سنّة مأثورة عمل بها المسلمون، وذلك ليكون آخر كلامهم لا إله إلاّ الله، فيختم له بالسعادة، وليدخل

---

(١) سورة الرعد، آية: ١١.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٦١.

(٣) الحنوط: كل ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة، من مسك وذريرة وصندلٍ وعنبر وكافور وغير ذلك. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ن ط).

(٤) قد ورد حديث بهذا مطولاً أخرجه أبو داود ٣٢١٢، ٤٧٥٣، ٤٧٥٤، وغيره من حديث البراء بن عازب ﷺ. وانظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٨/٥٢١ - ٥٢٢. والحديث صححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٩٧٩).

(٥) شرح رياض الصالحين، ٢/١١٨٦ - ١١٨٧.

في عموم قوله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلاّ الله دخل الجنة». ولينبه المحتضر على ما يدفع به الشيطان، فإنه يتعرض للمحتضر ليفسد عليه عقيدته...، والمقصود أن يموت الرجل وليس في قلبه إلاّ الله عز وجل لأن المدار على القلب، وعمل القلب هو الذي ينظر فيه، وتكون النجاة به)[1].

وقال النووي: (فإن لم يقل هو "لا إله إلا الله" لقنه من حضره ويلقنه برفق مخافة أن يضجره فيردها، وإذا قالها مرة لا يعيدها عليه إلا أن يتكلم بكلام آخر)[2].

وقال ابن القيم: (لشهادة "أن لا إله إلا الله" عند الموت تأثير عظيم في تكفير السيئات وإحباطها؛ لأنها شهادة من عبد موقن بها عارف بمضمونها، قد ماتت منه الشهوات، ولانت نفسُه المتمردة، وانقادت بعد إبائها واستعصائها، وأقبلت بعد إعراضها، وذلّت بعد عزِّها، وخرج منها حرصُها على الدنيا وفضولها، واستخذت بين يدي ربها وفاطرها ومولاها الحق أذلَّ ما كانت له، وأرجى ما كانت لعفوه ومغفرته ورحمته، وتجرَّد منها التوحيد بانقطاع أسباب الشرك وتحقق بطلانه؛ فزالت منها تلك المنازعات التي كانت مشغولة بها، واجتمع همها على من أيقنت بالقدوم عليه والمصير إليه فوجَّه العبد وجهه بكليته إليه، وأقبل بقلبه وروحه وهمه عليه؛ فاستسلم وحده ظاهرًا وباطنًا، واستوى سرُّه وعلانيته فقال: لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه. وقد تخلّص قلبُه من التعلق بغيره والالتفات إلى ما سواه. قد خرجت الدنيا كلها من قلبه، وشارف القدوم على ربه، وخمدت نيرانُ شهوته، وامتلأ قلبه من الآخرة فصارت نصب عينيه، وصارت الدنيا وراء ظهره، فكانت تلك الشهادة الخالصة خاتمةعمله؛ فطهّرته من ذنوبه، وأدخلته على ربه؛ لأنه لقي ربه بشهادة صادقة خالصة، وافق ظاهرها باطنها، وسرُّها علانيتها.

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٣٠ - ٣١، وهو كلام شيخه أبي العباس القرطبي المحدث في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٦٩/٢ - ٥٧٠.

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٦٩.

فلو حصلت له الشهادة على هذا الوجه في أيام الصحة، لاستوحش من الدنيا وأهلها، وفرَّ إلى الله من الناس، وأنِسَ به دون ما سواه، لكنه شهد بها بقلبٍ مشحونٍ بالشهوات وحُبِّ الحياة وأسبابها، ونفسٍ مملوءةٍ بطلب الحظوظ والالتفات إلى غير الله. فلو تجرّدت كتجرُّدها عند الموت، لكان لها نبأ آخر، وعيش آخر سوى عيشها البهيمي... والله المستعان)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل لا إله إلا الله:

أفضل ما قاله الأنبياء - وهم أشرف الخلق - لا إله إلا الله، وذلك لفضل هذه الكلمة وعظيم قدرها، ويتضح هذا من الحديثين، فقد جعلت الجنة جزاء من كان آخر كلامه "لا إله إلا الله" قال ابن حجر: (المراد بقوله "لا إله إلا الله" في هذا الحديث وغيره كلمتا الشهادة، فلا يرد إشكال ترك ذكر الرسالة، قال الزين بن المنير: قول لا إله إلا الله لقب جرى على النطق بالشهادتين شرعا)[٢].

لكن قال النووي: (اعلم أن جماعة من أصحابنا [أي علماء المذهب الشافعي] قالوا: نلقن ونقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، واقتصر الجمهور على قول لا إله إلا الله)[٣].

وقال ابن حجر: (قال الزين بن المنير: هذا الخبر يتناول بلفظه من قالها فبغته الموت، أو طالت حياته لكن لم يتكلم بشيء غيرها، ويخرج بمفهومه من تكلم، لكن استصحب حكمها من غير تجديد نطق بها، فإن عمل أعمالا سيئة كان في المشيئة، وإن عمل أعمالا صالحة فقضية سعة رحمة الله أن لا فرق بين الإسلام النطقي والحكمي المستصحب والله أعلم. انتهى. وحكى الترمذي عن عبد الله بن المبارك أنه لقن عند الموت فأكثر عليه فقال: إذا قلت مرة فأنا على ذلك ما لم أتكلم بكلام، وهذا يدل على أنه كان يرى التفرقة في هذا المقام)[٤].

---

(١) الفوائد ٨٦ - ٨٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١٠/٣.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٦٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٠٩/٣.

وعلق البخاري في صحيحه أنه قيل لوهب بن منبه: (أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى. ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك)[١].

قال ابن حجر: (وأما قول وهب فمراده بالأسنان التزام الطاعة... ومعنى قوله: إن جئت بمفتاح له أسنان جياد، فهو من باب حذف النعت إن دل عليه السياق، لأن مسمى المفتاح لا يعقل إلا بالأسنان، وإلا فهو عود أو حديدة)[٢].

وقد قال ﷺ: ((أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وَأَنِّي رَسُولُ اللّهِ. لاَ يَلْقَى الله بِهِمَا عَبْدٌ، غَيْرَ شَاكٍ فِيهِمَا، إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ))[٣].

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله: (أن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه أنه لا معبود بحق إلا الله عز وجل، وما سواه من المعبودات فألوهيتها باطلة وعبادتها باطلة، وهي مشتملة على نفي وإثبات "لا إله" أي نفي جميع ما يعبد من دون الله "إلا الله" إثبات العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه.

ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعة النبي ﷺ فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع)[٤].

قال عبدالله البسام: (عظم هذه الكلمة الجليلة [أي لا إله إلا الله] بكبر فائدتها، وأن قولها بإخلاص والعمل بها، سبب للنجاة من النار ودخول الجنة، فاللهم أحينا عليها وأمتنا عليها. قال ابن القيم: يستحب التأذين في أذن المولود اليمنى، والإقامة في اليسرى، ليكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلمات الأذان، كما يلقن عند خروجه من الدنيا، فتكون دعوته إلى الله تعالى وإلى دينه الإسلام سابقة على دعوة الشيطان)[٥].

---

(١) وذلك في أول كتاب الجنائز فوق الحديثين ١٢٣٧، ١٢٣٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١٠/٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧.

(٤) مختصر الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم التويجري، بيت الأفكار الدولية، الرياض، دون تاريخ، ص ٣١.

(٥) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٤٧٢/٢.

وقال ابن القيم: (التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه: فأما أعداؤه، فينجيهم من كربات الدنيا وشدائدها: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[1].

وأما أولياؤه، فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها. ولذلك فزع إليه يونس، فنجاه الله من تلك الظلمات. وفزع إليه أتباع الرسل، فنجوا به مما عُذِّب به المشركون في الدنيا وما أُعِدَّ لهم في الآخرة.

ولما فزع إليه فرعون، عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق لم ينفعه؛ لأن الإيمان عند المعاينة لا يُقبل، هذه سنة الله في عباده.

فما دُفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد. ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرَّج الله كربه بالتوحيد. فلا يُلقي في الكرب العظام إلا الشرك، ولا يُنجي منها إلا التوحيد؛ فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها، وبالله التوفيق)[2].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: سوق الخير للمدعوين:

قال النووي عن حديث النبي ﷺ: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله" قال: (ويتضمن الحديث الحضور عند المحتضر لتذكيره وتأنيسه وإغماض عينيه والقيام بحقوقه، وهذا مجمع عليه)[3].

قال د. صالح الفوزان: (ويسن لمن يحضره تطميعه في رحمة الله، ويغلّب في هذه الحالة جانب الرجاء على الخوف، وأما في حالة الصحة، فيكون خوفه ورجاؤه متساويين، لأن من غلب عليه الخوف أوقعه في نوع من اليأس، ومن غلب عليه الرجاء أوقعه في نوع من الأمن من مكر الله. فإذا احتضر المريض فإنه يسن لمن حضره أن

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٦٥.

(٢) الفوائد ٨٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٦/٢٢٨، .

يلقنه: لا إله إلا الله، وذلك لأجل أن يموت على كلمة الإخلاص فتكون ختام كلامه... ويكون تلقينه إياها برفق، ولا يكثر عليه، لئلا يضجره وهو في هذه الحال)[١].

وقال الشوكاني: (وقد وردت أحاديث صحيحة في الصحيحين[٢] وغيرهما عن جماعة من الصحابة أن مجرد قوله: لا إله إلا الله من موجبات دخول الجنة من غير تقييد بحال الموت، فبالأولى أن توجب ذلك إذا قالها في وقت لا تتعقبه معصية)[٣].

وقد قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[٤].

قال ابن القيم: (قال الشافعي ﷺ: لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم. وبيان ذلك أن المراتب أربع، باستكمالها يحصل للشخص غاية كماله.

إحداها: معرفة الحق.

الثانية: عمله به.

الثالثة: تعليمه من لا يحسنه.

الرابع: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه.

فذكر تعالى المراتب الأربعة في هذه السورة، وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر أن كل أحد في خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم الذي عملوا بما علموه من الحق، فهذه مرتبة أخرى، وتواصوا بالحق، ووصى بعضهم بعضًا بالصبر عليه والثبات، فهذه مرتبة رابعة، وهذا نهاية الكمال؛ فإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه مكملاً لغيره، وكماله بإصلاح قوتيه به العلمية والعملية؛ فصلاح القوة العلمية بالإيمان، وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات، وتكميله غيره بتعليمه

---

(١) الملخص الفقهي، د. صالح بن فوزان الفوزان ٢٠٤/١.

(٢) انظر على سبيل المثال صحيح البخاري الحديثين ١٢٨، ١٢٩، ومسلم الأحاديث ٢٩ - ٣٣.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، ص ٦٩٠.

(٤) سورة العصر، الآيات: ١ - ٣.

إياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل. فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره، والحمد لله الذي جعل كتابه كافيًا عن كل ما سواه، شافيًا من كل داء، هاديًا إلى كل خير)[1].

وقال القاسمي: (قال الرازي: هذه السورة [أي سورة العصر] فيها وعيد شديد، وذلك لأنه تعالى حكم بالخسار على جميع الناس، إلا من كان آتيًا بهذه الأشياء الأربعة. وهي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. فدل ذلك على أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور. وأنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه، فكذلك يلزمه في غيره أمور. منها الدعاء إلى الدين، والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأن يحب له ما يحب لنفسه. ثم كرر التواصي ليتضمن الأول الدعاء إلى الله، والثاني الثبات عليه. والأول الأمر بالمعروف، والثاني النهي عن المنكر)[2].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والأمر:

أما الترغيب فإخباره ﷺ أن الجنة جزاء من كان آخر كلامه "لا إله إلا الله"، وهذا ترغيب للمدعو أن يقع منه ذلك إن قدر، أو أن يجعل المحتضر ينطق بهذا، ولهذا أمر النبي ﷺ بتلقين الميت، حتى يُصيبه هذا الخير العميم، ألا وهو دخول الجنة.

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٥٦ - ٥٧.

(٢) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٧/٢٤٧.

الحديث رقم (٩١٩)

٩١٩- وعن أَبي سعيد الخدري ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لاَ إلهَ إِلاَّ اللهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

بيَّن الحديث السابق فضل لا إله إلا الله في ختام حياة العبد، وأنها تكون سبباً في دخوله الجنة، ، وهذا الحديث يوجه، ويرشد إلى تلقينها للموتى، وهذا معنى أمر الرسول ﷺ (لقنوا موتاكم) والتعبير بالموتى من المجاز المرسل باعتبار ما سيكون، وهذا المجاز يشير إلى من غلب الظن بموته، وإسناد الفعل لواو الجماعة يعطيه عموماً ليشمل كل مسلم، وتضعيف الفعل يشير إلى مضاعفة الجهد في تحقيق التلقين لأن الإنسان عند سكرة الموت يكون في حالة يصعب عليه فيها الكلام، والسمع، والفهم عن الملقن فاحتاج إلى صبر، وكل تلقين في هذا الحال تكتنفه مشقة بوجه من الوجوه.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٩١٦/١.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الإيمان بالله تعالى:

إن الغاية العظمى للتربية الإسلامية ترسيخ الإيمان بالله تعالى وتوحيده "والحرص على العقيدة خالصة من الزيغ بعيدة عن الشرك سليمة من الافتتان، نقية من التقليد عصية على الإفراط والتفريط"[١].

ولذا حرص النبي ﷺ على تأصيل الإيمان في القلوب وعلى استصحاب ذلك في كل لحظة، مع الجمع بين القول والعمل، وتعويد اللسان على ذكر الله. وقول لا إله إلا الله لفضلها العظيم لأنها من موجبات الجنة، ومن شواهد ذلك قوله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إلهَ إلاَّ الله دَخَلَ الْجَنَّةَ». وما جاء في الحديث الثاني من وصية رسول الله ﷺ لمن تواجد بحضرة إنسان نزل به الموت أن يلقنه كلمة التوحيد ورايته فقال ﷺ: «لَقِّنُوا موتاكم: لا إله إلا الله».

إن للإيمان بالله وتوحيده آثاراً عظيمة من أبرزها ما يلي:

أ- تحرير الإنسان من الذل والمهانة لمغريات الحياة فلا يستعبده جاه ولا مال ولا يذل للطواغيت.

ب- تحرير الإنسان من العبودية إلا الله فلا يخضع أو يستسلم بالعبادة لأي من بني البشر أو كائن آخر أياً كان.

ج- تربية عقل الإنسان على سعة الأفق والتأمل والرغبة في الاطلاع على أسرار الكون وذلك للاستدلال على قدرة الله في خلقه ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[٢].

د- الإيمان بالله يسلح الإنسان بالطمأنينة والرجاء بقرب الله التواب المجيب، قال

(١) التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، محمد أحمد جاد صبح ص ٢٢٦.

(٢) سورة الغاشية، آية: ١٧.

تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[١].

هـ- الإيمان بالله يوفر للمؤمن الاستقرار النفسي والراحة النفسية له فيما يتعلق بتساؤل الإنسان دائماً عن القوة التي هي أكبر منه تسيطر عليه وعلى الحياة من حوله فهو يفزع إليها عند الحاجة ويطمئن بوجودها.

و- الإيمان بالله يربي الإنسان على التواضع، وعدم التطرف أو الغرور، فلا يغتر بقوته مهما كانت ولا يظلم ولا يبطش لأنه يتذكر قدرة الله عليه، وإذا اغتر بماله أو أسرف وتكبر تذكر أن الله هو الغني وهو الذي وهبه المال... فيعود إلى الاعتدال ...إلخ.

ز- الإيمان بالله يوحد بين أفكار الأفراد ومشاعرهم ومناهجهم ويضبط تصرفاتهم وأوضاعهم وسلوكهم فيصبح المجتمع صالحاً يتميز بالثبات والاستقرار.

ح- الإيمان يربي المؤمن على النفس الموحدة بالله، وقد شبه الله النفس الموحدة لربها بالعبد الذي يملكه رجل واحد، فكل تصرفات هذا العبد تأتي حسب رغبة سيده، وبهذا تهدأ نفسه وتستقيم حياته وتكون تصرفاته بنسق واحد خالياً من الصراعات والاعتراضات، أما العبد الذي يملكه أكثر من فرد فإن تصرفاته تكون حائرة بينهم بسبب اختلافاتهم وتناقضاتهم، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢][٣].

ثانياً- التلقين:

وردت الإشارة إلى استخدام التلقين في الحديث الثاني من الباب في قوله ﷺ:

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٢) سورة الزمر، آية: ٢٩.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٧٦، ٧٧. الله والعلم الحديث، عبدالرزاق نوفل ص ٣٤٧، نقلاً عن كتاب التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية ص ٦٤-٦٧.

«لَقِّنُوا موتاكم: لا إله إلا الله». وذلك تذكير للمحتضر بكلمة التوحيد، وكذلك مساعدة وتمكيناً له من النطق بها لتكون آخر كلامه من الدنيا فيفوز بإذن الله بالجنة، كما أفصح عن ذلك الحديث الأول من الباب، حيث قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إلهَ إلاَّ الله دَخَلَ الْجَنَّةَ».

إن أسلوب التلقين وإن ورد في مقام الاحتضار والموت، لكنه بصفة عامة من أبرز الأساليب التربوية، "ويمكن القول إن التلقين وكذا الموعظة هي الطريقة التربوية التي يتحمل فيها الآباء والمربون وحدهم عبء الكلام والأولاد مستمعون فقط، لكنهم واعون لما يستمعون يتلقون النصائح ويعملون بها من خلال تجربة أو تجارب سابقة للآباء والمربين.

وهذه الطريقة في التربية طريقة قديمة، فقد ارتبطت بالتعليم منذ أقدم العصور، على أساس أن المربي هو الشخص الذي يمتلك المعرفة، والمتعلمين ينتظرون أن يتلقوا بعضاً مما عنده، بهدف إفادتهم ونموهم السوي في كل جوانب حياتهم"[1].

ثالثاً- الحث على المعاونة والمؤازرة:

من أسمى أهداف التربية الإسلامية غرس روح التعاون بين الأفراد، وحرص كل مسلم على جلب الخير لإخوانه من خلال إعانتهم بشكل مباشر أو غير مباشر.

ومن مظاهر ذلك إعانة المسلم لأخيه وهو في لحظة الاحتضار بتلقينه "لا إله إلا الله". وفي تلك الحالة يكون المسلم أحوج ما يكون لأخيه، أن يساعده ويؤازره حال الاحتضار ونزول الموت فلا أفضل من أن يلقنه كلمة التوحيد وشهادة الإسلام، ويساعده على النطق والتلفظ بها، ومن هنا جاء إرشاد النبي ﷺ في حديثي الباب مبيناً أهمية ختام الإنسان حياته بلا إله إلا الله، فتلك بطاقة دخوله الجنان، ومن ثَمَّ أمر الرسول ﷺ بتلقين الموتى ساعة الاحتضار لا إله إلا الله، فقال ﷺ: «لَقِّنُوا موتاكم: لا إله إلا الله».

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد ص ١٩٥.

ولا يقتصر غرس روح التعاون والمؤازرة في هذا الموقف الحرج فحسب بل يمتد ليشمل جميع ميادين الحياة.

إن التربية على غرس تلك الروح ليست من قبيل النافلة أو المجاملات، وإنما هي واجبات وحقوق أوجبها المسلم على نفسه بعقد الإيمان، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام وأحد أعلام التربية الإسلامية ابن تيمية حيث قال: إن حقوق المسلم واجبة على أخيه المسلم بنفس الإيمان، والتزام هذه الحقوق بمنزلة التزام الصلاة والزكاة والصيام والحج، والمعاهدة عليها كالمعاهدة على ما أوجب الله ورسوله، وهذه ثابتة لكل مؤمن على كل مؤمن، وإن لم يحصل بينهما عقد مؤاخاة[1]. فليس على المسلم إلا أن يمد لأخيه يد العون والمؤازرة، سواء أكان ذلك في الأمور الدنيوية المباحة أو كان في الأمور الدينية ومنها ما جاء في الحديث من الإرشاد بتلقين الميت بكلمة التوحيد.

رابعًا- من الأساليب التربوية:

ورد في الحديث أسلوبان من أساليب التربية ،وهما :

أ- الإلقاء: كما في حديث: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة". والإلقاء يعتمد على العرض الشفهي للمعلومات أمام المتعلمين، ويمكن المعلم من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت لأكبر عدد ممكن من المتعلمين.

ب- التلقين: كما في حديث: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله" فقد أمر النبي ﷺ من حضر الميت وقت احتضاره بأن يلقنه لا إله إلا الله، ومما لا شك فيه أن التلقين هو الأنسب في هذه الحالة.

ومما هو جدير بالذكر أن التلقين يُستَخدم كثيرًا من قبل المعلمين والمربين والوعاظ وغيرهم، فهو من الأساليب التربوية والتعليمية الشائعة والمتكررة.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٠١/١١.

١٥١- باب مَا يقوله بعد تغميض الميت

الحديث رقم (٩٢٠)

٩٢٠- عن أُم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: دَخَلَ رسولُ الله ﷺ عَلَى أَبي سَلَمة وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: ((إنَّ الرُّوحَ إذَا قُبِضَ، تَبِعَهُ البَصَرُ)) فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أهْلِهِ، فَقَالَ: ((لاَ تَدْعُوا عَلَى انْفُسِكُمْ إلاَّ بِخَيْرٍ، فَإنَّ المَلاَئِكَةَ يُؤمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ)) ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

شق بصره: رفع بصره، وشَخص وصار ينظر إلى الشيء لا يرتد إليه طرفه[٢].

فضج ناس من أهله: رفعوا أصواتهم بالبكاء والصياح[٣].

يؤمنون: من التأمين أي يقولون: آمين، أي: اللهم استجب[٤].

المهديين: الذين هداهم الله بالإسلام سابقًا وبالهجرة إلى خير الأنام لاحقًا[٥].

عقبه: العقب من يخلف من كان قبله في الخير[٦].

الغابرين: الذاهبين[٧].

---

(١) برقم ٧/٢٠.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٩٦.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٣٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ م ن)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٣٤.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٣٤.

(٦) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (غ ب ر).

(٧) المرجع السابق في (غ ب ر).

الشرح الأدبي

قول أم سلمة رضي الله عنها (وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ) كناية عن مفارقة روحه لبدنه أي موته، وفائدة التعبير الكنائي أنه يصور المعنى بدليله فكأنها تقرر موته، وتستدل بذهاب بصره، ويؤكده فعل الرسول ﷺ المعقب على قولها: (فأغمضه) ثم قوله (إنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ، تَبِعَهُ البَصَرُ) المرتب على فعله بالتراخي الذي دلت عليه (ثم) ولعله قضى فترة من الشجن، والحزن يودع فيها أبا سلمة رضي الله عنه، وقولها (فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ) كناية عن البكاء، والعويل على موته، ونهي الرسول ﷺ (لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ) تحذير يلمح إلى أنه من المواضع التي يستجاب عندها الدعاء لشهود الملائكة، وقد تبعها بجملة تعليلية تقرر ذلك، وترغب في الدعاء بالخير: (فَإِنَّ المَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ) ودعاء الرسول ﷺ رحمة، وتكريماً لأبي سلمة لأنه دعا له بالمغفرة، وسمَّاه باسمه، ودعا له بالرفعة في الطائفة الخاصة (المهديين) والتعبير بالهداية يوحي بالاستقامة، والتقى، والصلاح، ويشير إلى طائفة من عباده منَّ عليهم بلزوم صراطه في الدنيا حتى لقوا ربهم، ثم دعا للميت بما يعود على أهل (، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ) أي: من يعقبه ويتأخر عنه من ولد، وغيره، ولذا أبدل عن عقبه بقوله (في الغابرين) بإعادة الجار، وقد كرر الدعاء له بالمغفرة، وجمع بين الدعاء لنفسه وللمؤمنين، والدعاء للميت ثم دعا له بالفسحة في القبر، والنور لأن الإنسان يكره الضيق، وينفر من الظلمة لأن القلب ينقبض منهما، وحال الميت أشد لأنه مقبل على بيت الظلمة، والضيق.

فقه الحديث

١- استحباب إغماض عيني الميت: قال القرطبي: (إغماض الميت: سدُّ أجفانه بعد موته، وهو سنة عمل بها المسلمون كافة، ومقصوده تحسين وجه الميت وستر تغيّر بصره)(١).

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٧٣/٢، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٩٧/٦/٣، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٧٩/٥، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٦٥/٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٥/١٦.

٢-استحباب أن يقول الناس عند الميت خيرًا، وأن يدعوا له: قال النووي: (يستحب للناس أن يقولوا عند الميت خيرًا وأن يدعوا له، لحديث أم سلمة رضي الله عنها)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: بيان الحقائق.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تغميض عين الميت والدعاء له.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي رضي الله عنه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التوكيد والقصر والتعليل والدعاء.

أولاً - من مهام الداعية: بيان الحقائق:

يتضح ذلك من قول النبي ﷺ: (إن الروح إذا قبض تبعه البصر)، فلما ضجَّ ناس من أهله بالبكاء، قال ﷺ: (لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون).

قال ابن عثيمين: "إن الإنسان إذا حضر الميت، فإن الميت في الغالب يشخص بصره - ينفتح باتساع- يشاهد الروح إذا خرج من البدن، لأن الروح إذ خرجت من البدن[2] لها جسم، لكن جسم لا يراه الناس، لا يراه إلا الميت والملائكة فقط، وتأخذها"[3]، "وإن الملائكة يؤمنون على الدعاء في هذه الحالة، فينبغي لأهل الميت أن يدعوا بالخير"[4].

قال عبدالله البسام: "قال الطبيب محمد بن علي البار: الروح أمر مجهول لا نقول فيه إلا أنه من أمر ربنا، وما أوتي البشر من العلم إلا قليلاً، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[5]، والرسول ﷺ يوضح لنا متى

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥/٨٠ .

(٢) الروح كلمة تذكر وتؤنث كما في المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر و ح)، وقد عاملها ابن عثيمين مذكرة ومؤنثة كما هو واضح في هذا النص.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١١٨٨.

(٤) المرجع السابق ٢/١١٩٠.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٨٥.

تنفخ الروح في الجنين، وأن ذلك بعد مروره في مراحل وأطوار مختلفة، حتى إذا تكونت أعضاؤه بدأت في الجنين حركات إرادية، وترتسم على وجهه علامات الرضا والضيق، كل ذلك يدل على نفخ الروح.

قال الرازي: الروح موجود وهو مغاير لهذه الأجسام والأعراض، ذلك أن الأجسام أشياء تحدث من العناصر، أما الروح فإنه ليس كذلك، بل هو جوهر بسيط مجرد يحدث بقوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[1]، ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته نفيه، فإن أكثر حقائق الأشياء وماهيتها مجهولة.

وقال ابن القيم: "الصحيح أن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، فالروح جسم نوراني علوي خفيف متحرك، ينفذ في الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في العود، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي هذا الجسم اللطيف متشابكًا بهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادة، وإذا فسدت هذه الأعضاء وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح.

وهذا هو الصواب وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دلّ الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة.

فالروح هي مناط التكليف ومدار الأمر والنهي والصلاح والفساد، وما الجسم إلا لباس لها وشكل ظاهر، فهي اللب والجوهر" اهـ كلامه.

قال عبدالله البسام: وهذا الارتباط بين الروح والجسد الذي ذكره ابن القيم يشير إليه الحديث الشريف الذي معنا.

قال ﷺ: (إن الروح إذا قبض تبعه البصر)، شخص بصر الميت، وسبحان المحيط علمه بكل شيء.

فقوله: (إذا قبض) وقوله: (تبعه البصر) دليل قاطع على أن الروح جسم، فالقبض لا يكون إلا لجسم، والبصر لا يتبع إلا شيئًا مرئيًا هو الجسم.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٤٧.

وقال د. حسن الشرقاوي: "ويخلط علماء الروح الحديث خلطًا شديدًا، فيندفعون في دعاويهم الزائفة فيستجلبون أجسامًا عن طريق الوسطاء، زاعمين أنهم أحضروا الروح ويستخدمون لذلك وسائل مادية.

ويمكن القول بأن هذا النوع من الاتصال يتم بين الإنس والجن، وليس للروح أي علاقة بهذه التجارب المادية، لأن الروح من اختصاص الله وليست في مقدور الإنسان، ومهما تقدم العلم فإنه سيظل عاجزًا عن إدراك كنه الروح، وأصحاب هذه التجارب خلطوا بين عالم الجن وعالم الروح، فتجاربهم نوع من العبث والله أعلم"[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تغميض عين الميت والدعاء له:

هذا ما فعله النبي ﷺ، فقد أغمض عين أبي سلمة رضي الله عنه ودعا له قائلا: (اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونوّر له فيه).

قال النووي: "قولها: فأغمضه، دليل على استحباب إغماض الميت وأجمع المسلمون على ذلك، قالوا: والحكمة فيه ألا يقبح بمنظره لو ترك إغماضه.. قولها: (ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة.. إلى آخره)، فيه استحباب الدعاء للميت عند موته ولأهله وذريته بأمور الآخرة والدنيا"[2].

قال ابن القيم: "وكان من هديه ﷺ تسجية الميت إذا مات وتغميض عينيه، وتغطية وجهه وبدنه، وكان ربما يقبل الميت كما قبل عثمان بن مظعون وبكى[3]، وكذلك الصديق أكبّ عليه بعد موته ﷺ"[4][5].

وقال عبدالله البسام: "قوله: (المهديين) الذين هداهم الله تعالى، ودلّهم على طريق

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٤٨٢/٢ - ٤٨٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٣/٦/٣، .

(٣) قالت عائشة رضي الله عنها: (رأيت رسول الله ﷺ يقبل عثمان بن مظعون وهو ميت حتى رأيت الدموع تسيل)، أخرجه أبو داود ٣١٦٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٧٠٩).

(٤) أخرجه البخاري ١٢٤١، ١٢٤٢.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٠٢/١.

الرشد والسداد في حياتهم ومماتهم.

(افسح له في قبره): وسّع له ومدّ له في قبره بحيث يكون عليه روضة من رياض جنتك.

(نوّر له فيه): فدعاء الصالحين من أسباب نور القبر، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ هٰذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَىٰ أَهْلِهَا. وَإِنَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلاَتِي عَلَيْهِمْ))[1].

(واخلفه في عقبه): واجعل لمن ترك بعده من الأهل والذرية خليفة صالحًا في أحوال دينهم ودنياهم[2].

ويؤخذ من الحديث:

(١) جواز النظر إلى وجه الميت.

(٢) استحباب تغميض عيني الميت بعد وفاته.

(٣) أن الوفاة هي بمفارقة الروح البدن.

(٤) النهي عن الضجيج والصراخ، ورفع الصوت عند مصيبة الموت أو غيره، ولعل بعض آل أبي سلمة أتوا عند وفاته وفعلوا ما اعتادوا أن يفعلوه في الجاهلية من قولهم: واويلاه واثبوراه ونحوه فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير.

(٥) استحباب الدعاء بالخير عند الوفاة بالاسترجاع وسؤال الرحمة للميت ونحو ذلك.

(٦) من رحمة الله تعالى بخلقه أن جعل ملائكته يواسون المسلمين عند مصائبهم، فيؤمنون على دعائهم ويحضرون عندهم.

(٧) استحباب الدعاء للميت بالرحمة والمغفرة ورفع الدرجات في الجنة وحشره مع أولياء الله تعالى المهديين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

(٨) ثبوت نعيم القبر من اتساعه له وتنويره، فيكون عليه روضة من رياض الجنة،

---

(١) أخرجه مسلم ٩٥٦، وهو عند البخاري ٤٥٨، ٤٦٠، ١٣٣٧، لكنه ليس فيه هذه الزيادة، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ٦٥٩/١ حيث ذهب ابن حجر إلى أنها مدرجة في الإسناد.

(٢) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٣٩/٣.

فهو أول منازل الآخرة.

(٩) استحباب الدعاء لأهل الميت وعقبه بأن يخلفهم عنه خيرًا، وأن يعوضهم عن فقده أجرًا[١].

وقال ابن عثيمين: "ينبغي لمن حضر الميت وأغمضه أن يدعو له، وإذا دعا بهذه الدعوات العظيمة التي دعا بها الرسول ﷺ لأبي سلمة كان خيرًا، وإن لم يعرفها دعا بما شاء"[٢]. فكان إغماض عين الميت من باب إكرامه وصونه أن يرى على هيئة مكروهة أو تنفر منها العين، فكان في هذا قيام بما على المدعوين تجاه الميت من مراعاة حشمته والمحافظة على حرمته وهو ميت، كما أن الدعاء منهم له توجه إلى الله أن يرحمه ويغفر له ويتجاوز عنه، ويقبله في الصالحين وقد أفضى لما قدم من عمل.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي رضي الله عنه:

لقد دعا النبي ﷺ لأبي سلمة بعد موته، فكان في ذلك منقبة له وفضيلة، وقد كان هذا الصحابي من المهاجرين المجاهدين، قال الذهبي: "هو ابن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب.

السيد الكبير أَخو رسول الله ﷺ من الرضاعة، وابن عمته بَرَّة بنت عبد المطلب، وأَحد السابقين الأولين، هاجر إِلى الحبشة، ثم هاجر إِلى المدينة، وشهد بدرًا، وماتَ بعدَها بأشهر، وله أولاد صحابة: كعمر وزينب وغيرهما، ولما انقضت عدة زوجته أم سلمَةَ تزوَّج بها النبيُّ ﷺ، وروتْ عن زوجها أَبي سَلَمة القول عند المصيبة، وكانت تقول: مَنْ خيرٌ من أَبي سَلَمَة، وما ظنَّتْ أَن الله يخلفها في مُصابها به بنظيره، فلما فُتح عليها بسيد البشر، اغتبطتْ أَيما اغتباط.

مات كهلاً في سنة ثلاث من الهجرة رضي الله عنه.

قال ابنُ إِسحاق: هو أَول مَنْ هاجر إِلى الحبشة، ثم قدم مع عثمان بن مظعون حين قدم من الحبشة، فأجاره أَبو طالب.

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٤٧٩ - ٤٨٠.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١١٩٠.

قلتُ: رجعوا حين سمعوا بإسلام أَهل مكة عند نزول سورة (والنجم).

قال مصعب بن عبد الله: وَلَدت له أم سلمةَ بالحبشة سَلمة، وعُمر، ودُرَّة، وزينب.

قلتُ: هؤلاء ما ولدوا بالحبشة إلا قبل عام الهجرة.

عَنْ عُمَرَ بْنِ أبي سَلَمَةَ، عَنْ أم سَلَمَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِذَا اصَابَتْ احَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَقُلْ: (إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) اللَّهُمَّ عِنْدَكَ احْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَاجُرْنِي فِيهَا وَابْدِلْ لِي بِهَا خَيْرًا مِنْهَا)).

فلما احتضر أبو سلمة قلت ذلك، وأردت أن أقول وأبدلني خيرًا منها، فقلت: ومن خير من أبي سلمة، فما أزال حتى قلتها، فلما انقضت عدتها خطبها أبو بكر فردته، وخطبها عمر فردته، فبعث إليها رسول الله ﷺ فقالت: مرحبًا برسول الله ﷺ وبرسوله، وذكر الحديث[1].

قال الواقدي: "حدثنا عمر بن عثمان اليربوعي، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أَبي سلمة وغيره قالوا: شهد أَبو سَلَمَة أُحُدًا، وكان نازلاً بالعالية في بني أمية بن زيد، فجُرح بأحُد، وأَقام شهرًا يداوي جُرحَه، فلما هَلَّ المحرَّمُ دعاه النبيُّ ﷺ، وقال: اخْرُجْ فِي هَذِهِ السَرِيَّةِ، وعَقَدَ لَهُ لِوَاءً، وقال: سِرْ حَتَىَ تَأْتِي أَرْضَ بَنَي أَسَدٍ، فأَغِرْ عَلَيْهِم. وَكان معه خمسون ومائة، فساروا حتى انتهوا إِلى أَدنى قطن من مياههم، فأخذوا سرْحًا لهم، ثم رجع إِلى المدينة بعد بضع عشرة ليلة.

قال عُمر بن عثمان: فحدثني عبد الملك بن عُبيد قال: لما دخل أبو سلمة المدينة انتقض جرحه، فمات لثلاث بقين من جمادى الآخرة. يعني سنة أَربع، وقيل: مات أَبو سَلمة سنة ثلاث"[2].

رابعًا - من أساليب الدعوة: التوكيد والقصر والتعليل والدعاء:

أما التوكيد فقوله ﷺ: (إن الروح إذا قبض تبعه البصر)، وأما القصر: فقوله ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم ٩١٨ بنحوه مختصرًا، وهو بطوله عند الإمام أحمد في المسند ٣١٢/٦ رقم ٢٤٦٦٩، وقال محقق المسند: بعضه صحيح، انظر: تخريجه ٢٧٠/٤٤ - ٢٧١.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١٥٠/١ - ١٥٢.

(لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير)، فكان هذا القصر لبيان الدعاء المشروع في هذا الموقف، ومحاربة لعادة أهل الجاهلية، (فقد كانوا إذا حصل مثل هذا يدعون على أنفسهم بالويل والثبور - والعياذ بالله - يقولون: يا ويلاه يا ثبوراه وما أشبه ذلك)[1].

أما التعليل فقوله ﷺ: (فإن الملائكة يؤمنون على ما يقولون)، ليوضح أن الدعاء هنا في هذا الموقف، الواجب فيه الدعاء بالخير والرحمة والمغفرة والصبر.

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١١٨٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالتوجيه:

وقد جاء استخدام هذا الأسلوب التربوي واضحاً في نهي النبي ﷺ أهل أبي سلمة وغيرهم عن عادتهم، أنهم إذا مات لهم ميت رفعوا أصواتهم بالضجيج والدعاء على النفس فقال ﷺ موجهاً لهم: «لا تَدْعُوَ على أَنْفُسِكُمْ إلاَّ بِخَيْرٍ»، وبين العلة في هذا النهي أن الملائكة تُؤَمِّنُ على دعاء الإنسان، فلربما دعا الإنسان على نفسه فوافق ذلك تأمين الملائكة فتحقق الدعاء، كما نجد في الحديث أيضاً توجيه رسول الله ﷺ بلسان حاله ومقاله إلى ما ينبغي فعله في هذا المقام من الدعاء بالخير والرحمة والمغفرة للميت والحيّ، فقال ﷺ: «اللهمَّ اغْفِرْ لأبِي سَلَمَةَ وارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ واخْلُفْهُ في عَقِبِهِ في الغابرينَ، واغْفِرْ لَنَا ولهُ يا ربَّ العالمينَ، اللهمَّ افْسِحْ لَهُ في قَبْرِهِ ونَوِّرْ لَهُ فيهِ».

إن من أهم غايات التربية الإسلامية التوجيه الصحيح وتغيير العادات والتقاليد التي تتنافى مع هدي الإسلام في كافة الأمور والتي من جملتها ما نهى عنه النبي ﷺ من الدعاء على النفس، إذ أن "من أهم لوازم العبودية لله عز وجل البراءة من أفعال الجاهلية وأخلاق الجاهلين، بل إن عقيدة الولاء والبراء في الإسلام تفرض على العبد المسلم أن يتخلص من كل رواسب الجاهلية وعاداتها، وألا يتشبه بأهل الجاهلية في شيء من الأقوال والأفعال مهما كان ضغط الواقع وإغراءات الحياة، بل يتميز المسلم بشخصيته الإسلامية الموحِّدة والتي تحصر كل تلقيها فيما جاء عن الله سبحانه أو عن رسوله ﷺ"(١).

لذا ينبغي على المربين التوجيه إلى نبذ السلوكيات والأعمال التي تتنافى مع قيم ومبادئ الإسلام والإرشاد إلى انتهاج السلوك القويم.

---

(١) انظر: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجُلَيِّل، ٤٠٦/٢، ٤٠٧.

"إن التنفير من الأمور السيئة لا يقل أهمية عن التحبب في الأمور الطيبة، بل إن التنفير والتحذير من العوامل المؤثرة في عملية التربية ومحاربة الأفكار والعادات السيئة والمفاهيم الباطلة.

ولكي يكون أثر التحذير نافعاً ومفيداً علينا أن نراعي أمرين:

أولاهما: الحذر من كثرة التحذير وتكراره الممل الخالي من ذكر الأسباب.

ثانيهما: ألا نحذر الطفل من شيء ونحن نفعله، فإن هذا يجعل الطفل محتاراً ويوقعه في التناقض بين القول والفعل[1]".

ثانياً- التربية العقدية:

بيّن رسول الله ﷺ في حديث الباب بعض المفاهيم العقدية التي ينبغي أن تكون واضحة في ذهن المسلم، فورد في الحديث عدة أمور من آحاد العقيدة منها:

- في قوله ﷺ: «إِنَّ الرُّوْحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ».
- وفي قوله ﷺ: «فإِنَّ الملائكةَ يُؤَمِّنُونَ ...».
- القبر وما يجرى فيه من نعيم أو عذاب، وذلك ما حمل رسول الله ﷺ -وفي ذلك القدوة- أن يدعو لأبي سلمة بالنعيم فقال: «وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيْهِ».

وهكذا نرى كيف أن النبي ﷺ يربي الأمة على التوحيد وإخلاص العقيدة لله وعلى كريم الشمائل وجليل الصفات، فعلى الآباء والمربين أن يستفيدوا من تربية النبي ﷺ للصحابة وتعليمه لهم أصول العقيدة وفضائل الآداب[2]".

إن على المربين والمعلمين وكذا الآباء أن يستحضروا دائماً نصب أعينهم أن العقيدة الصحيحة وترسيخها في المتربين أساس التربية الإسلامية.

"إن أثر العقيدة الإسلامية يبرز بوصفها الأساس الأول من أسس التربية في الإسلام من حيث كون العقيدة الإسلامية قاعدة تنبني عليها كل حركة وكل سكنة من حركات وسكنات المسلم في حياته، ولذا فإنها والحالة تلك تكون مقياساً حتمياً

---

(١) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) انظر: الشباب مشكلات وحلول، د. أحمد خليل جمعة وآخر ص ٧٠، ٧١.

لكل سلوك يسلكه سواء كان سلوكاً دنيوياً أم كان سلوكاً أخروياً، بحيث يقبل ويأخذ ما وافق العقيدة، ويرد ويرفض كل ما خالف العقيدة الإسلامية.

كما أن غرس العقيدة الإسلامية في نفس المسلم بوصفه عملاً رئيساً من مهام المربي المسلم يجعل سلوك الفرد متفقاً مع أهداف التربية الإسلامية، ويضمن بالتالي تحقيق التوازن النفسي والوجداني عند الفرد بخاصة حيال مظاهر الكون، وأخيراً يستطيع أن يصدر الأحكام المبنية على وجهة نظر الإسلام تجاه الأشياء والظواهر والعلاقات بصورة صحيحة[1].

ثالثًا- من الأساليب التربوية:

جاء في حديث الباب بعض الأساليب التربوية، التي منها:

أ- المارسة العملية: كما في قول أم سلمة رضي الله عنها: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه" فقد أغمض النبي ﷺ عيني أبي سلمة رضي الله عنه.

ومما لا شك فيه أن الممارسة العملية تتميز بشدة بقاء أثر التعليم في نفوس المتعلمين.

ب- التعليل: يتضح هذا جليًا في قول النبي ﷺ لما أغمض عيني أبي سلمة "إن الروح إذا قبض تبعه البصر" وقوله ﷺ لما ضجَّ ناس من أهل أبي سلمة حزنًا على موته قال لهم: "لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون" فقد بيّن ﷺ سبب إغماض عيني أبي سلمة، كما بين سبب نهي أهل أبي سلمة عن الدعاء على أنفسهم، ومما لا شك فيه أن تعليل الأفعال والأقوال -إن اقتضى المقام ذلك- يزيد في استجابة المتعلمين وامتثالهم بالفعل في حالة الأمر، والترك في حالة النهي.

رابعًا- من مهام المربي: تقديم البديل المشروع:

إن النبي ﷺ لما نهى بعض أهل أبي سلمة عن الدعاء على أنفسهم إلا بخير قدم لهم هذا الدعاء بالخير، فقال: "اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونوّر له فيه". إن

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. أمين ابو لاوي ص ٨٦.

النبي ﷺ بدعائه قدم -ولو بطريق غير مباشر- لأهل أبي سلمة البديل الذي ينبغي أن يشتغلوا به بعد أن نهاهم عن الدعاء على أنفسهم، إنه ﷺ بدعائه هذا جذب أنظار من اشتغل من أهل أبي سلمة بالدعاء على نفسه بالهلاك أو الموت ونحو ذلك إلى أولى ما يشتغلون به، وهو الدعاء للميت ولأهله، وطلب المغفرة له ولهم من الله رب العالمين.

وعلى ذلك فإن المعلم البارع من إذا منع المتعلمين من شيء قدّم بديلاً مقبولاً لذلك الممنوع، حتى يشغلهم به عن الانشغال بما هو مرفوض وغير مرغوب.



١٥٢- باب ما يقال عند الميت وَمَا يقوله من مات له ميت

الحديث رقم (٩٢١)

٩٢١- عن أُم سَلَمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا حَضَرتُمُ المَرِيضَ أَوِ: المَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ المَلائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ))، قالت: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سلَمة، أتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ، فقلت: يَا رسولَ الله، إنَّ أَبَا سَلَمَة قَدْ مَاتَ، قَالَ: ((قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ، وَاعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبى حَسَنَةً)) فقلتُ، فَأَعْقَبنِي اللهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ: مُحَمَّدًا ﷺ.

رواه مسلم هكَذا: ((إِذَا حَضَرتُمُ المَرِيضَ، أَوِ: المَيِّتَ))، عَلَى الشَّكِّ، ورواه أَبُو داود[1] وغيره: ((الميت)) بلا شَكّ.

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

يؤمِّنون: من التأمين أي يقولون: آمين، أي: اللهم استجب[2].

أعقبني: أبدلني وعوضني[3].

الشرح الأدبي

جاء الحديث في ثوب الشرط الذي يربط الجزاء بالفعل حيث ربط حضور الميت أو المريض بقول الخير، ثم علل الأمر بالقول بما يضمن التزامه، ويرغب فيه (فَإِنَّ المَلائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ) وصياغة الفعل في صورة المضارع تصور تجدد تأمين الملائكة مع تجدد القول، ونسبة الفعلين لواو الجماعة توحي بالاحتشاد للتأمين مما يجعله أقرب

---

(١) أخرجه مسلم ٩١٩/٦، وأبو داود ٣١١٥. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٢٥.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ م ن)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٣٥.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٣٦.

للإجابة، والتعبير بالإتيان، لأنه ذهاب فيه مشقة من ناحية الحالة النفسية بسبب موت زوجها، وقولها (إنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ) خبر أريد به لازمه من الترحم عليه، والصلاة، وتشييعه، وقوله في الدعاء (أعقبني - عقبى) جناس يؤكد المعنى، ويشير إلى أصله الذي يدور عليه الحديث، وهو أن الله أخلفها بصبرها عن زوجها من هو خير منه، وهو النبي ﷺ والتتميم البلاغي بقوله (حسنة) يضيف نكتة بلاغية تعطى العاقبة خصوصية تفوق المعقوب.

فقه الحديث

١ - ما يقال عند المريض والميت:

قال النووي: (قوله ﷺ: "إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرًا؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون" فيه الندب إلى قول الخير حينئذٍ من الدعاء والاستغفار له وطلب اللطف به والتخفيف عنه ونحوه، وفيه حضور الملائكة حينئذٍ وتأمينهم)[1].

٢- ينبغي للمصاب أن يستعين بالله تعالى:

قال ابن قدامة: (ينبغي للمصاب أن يستعين بالله تعالى ويتعزَّى بعزائه، ويمتثل أمره في الاستعانة بالصبر والصلاة ويتنجَّز ما وعد الله به الصابرين، حيث يقول سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[2]. روى مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: "سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون..." الحديث وليحذر أن يتكلم بشيء يحبط أجره ويسخط ربه، بما يشبه التظلم والاستغاثة، فإن الله عدل لا يجور وله ما أخذ وله ما أعطى، وهو الفعال لما يريد، ولا يدعو على نفسه، فإن النبي ﷺ قال لما مات أبو سلمة: "لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون" ويحتسب ثواب الله تعالى

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٦/١٩٧ .

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ - ١٥٧.

ويحمده، لما روى أبو موسى أن رسول الله ﷺ قال: "إذا مات ولد العبد... الحديث"[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: ما يقال عند الميت.

ثانيًا: من آداب المدعو: إخبار الداعية بحاله ليدله على ما يفعله وينفعه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: دعاء من مات له ميت أو أصيب بمصيبة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: جزاء من استجاب لهدي رسول الله ﷺ عند وقوع المصيبة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الشرط والأمر والترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: ما يقال عند الميت:

يتضح ذلك في قوله ﷺ: (إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرًا، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون).

وعن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا حَضَرْتُمْ مَوْتَاكُمْ فَأَغْمِضُوا الْبَصَرَ، فَإِنَّ الْبَصَرَ يَتْبَعُ الرُّوحَ، وَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّهُ يُؤَمَّنُ عَلَى مَا قَالَ أَهْلُ الْمَيِّتِ))[٣].

قال الشوكاني: "والحديث فيه الندب إلى قول الخير حينئذٍ من الدعاء والاستغفار له، وطلب اللطف به، والتخفيف عنه ونحوه، وحضور الملائكة حينئذٍ وتأمينهم"[٤].

وقال أبو عبدالله القرطبي: "قال علماؤنا[٥]: قوله ﷺ: (إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا)، أمر ندب وتعليم بما يقال عند المريض أو الميت، وإخبار بتأمين الملائكة على دعاء من دعا، ولهذا استحبّ العلماء أن يحضر الميت الصالحون وأهل الخير حالة موته، ليذكروه ويدعوا له ولمن يخلفه، وينتفع بذلك الميت، ومن يصاب به،

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٩٥/٣-٤٩٦.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٢١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٢٢).

(٣) أخرجه أحمد ١٢٥/٤ رقم ١٧١٣٦، وابن ماجة ١٤٥٥، وقال محققو المسند: حديث صحيح لغيره ٣٦٠/٢٨.

(٤) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ص ٦٩٢، وقد نقله عن النووي في شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٣١/٦/٣ - ٢٣٢، .

(٥) يقصد شيخه أبا العباس القرطبي المحدث صاحب المفهم وهو في المفهم ٥٧١/٢.

ومن يخلفه"[١].

ثانيًا - من آداب المدعو: إخبار الداعية بحاله ليدله على ما يفعله وينفعه:

يتضح هذا من فعل أم سلمة عندما جاءت إلى النبي ﷺ تخبره بموت زوجها أبي سلمة، فأرشدها النبي ﷺ إلى ما تقوله، فدلها ﷺ على الخير والنفع لها ولميتها.

ومن هذا القبيل ما رواه أبو أمامة قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، وَنَحْنُ قُعُودٌ مَعَهُ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا. فَأَقِمْهُ عَلَيَّ. فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللّهِ. ثُمَّ أَعَادَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا. فَأَقِمْهُ عَلَيَّ. فَسَكَتَ عَنْهُ. وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ. فَلَمَّا انْصَرَفَ نَبِيُّ اللّهِ ﷺ قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: فَاتَّبَعَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللّهِ حِينَ انْصَرَفَ. وَاتَّبَعْتُ رَسُولَ اللّهِ أَنْظُرُ مَا يَرُدُّ عَلَى الرَّجُلِ. فَلَحِقَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللّهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ. قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ: ((أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ، أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ؟)) قَالَ: بَلَى. يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: ((ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلاَةَ مَعَنَا؟)) فَقَالَ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ: ((فَإِنَّ اللّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ. أَوْ قَالَ - ذَنْبَكَ))[٢].

قال النووي: "هذا الحد معناه معصية من المعاصي الموجبة للتعزير، وهي هنا من الصغائر، لأنها كفَّرتها الصلاة، ولو كانت كبيرة موجبة لحد أو غير موجبة له، لم تسقط بالصلاة، فقد أجمع العلماء على أن المعاصي الموجبة للحدود، لا تسقط حدودها بالصلاة، هذا هو الصحيح في تفسير هذا الحديث. وحكى القاضي[٣] عن بعضهم أن المراد بالحد المعروف، قال: وإنما لم يحده لأنه لم يفسر موجب الحدّ، ولم يستفسره النبي ﷺ عنه إيثارًا للستر، بل استحب تلقين الرجوع عن الإقرار بموجب الحد صريحًا"[٤].

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٣٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٦٥.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٦٧/٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٤/١٧/٩ - ٨٥.

ومن ذلك ما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، إِذَا رَأَى رُؤْيَا، قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ. فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقُصُّهَا عَلَى النَّبِيِّ. قَالَ: وَكُنْتُ غُلاَمًا شَابًّا عَزَبًا. وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ. فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ. فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ. وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ الْبِئْرِ. وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ. فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ. أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ. أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ. فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ. فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ)). قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ، بَعْدَ ذَلِكَ، لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً[1].

قال أبو العباس القرطبي: "إنما فهم النبي صلى الله عليه وسلم من رؤية عبد الله للنار أنه ممدوح، لأنه عرض على النار ثم عوفي منها، وقيل له: لا روع عليك وهذا إنما هو لصلاحه، وما هو عليه من الخير، غير أنه لم يكن يقوم من الليل؛ إذ لو كان ذلك ما عرض على النار ولا رآها، ثم إنه حصل لعبد الله رضي الله عنه من تلك الرؤية يقين مشاهدة النار والاحتراز منها، والتنبيه على أن قيام الليل مما يتقي به النار، ولذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك رضي الله عنه"[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: دعاء من مات له ميت أو أصيب بمصيبة:

يتضح هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة: (قولي: اللهم اغفر لي وله وأعقبني منه عقبى حسنة).

وفي الحديث الآخر: (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها، إلا آجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيرًا منها).

قال الطيبي: "قوله: (إنا لله) تسليم وإقرار أنه وما يملكه وما ينسب إليه عارية

(١) أخرجه البخاري ١١٢١، ومسلم ٢٤٧٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٠٩/٦ - ٤١٠.

مستردة، ومنه بدأ وإليه الرجوع والمنتهى، فإذا وطّن نفسه به، وتصبّر على ما أصابه سهل عليه الأمر، وعرف فضيلة مطلوبه، ولم يُرد بقوله: (قالوا: إنا لله)، اللفظ فقط، فإن التلفظ بذلك مع الجزع قبيح وسخط للقضاء.

قوله: (آجرني في مصيبتي)، قال ابن الأثير في النهاية[1]: "آجره يؤجره إذا أثابه وأعطاه الأجر والجزاء، وكذلك أجره يأجره، والأمر منهما آجرني وأجرني، قوله: (خيرًا منها)، أي بما فات عني في هذه المصيبة، وهي الأمر المكروه ينزل بالإنسان"[2].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[3].

قال القاسمي: "قالوا: (إنا لله) أي: ملكًا وخلقًا، فلا ينبغي أن نخاف غيره، لأنه غالب على الكل، أو نبالي بالجوع، لأن رزق العبد على سيده، فإن منع وقتًا فلا بد أن يعود إليه، وأموالنا وأنفسنا وثمراتنا ملك له، فله أن يتصرف فيها بما يشاء، (وإنا إليه راجعون): في الدار الآخرة، فيحصل لنا عنده ما فوّته علينا، لأنه لا يضيع أجر المحسنين، فالمصاب يهون عليه خطبه إذا تسلّى بقوله هذا، وتصور ما خلق له، وأنه راجع إلى ربه، وتذكر نعم الله عليه، ورأى أن ما أبقى عليه أضعاف ما استرده منه. قال الراغب: وليس يريد بالقول اللفظ فقط، فإن التلفظ بذلك مع الجزع القبيح وتسخط القضاء ليس يغني شيئًا، وإنما يريد تصور ما خلق الإنسان لأجله والقصد له، والاستهانة بما يعرض في طريق الوصول إليه، فأمر تعالى ببشارة من اكتسب العلوم الحقيقية وتصورها، وقصد هذا المقصد ووطن نفسه عليه"[4].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٢٧.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٣٨/٢.

(٣) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ - ١٥٧.

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٢٦/٢/١، وانظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٥٧/٢/١.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: جزاء من استجاب لهدي رسول الله ﷺ عند وقوع المصيبة:

وهذا واضح من قول أم سلمة: فقلت: (أي ما أمرها النبي ﷺ بقوله)، فأعقبني الله من هو خير لي منه محمدًا ﷺ. وفي الرواية الثانية: (فلما توفي أبو سلمة قُلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيرًا منه رسول الله ﷺ).

وفي رواية أخرى لمسلم قالت: ((فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ ثُمَّ عَزَمَ اللَّهُ لِي فَقُلْتُهَا. قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ))[١].

وفي رواية عند أحمد: قالت: ((فحفظت ذلك منه، فلما توفي أبو سلمة استرجعت، وقلت: اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منه، ثم رجعت إلى نفسي قلت: من أين لي خير من أبي سلمة؟ ... فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيرًا منه، رسول الله ﷺ))[٢].

قال عبدالله البسام تعليقًا على دعاء النبي ﷺ لأبي سلمة عندما مات: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ. وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ))(٣)، قال البسام: (فيه الفضيلة العظيمة والمنقبة الكبيرة لأبي سلمة رضي الله عنه بهذا الدعاء النبوي المبارك، الذي نعلم أنه قُبل منه ما كان في الدنيا، حيث صار عقبة في أهله، هو أن رسول الله ﷺ تزوج امرأته فصارت من أمهات المؤمنين، وتشرف أولاده، فصاروا ربائب للنبي ﷺ رُبّوا في بيته، وعاشوا في كنفه وصاروا في كفالته، ونظن الظن القوي أن الله تعالى قد استجاب دعاء النبي ﷺ فغفر له ذنوبه، ورفع درجته في المهديين)[٤].

ومن هذا القبيل ما روته فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، قالت: قال لي رسول الله ﷺ:

---

(١) صحيح مسلم ٥ - ٩١٨.

(٢) أخرجه أحمد ٢٧/٤، ٢٨، رقم ١٦٣٤٤، وقال محققو المسند: رجاله ثقات إلا أن المطلب - وهو ابن عبدالله بن حنطب - روايته عن الصحابة مرسلة، إلا أنس بن مالك وسهل بن سعد وسلمة بن الأكوع ومن كان قريبًا من طبقتهم ٢٦٢/٢٦ - ٢٦٣.

(٣) أخرجه مسلم ٩٢٠.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٤٨٠/٢.

((إِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي)) فَآذَنْتُهُ، فَخَطَبَهَا مُعَاوِيَةُ وَأَبُو جَهْمٍ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَرَجُلٌ تَرِبٌ لاَ مَالَ لَهُ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ، وَلَكِنْ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ))، فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا: أُسَامَةُ! أُسَامَةُ! فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((طَاعَةُ اللَّهِ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ خَيْرٌ لَكِ)) قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُهُ فَاغْتَبَطْتُ[1]، وفي رواية: ((فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ الله فِيهِ خَيْرًا، وَاغْتَبَطْتُ))[2].

وفي رواية: (فَتَزَوَّجْتُهُ فَشَرَّفَنِي اللَّهُ بِأبي زَيْدٍ. وَكَرَّمَنِي اللَّهُ بِأبي زَيْدٍ)[3].

قال النووي: "وأما إشارته ﷺ بنكاح أسامة، فلما علمه من دينه وفضله وحسن طرائقه وكرم شمائله، فنصحها بذلك، فكرهته لكونه مولىً، ولكونه كان أسود جدًا، وكرر عليها النبي ﷺ الحث على زواجه لما علم من مصلحتها في ذلك، وكان كذلك، ولهذا قالت: فجعل الله لي فيه خيرًا واغتبطت، ولهذا قال النبي ﷺ في الرواية التي بعد هذا: (طاعة الله وطاعة رسوله خير لك)"[4].

خامسًا - من أساليب الدعوة: الشرط والأمر والقصر والترغيب:

أما الشرط فقوله ﷺ: (إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرًا فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون)، وهو من الأساليب الدعوية التي تجذب انتبه المدعو وتركيزه حتى يسمع فعل جواب الشرط.

وهو من الأساليب الدعوية المفيدة في حث المدعو على الالتزام بما أمر به، لما فيه فائدته في الدنيا والآخرة

وأما الأمر فقوله ﷺ: (قولي: اللهم اغفر لي وله..).

وأما القصر فقوله ﷺ: (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها إلا أجره الله تعالى في

---

(١) أخرجه مسلم ٤٧ - ١٤٨٠.

(٢) أخرجه مسلم ٣٦ - ١٤٨٠.

(٣) أخرجه مسلم ٤٩ - ١٤٨٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠١/١٠/٥ - ١٠٢.

مصيبته وأخلف له خيرًا منها، فدلّ هذا القصر على فضل هذا الدعاء، وأن الجزاء عليه محقق وواقع.

وأما الترغيب؛ فإخباره أن من قال هذا القول، آجره الله وأعطاه الأجر والجزاء وأخلفه الله خيرًا منها. وهذا حثّ للمدعوين على التزام هذا الدعاء في كل مصيبة تصيبهم.

الحديث رقم (٩٢٢)

٩٢٢- وعنها، قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((مَا مِنْ عَبْدٍ تُصيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: إنّا للهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ آجرْنِي فِي مُصِيبَتي وَاخْلفْ لِي خَيرًا مِنْهَا، إلاَّ أجَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي مُصِيبَتِهِ، وَاخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا)).

قالت: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قلتُ كَمَا أمَرَني رسولُ الله ﷺ، فَأخْلَفَ اللهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رسولَ الله ﷺ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

أجرني: أعطي أجره وجزاء صبره وهمه في مصيبته[2].

الشرح الأدبي

الحديث السابق كان التوجيه فيه بالدعاء بالخلف موجه إلى أم سلمة ؓ لأنها صاحبة المصيبة، وفي هذا الحديث جاء التوجيه عاماً شاملاً في قوله: (ما من عبد) وهو تركيب يفيد الشمول، والاستغراق من حيث دخول النفي على النكرة التي تسبقها من، وقوله (تُصيبُهُ مُصِيبَةٌ) جناس يؤكد المعنى وينبه إليه قبل تقرير الحكم عليه، وقوله (إنا لله) أسلوب قصر للكهم على الله، ونفي له عن غيره، وكذلك في صفة الرجوع، وقوله (أجرني) أمر أريد به الدعاء، والفظ يوحي بالرعاية، والدفع، والحماية، وام المؤمنين أم سلمة تعطي خيرمثال على تحقق الموعود بما أخلف الله عليها بعد زوجها برسول الله ﷺ.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم ٩١٨/٤. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٢٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٩٥، ونقل النووي عن القاضي عياض: أجرني بالقصر والمد حكاهما صاحب الأفعال. وقال الأصمعي وأكثر أهل اللغة: هو مقصور لا يمد.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٢٣)

٩٢٣- وعن أَبي موسى رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فيقولونَ: نَعَمْ. فيقولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فيقولونَ: نَعَمْ. فيقولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فيقولونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فيقول اللهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

ثمرة فؤاده: ولده لأنه نتيجة الأب، كالثمرة للشجرة[2].

استرجع: قال: إنا لله وإنا إليه راجعون[3].

الشرح الأدبي

الاستفهام الإلهي (قبضتم ولد عبدى؟) قبضتم ثمرة فؤاده؟... تقرير للملائكة بغرض الإخبار لهم والإشادة ببني آدم في موقف أبلى فيه الإنسان الثكول بلاء حسناً وقد قالت الملائكة من قبل ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة٣٠]، وحذف الأداة في هذا الاستفهام أوحت بفيض غامر من الرحمة على الأب الثكول، ورحمة لا تصدر إلا من رحمن تبعث الأسى، وتصور حجم الفجيعة التي مُنى بها الأب يدلك على ذلك بقية عبارة الاستفهام، وتدرجه من الخصوص (ولد عبدي) إلى الأخص (ثمرة فؤاده) تصعيداً لشعور الأسى،

---

(١) برقم ١٠٢١ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٩٤٨). وقال الحافظ كما في الفتوحات الربانية ٢٩٦/٣: الحديثُ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٨٦، و٥١٢٩. وسيكرره المؤلف برقم ١٣٩٧.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٨٦/١.

(٣) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ج ع).

والشفقة لدى المخاطبين، وتعبيره بـ (عبدى) وإضافته لنفسه تشريف للأب الثكول يوحي بحنو الله جل، وعلا، وهو يريد بذلك أن يصور حجم المصيبة التي لحقت به، ثم يأتي استفهامه الآخر مذكور الأداة (ماذا قال عبدي) بعد شدة ما أصيب به، واستعمل حرف الاستفهام (ماذا) (ما) التي يطلب بها تعيين غير العقلاء فيطلب بها تعيين الاسم، أو صفته مضافة إليها (ذا) الإشارية لفتاً للنظر إليه، وإظهاراً لمقالته بإثارة السؤال واضحاً على أسماع الملائكة، وكل من بلغه الحديث إشارة إلى فضل بني آدم عامة، وصبر هذا الأب الثكول خاصة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الكلام لله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحمد والاسترجاع عند مصيبة فقد الولد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الجزاء من جنس العمل.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الكلام لله:

هذا واضح في قول رسول الله ﷺ: "قال الله تعالى لملائكته". قال صاحب معارج القبول: (ومما أثبته ربنا عز وجل لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ تكليمه عبده ورسوله موسى بن عمران بدون واسطة رسول بينه وبينه، بل أسمعه كلامه الذي هو صفته اللائقة بذاته كما شاء وعلى ما أراد. قال الله عز وجل في سورة البقرة: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ﴾[2]، وقال في سورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[3]... والقرآن ممتلئ بذلك، وفي الصحيحين من حديث

(١) ينظر الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري /٥٠٠/ مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط – جامعة الأزهر.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٣.

(٣) سورة النساء، آية: ١٦٤.

احتجاج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، وفيه قول آدم لموسى: ((أنتَ موسى الذي اصطفاكَ اللهُ برسالاتهِ وبكلامهِ ثمَّ تلومُني على أمر قُدِّرَ عليَّ قبل أن أُخلَقَ؟ فقال رسول الله ﷺ: فحجَّ آدمُ موسى مرَّتَين))[1] وأنه سبحانه يتكلم إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء بكلام يسمعه من يشاء، أسمعه موسى عليه السلام كيف شاء وعلى ما أراد... قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[2].

وقال النبي ﷺ: ((قال اللهُ: أعددتُ لِعبادي الصالحينَ ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطرَ على قلبِ بَشَر))[3].

ولو ذهبنا ننقل الأحاديث، في قال الله، ويقول، ويتكلم وينادي، ونحو ذلك، لطال الفصل. وهذه الآيات والأحاديث - مما ذكرنا ومما لم نذكر - كلها شاهدة بأن الله تعالى لم يزل متكلمًا بمشيئته وإرادته، يتكلم بما شاء كيف شاء متى شاء بكلام حقيقة يسمعه من يشاء من خلقه، وأن كلامه قول حقيقة كما أخبر، وعلى ما يليق بعظمته، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾[4] والقرآن كلامه تعالى تكلم به حقيقة كما شاء، وهو من فاتحته إلى خاتمته شاهد بذلك)[5].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحمد والاسترجاع عند مصيبة فقد الولد:

هذا واضحٌ من قول الملائكة عن الذي مات له ابن: حَمدَك واسترجع. فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسمّوه بيت الحمد.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٠٩، ومسلم ٢٦٥٢.

(٢) سورة المائدة، آية: ١٠٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٢٨٢٤.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤.

(٥) معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، حافظ بن أحمد الحكمي ١٣٧٧هـ، حققه محمد صبحي بن حسن حلاق ٣١٤/١ - ٣٢١، وانظر: كتاب أصول الإيمان، إعداد نخبة من العلماء ص ٨٧.

قال ابن القيم: (كان من هديه ﷺ السكون والرضا بقضاء الله، والحمد لله والاسترجاع، ويبرأ ممن خرق لأجل المصيبة ثيابه، أو رفع صوته بالندب والنياحة، أو حلق لها شعره)[١].

(وسن ﷺ لأمته الحمد والاسترجاع والرضا عن الله، ولم يكن ذلك منافيًا لدمع العين وحزن القلب، ولذلك كان أرضى الخلق عن الله في قضائه، وأعظمهم له حمدًا، وبكى مع ذلك يوم موت ابنه إبراهيم رأفة منه[٢]، ورحمة للولد، ورقة عليه، والقلبُ ممتلئ بالرضا عن الله عز وجل وشكره، واللسانُ مشتغل بذكره وحمده.

ولما ضاق هذا المشهدُ والجمعُ بين الأمرين على بعض العارفين[٣] يوم مات ولده، جعل يضحك، فقيل له: أتضحك في هذه الحالة؟ قال: إن الله تعالى قضى بقضاء، فأحببت أن أرضى بقضائه، فأشكل هذا على جماعة من أهل العلم، فقالوا: كيف يبكي رسول الله ﷺ يوم مات ابنه إبراهيم وهو أرضى الخلق عن الله، ويبلغ الرضى بهذا العارف إلى أن يضحك؟ فسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: هدي نبينا ﷺ كان أكمل من هدي هذا العارف، فإنه أعطى العبودية حقها، فاتسع قلبه للرضى عن الله، ولرحمة الولد، والرقة عليه، فحمد الله، ورضي عنه في قضائه، وبكى رحمةً ورأفة، فحملته الرأفة على البكاء، وعبوديته لله ومحبته له على الرضى والحمد، وهذا العارفُ ضاق قلبه عن اجتماع الأمرين، ولم يتسع باطنه لشهودهما والقيام بهما، فشغلته عبودية الرضى عن عبودية الرحمة والرأفة)[٤].

وقد قال الله تعالى عن الصابرين: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٢٧/١.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٠٣، ومسلم ٢٣١٥.

(٣) هو الفضيل بن عياض، نصّ على ذلك ابن القيم نفسه في مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٥١٥/٢.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤٩٩/١.

﴿ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[١]. قال العز بن عبدالسلام: (قولهم ذلك اعتراف بذل العبودية وبقهر الربوبية، لقوله "إنا لله" أي ملكه "وإنا إليه" أي إلى حكمه وتصرفه "راجعون")[٢].

قال الطاهر بن عاشور: (ووصفُ الصابرين بأنهم: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ إلخ لإفادة أن صبرهم أكمل الصبر، إذ هو صبر مقترن ببصيرة في أمر الله تعالى، إذ يعلمون عند المصيبة أنهم مِلْك لله تعالى يتصرف فيهم كيف يشاء، فلا يجزعون مما يأتيهم، ويعلمون أنهم صائرون، إليه فيثيبهم على ذلك، فالمراد من القول هنا القولُ المطابق للاعتقاد، إذ الكلام إنما وُضع للصدق، وإنما يكون ذلك القول معتبرًا، إذا كان تعبيرًا عما في الضمير، فليس لمن قال هاته الكلمات بدون اعتقاد لها، فضل، وإنما هو كالذي ينعق بما لا يَسْمَعُ[٣]، وقد علَّمهم الله هذه الكلمة الجامعة، لتكون شعارهم عند المصيبة، لأن الاعتقاد يقوى بالتصريح لأن استحضار النفس للمدرَكات المعنوية ضعيف يحتاج إلى التقوية بشيء من الحِسّ، ولأن في تصريحهم بذلك إعلانًا لهذا الاعتقاد وتعليمًا له للناس... والتوكيد بإنّ في قولهم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ لأن المقام مقام اهتمام، ولأنه ينزل المصاب فيه منزلة المنكر كونه مِلْكًا لله تعالى وعبدًا له إذ تنسيه المصيبة ذلك ويحول هولها بينه وبين رشده)[٤].

جاء في الموسوعة الفقهية: (يشرع الاسترجاع عند كل ما يبتلى به الإنسان من مصائب عظمت أو صغرت... والحكمة في الاسترجاع عند المصائب: الإقرار بعبودية الله ووحدانيته، والتصديق بالمعاد والرجوع إليه والتسليم بقضائه والرجاء في ثوابه... ويذكر الفقهاء أن الاسترجاع ينطوي على أمرين: قول باللسان وهو أن يقول عند المصيبة: إنا لله

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٥ - ١٥٧.

(٢) شجرة المعارف والأحوال ٢٣٩.

(٣) نعق الراعي بغنمه: صاح بها قال تعالى: ﴿يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ [البقرة: ١٧١]. يمثل رسول الله ﷺ مع الكفار، كمثل الراعي مع غنمه، فإن الغنم تسمع صوته، ولا تفهم ما يقول، فكذلك الكفار. الترجمان والدليل لآيات التنزيل، المختار أحمد محمود الشنقيطي ٢/٨١٣ - ٨١٤.

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١/٢/٥٧.

وإنا إليه راجعون. وهذا مستحب [والأمر الآخر] عمل بالقلب وهو الاستسلام والصبر والتوكل وما يتبع ذلك، وهذا واجب)[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الجزاء من جنس العمل:

وهذا واضح من إخبار النبي ﷺ أن الله أمر ملائكته بأن يبنوا لعبده الذي حمده واسترجع - أمرهم أن يبنوا له بيتًا في الجنة اسمه الحمد.

قال الطيبي: (قوله: "قبضتم ولد عبدي" مرجع السؤال إلى تنبيه الملائكة على ما أراد الله سبحانه وتعالى من التفضل على عبده الحامد، لأجل تصبره على المصائب أو عدم تشكيه، بل إعداده إياها من جملة النعماء التي تستوجب الشكر عليها ثم استرجاعه، وأن نفسه ملك الله وإليه المصير في العاقبة، قال: أولاً: "ولد عبدي" أي فرع شجرته ثم ترقي إلى "ثمرة فؤاده"، أي نقاوة خلاصته، فإن خلاصة الإنسان الفؤاد، والفؤاد إنما يعتد به، لما هو مكان اللطيفة التي خلق لها، وبها شرفه وكرامته، فحقيق لمن فقد مثل النعمة الخطيرة، ويلقاها بمثل ذلك الحمد، أن يكون محمودًا، حتى المكان الذي يسكن فيه، فلذلك سمي بيت الحمد)[٢].

ومن هذا القبيل - قبيل الجزاء من جنس العمل - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾[٣].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مؤدبًا عباده المؤمنين، وآمرًا لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ وذلك أن الجزاء من جنس العمل، كما جاء في الحديث الصحيح: ((مَنْ بَنَى لله مَسْجِدًا بَنَى الله لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ))[٤] وفي الحديث الآخر: ((وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣/٢٨١ - ٢٨٢.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣/٤٠١، وانظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/١٠٨٦.

(٣) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٤) أخرجه البخاري ٤٥٠، ومسلم ٥٣٣.

اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))[1] ولهذا أشباه كثيرة)[2].

قال ابن القيم: (على العبد أن يعامل بني جنسه، في إساءتهم إليه وزلاتهم معه بما يحب أن يعامله الله به في إساءته وزلاته وذنوبه، فإن الجزاء من جنس العمل، فمن عفا عفى الله عنه، ومن سامح أخاه في إساءته إليه سامحه الله في سيئاته، ومن أغضى وتجاوز تجاوز الله عنه، ومن استقصى استقصى عليه، ولا تنس حال الذي قبضت الملائكة روحه فقيل له هل عملت خيرًا؟ هل عملت حسنة؟ قال: ما أعلمه. قيل: تذكر. قال: كنت أبايع الناس فكنت أنظر الموسر وأتجاوز عن المعسر، أو قال كنت آمر فتياني أن يتجاوزوا في السكة، فقال الله نحن أحق بذلك منك وتجاوز الله عنه[3]، فالله عز وجل يعامل العبد في ذنوبه بمثل ما يعامل به العبد الناس في ذنوبهم، فإذا عرف العبد ذلك، كان في ابتلائه بالذنوب من الحكم والفوائد، ما هو أنفع الأشياء له.

فإذا عرف هذا، فأحسن إلى من أساء إليه، ولم يقابله بإساءته إساءة مثلها، تعرض بذلك لمثلها من ربه تعالى، وأنه سبحانه يقابل إساءته وذنوبه بإحسانه، كما كان هو يقابل بذلك إساءة الخلق إليه، والله أوسع فضلاً وأكرم وأجزل عطاء، فمن أحب أن يقابل الله إساءته بالإحسان، فيقابل هو إساءة الناس إليه بالإحسان، ومن علم أن الذنوب والإساءة لازمة للإنسان، لم تعظم عنده إساءة الناس إليه، فليتأمل هو حاله مع الله كيف هي مع فرط إحسانه إليه، وحاجته هو إلى ربه وهو هكذا له، فإذا كان العبد هكذا لربه، فكيف ينكر أن يكون الناس له بتلك المنزلة؟ ومنها أنه يقيم معاذير الخلائق وتتسع رحمته لهم ويتفرج بطانه[4] ويزول عنه ذلك الحصر والضيق

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٥/٨.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٧٧، ٢٣٩١، ٣٤٥١، ومسلم ١٥٦٠.

(٤) هكذا في المطبوع، والبطان: حزام يشد على البطن. ويقال: فلان عريض البطان، رخي البال. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ط ن).

والانحراف وأكل بعضه بعضًا، ويستريح العصاة من دعائه عليهم، وقنوطه منهم، وسؤال الله أن يخسف بهم الأرض ويسلّط عليهم البلاء، فإنه حينئذ يرى نفسه واحدًا منهم، فهو يسأل الله لهم ما يسأله لنفسه، وإذا دعا لنفسه بالتوبة والمغفرة أدخلهم معه، فيرجو لهم فوق ما يرجو لنفسه، ويخاف على نفسه أكثر مما يخاف عليهم)[1].

كما قال ابن القيم عن الجزاء من جنس العمل: (فهذا شرع الله وقدره ووحيه وثوابه وعقابه، كله قائم بهذا الأصل. وهو إلحاق النظير بالنظير واعتبار المثل بالمثل)[2].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث عن كرم الله وفضله على عبده إذا حمد الله واسترجع وقال إنا لله وإنا إليه راجعون، وذلك عند فقد ولده - أخبر ﷺ بما أعده الله له في الجنة من الثواب العظيم، وهذا الإخبار دعوة للمدعوين أن يلتزموا هذا الأدب عند فقد الأولاد حتى ينالوا ما أعدهم الله لهم، بسبب صبرهم ورضاهم بقضاء الله وقدره.

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٢٩١/١ - ٢٩٢.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن ابي علفة ١٩٦/١.

الحديث رقم (٩٢٤)

٩٢٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((يقولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي المُؤمِن عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إلاَّ الجَنَّةَ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

صفيّه: الذي يُصافيه الوُدَّ ويُخلصه له، فعيل بمعنى فاعل أو مفعول[2].

احتسبه: بادر إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصَّبر[3].

الشرح الأدبي

قول الراوي: (أنَّ رسول الله ﷺ) قال انتقال من مستوى كلام البشر العادي إلى مستوى الكلام النبوي، وهي نقلة كبيرة في جانب المعنى، والأسلوب، وقول الرسول ﷺ قال الله- تعالى - انتقال من مستوى الإخبار البشرى، إلى مستوى الإخبار الإلهي، وهي نقلة عظمى في المعنى دون الأسلوب؛ لأنه حديث قدسي معناه لله، ولفظه للنبي ﷺ، ونقل الكلام عن الله له قدسية تستلزم مزيد التشويق، والإنصات، والجلال، والمعنى في هذا الحديث قائم على أسلوب القصر حيث حصر جزاء المؤمن الذي صبر على موت حبيبه على دخول الجنة، والحصر يقتضي توكيد المعنى، وأنه حاصل لا محالة، وقول الله (مَا لِعَبْدِي المُؤمِن عِنْدِي) إضافة العبد للضمير العائد على الله تشريف لهذا العبد، ووصف الله له بالمؤمن مدح يشير إلى توافر الصفة الداعية إلى الصبر، وقوله عندي

---

(١) برقم ٦٤٢٤، وتقدم برقم ٣٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ف و)

(٣) المرجع السابق في (ح س ب).

يوحي بخصوصية الجزاء، والتعبير بالقبض يشير إلى قوة الأخذ، وعبارة (قبضت صفية) كناية عن موت الأحباء، والتعبير بالصفي يشير إلى خصوصية في المحبة وهي المحبة التي لا تشوبها شائبة، كما يشمل كل محبوب على هذه الصفة من ولد، أو والد، أو زوج، أو أخ أو صاحب أو غيره، وقوله: (ثم احتسبه) تكميل بلاغي أفاد نكتة، وهي الإخلاص لله في الصبر على المصيبة.

المضامين الدعوية [1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٢).

الحديث رقم (٩٢٥)

٩٢٥- وعن أسَامَة بن زَيدٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: أرْسَلَتْ إحْدى بَنَاتِ النَّبيِّ ﷺ إلَيْهِ تَدْعُوهُ وَتُخْبِرُهُ أنَّ صَبيًّا لَهَا – أَوْ ابْنًا – في المَوْتِ فَقَالَ للرسول: ((ارْجِعْ إلَيْهَا، فَأخْبِرْهَا أنَّ للهِ تَعَالَى مَا أخَذَ وَلَهُ مَا أعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأجَلٍ مُسَمّى، فَمُرْهَا، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ))... وذكر تمام الحديث. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

غريب الألفاظ:

الأجل: غاية الوقت المحدد للموت [2].

مُسمًّى: معلوم ومُعيَّن [3].

ولتحتسب: ولتبادر إلى طلب الأجر بالتسليم والصبر[4].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يحكي قصة وفاة صبي لإحدى بنات النبي صلى الله على أبيهم، ورضي عنهم جميعاً آل البيت، وقوله (أرْسَلَتْ إحْدى بَنَاتِ النَّبيِّ ﷺ) يشير إلى أدبهن في عدم الخروج، ولزوم بيوتهن حتى في الشدة وقوله (في الموت) يوحي بعظم الشدة التي دعتها إلى إخباره، وقوله (ارجع إليها فأخبرها) يشير إلى أنه أراد أن تصبر على أمر الله، وقوله (أخذ ، وأعطى) طباق يقرر معنى ملك الله تعالى لما في يد الإنسان، وما ليس في يده فكله لله، وقوله (وكل شيء عنده بأجل مسمى) تكميل بلاغي أضاف أن

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٨٤ ، ومسلم واللفظ له ٩٢٣/١١ ، وتقدم برقم ٢٩.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ج ل).

(٣) المرجع السابق في (س م و)

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح س ب).

تمليك الله للإنسان النعمة مقدر بقدر، وزمن، فإذا شاء استرد، وقوله (فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ) أر نصح، وإرشاد.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الصبر:

حرص النبي ﷺ أن يربي أصحابه رضي الله عنهم على الصبر خاصة عند الأزمات، وعندما يصاب ويبتلى المؤمن بما يجعله يجزع بحاجة إلى الصبر وإلى التسلية التي تهون عليه ما أَلَمَّ به وتكسر حدته، ولذا فإن النبي ﷺ بيّن في عدد من أحاديث الباب فضل الصبر واحتساب الأجر عند الله، وأن من وَطّن نفسه عوّضه الله خيراً ففي حديث أبي موسى الأشعري بيان لما أعده الله من جزاء لمن صبر على مصيبة ابتلى بها خاصة إذا اشتد وقعها وزاد ألمها كأن يفقد الإنسان ولده، فعنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ...، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ». وذلك جزاء ما صبر على مصيبته بل وزيادة الحمد، والشكر لله تعالى، وعدم القنوط من رحمة الله عز وجل.

كما وردت التربية على الصبر في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «أرسلت إحدى بناتِ النبي ﷺ إليه تدعوه وتخبرُه أنَّ صبياً لها -أوِ ابناً- في الموت، فقال للرَّسولِ: «ارْجِعْ إِلَيْها...، فَمُرْها فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ».

"إن الصبر -المستند إلى الإيمان والمجاهدة- أحد الأسس التربوية المهمة في مواجهة مشكلات الفرد والمجتمع المسلم وتجاوزها.

لذا فإن الصبر يُعدُّ من الأمور التي لا يستغنى عنها إنسان في هذه الحياة، لأن الحياة لا تخلو من المنغصات التي تعكر صفوها، ولا من العقبات التي تعترض مسيرة الإنسان، فضلاً عن الابتلاءات التي لا يسلم منها أحد، مما يستلزم الصبر والتحلي به، وتربية النفس على الصبر والمصابرة ابتغاء مرضاة الله تعالى، ويقتضي الصبر التسليم الكامل لله تعالى، ذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[1].

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٢.

وللصبر جوانبه الوقائية وجوانبه العلاجية، فهو يقي النفس من عديد من المزالق التي يصعب علاجها فإن وقعت فالصبر عليها، والتأني في علاجها أفضل وسيلة لمواجهتها، كما أن الصبر سمة من سمات القوة، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾(٢)، وقال عز وجل: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾(٣)(٤).

ثانياً- التربية على الإيمان بقضاء الله وقدره والرضا به:

إن من أهداف التربية الإسلامية الرئيسة التربية على الإيمان بقضاء الله وقدره والرضا به، والتربية على ذلك لها أكبر الأثر في علاج كثير من الأمراض النفسية.

إن الإنسان المسلم إذا ما تربى على الإيمان بالقضاء والقدر سعد في دنياه وأخراه وتمتع بعيشه في هذه الدنيا مهما أصابه في السراء والضراء(٥).

وقد جاءت أحاديث الباب داعية إلى تقوية الإيمان بالقضاء والرضا بقدر الله تعالى فلا ينبغي لإنسان أن يجزع لمصيبة حلت به أو مكروه ألمّ به، وإنما يَرُدُّ ذلك كله لله تعالى ويرضى به بلسان حاله ومقاله، فإن الله مالك الملك، ولسان حال المؤمن ومقاله دائماً «إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» ومن أصرح أحاديث الباب في ذلك حديث أسامة بن زيد الذي نقل لنا وصية رسول الله ﷺ لابنته، وقد مات لها صبي: «ارْجِعْ إِلَيْهَا. فَأَخْبِرْهَا: إِنَّ للّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ. وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمى ...».

"إن الإنسان عرضة دائماً لأن تصيبه النوائب والأحداث لأنها من سنن الله في خلقه، ومن شأن المصائب أن تهز النفوس، وما من إنسان إلا ويتأثر بما يصيبه.

---

(١) سورة الشورى، آية: ٤٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٤٥.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٦٦.

(٤) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٥) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٦٢٩.

لقد تأثر رسول الله ﷺ لفقد ولده إبراهيم ولكنه قال: «إنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلا نَقُولُ إلاَّ ما يُرْضِي رَبَّنا، وإنّا بِفِرَاقِكَ يا إبْراهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[1].

فأما الوهن الذي يفتت العزيمة ويقعد بالإنسان عن معاودة النشاط والانطلاق في الحياة، فهو الأمر غير المرغوب، وهو الذي يتعرض له الإنسان حين لا يؤمن بالقدر ولا يسلم له، لذلك يقول الله سبحانه، وهو يربي المسلمين ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[2]، وبذلك يسترد الإنسان عزيمته، ويمضي في طريقه مطمئناً لقدر الله، يستمد منه مزيداً من العزم ويرجو من الله التخفيف[3].

ثالثاً- التربية بالتلقين:

تعد التربية بالتلقين ذات تأثير فاعل في اللحظات الحرجة وفي المحن والشدائد، وقد استعمل النبي ﷺ هذا النمط التربوي في المواقف المناسبة، كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها في قوله ﷺ موصياً إليها عندما مات زوجها أبو سلمة «قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ. وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَىٰ حَسَنَةً»، وفي الرواية الثانية: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ...».

إن التلقين من الأساليب التربوية المهمة التي لها أكبر الأثر في العملية التعليمية والتربوية مع الكبار والناشئة والأطفال إذ أن المتربين في المراحل العمرية الأولى يسهل تلقينهم المعلومات الأساسية بحيث يحفظونها لما لقنوها، وإذا لقن المتربي المعلومات بطريقة جيدة فإنها تنطبع في ذهنه ولا يكاد ينساها بمرور الزمن، وخاصة عند مراجعتها بين الحين والآخر[4].

---

(١) أخرجه البخاري، ١٣٠٣.

(٢) سورة التغابن، آية: ١١.

(٣) انظر: ركائز الإيمان، محمد قطب ص ٣٢٨.

(٤) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، محمد بن شاكر الشريف ص ٣٤.

رابعاً- من أهداف التربية: التربية على المواساة:

إن من الأهداف الأصيلة للتربية الإسلامية الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع الإسلامي، ومن دعائم هذا الترابط رعاية الآداب الاجتماعية وغرسها في نفوس المتربين والناشئة، ومن هذه الآداب الاجتماعية التي يجب على المربين أن يُعنوا بها ويهتموا لها أدب التعزية لمن لهم ميت أو فقدوا عزيزاً غالياً، ... ومعنى التعزية تصبير أهل الميت بكلمات لطيفة، أو بعبارات مأثورة، تسلي المصاب وتخفف حزنه وتهون عليه المصيبة وإظهار التأسي لمن يواسيهم ويعزيهم[1]، وقد ورد في أحد أحاديث الباب الإرشاد والتوجيه العملي للتعزية، وذلك كما جاء في عزاء النبي ﷺ لإحدى بناته، وقد نزل بصبي لها الموت، فقال ﷺ لرسول قد بعثته إليه: «ارْجِعْ إِلَيْهَا. فَأَخْبِرْهَا: إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ. وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمى. فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»، وبالجملة فإن الإنسان إذا واسى أناساً لنزول مرض أو موت بأحدهم فلا يقول إلا خيراً، وهكذا ربى النبي ﷺ المسلمين، كما جاء في الحديث الأول في الباب من حديث أبي سلمة «إذا حضرتم المريض، أو الميت فقولوا خيراً...».

إن التربية على رعاية الآداب الاجتماعية من عزاء ونحوه أحد الأساليب التربوية لتحقيق الأهداف الاجتماعية التي ترنو إليها التربية الإسلامية، إذ أن "التربية الإسلامية تتجه إلى تقوية التعاضد والتماسك والتضامن والوحدة في نفوس الناشئين من أجل تحقيق اتجاه العمل الجماعي والشعور بالمسؤولية عن الجماعة، وذلك عن طريق إبراز أهمية العمل المنظم والهادف إلى رص الصف وتنسيق الجهود الفردية لخدمة الأهداف العليا في المجتمع الإسلامي، وعنوان ذلك كله ربط الناشئ بالمسجد وصلوات الجماعة وتقوية الروابط الأسرية وتنمية التحابب والمودة في النفوس وتشجيع اتجاه التزاور والقيام بالواجب الاجتماعي في المناسبات المختلفة وعدم التهاون فيها وتعزيز اتجاه حب التعرف على الآخرين والوقوف على أحوالهم بهدف مشاركتهم، أفراحهم وأحزانهم والوقوف معهم ما أمكن"[2].

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٤٦٧/١.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ٦١، ٦٢.

خامسًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يجدر بالمعلم أن يستفيد منها، من ذلك:

أ- التربية بالمواقف والأحداث: كما في قول أم سلمة رضي الله عنها لما مات أبو سلمة رضي الله عنه أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أبا سلمة قد مات قال: قولي: اللهم اغفر لي وله وأعقبني عقبة حسنة. فقد علّم النبي ﷺ أم سلمة رضي الله عنها ما تقوله بعد وفاة زوجها، فكان في هذا إرشاد للمربين والمعلم أن يستثمروا المواقف المختلفة لغرس الأهداف التربوية فيهم وتعليمهم المهارات والمعارف المطلوبة.

ب- الترغيب: كما في حديث: "ما من عبد تصيبه مصيبةٌ فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها، إلا أجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيرًا منها".

ويستخدم المعلم الترغيب لتشجيعهم على فعل الخيرات والمسارعة إليها.

ج- القصة: كما في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما: "أرسلت إحدى بنات النبي ﷺ تدعوه وتخبره ..." الحديث. والمعلم يمكن أن يستخدم القصة تمهيدًا للدرس وتأكيدًا للأهداف التربوية، والقصة من الأساليب التربوية التي تجذب المتعلمين وتدفعهم إلى الانتباه نظرًا لما فيها من تشويق وحَكي.



١٥٣- باب جواز البكاء عَلَى الميت بغير ندب وَلاَ نياحة

أمَّا النِّيَاحَةُ فَحَرَامٌ وَسَيَأْتِي فِيهَا بَابٌ فِي كِتَابِ النَّهْيِ، إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. وَأَمَّا البُكَاءُ فَجَاءتْ أحَادِيثُ بِالنَّهْيِ عَنْهُ، وَأنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أهْلِهِ، وَهِيَ مُتَأَوَّلَةٌ ومَحْمُولَةٌ عَلَى مَنْ أوْصَى بِهِ، وَالنَّهْيُ إنَّمَا هُوَ عَنِ البُكَاءِ الَّذِي فِيهِ نَدْبٌ، أَوْ نِيَاحَةٌ، والدَّليلُ عَلَى جَوَازِ البُكَاءِ بِغَيْرِ نَدْبٍ وَلاَ نِيَاحَةٍ أحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

الحديث رقم (٩٢٦)

٩٢٦- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ عاد سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، وَمَعَهُ عَبدُ الرَّحْمانِ بْنُ عَوفٍ، وَسَعدُ بْنُ أَبي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنهم،[١] فَبَكَى رسول الله ﷺ، فَلَمَّا رَأى القَوْمُ بُكَاءَ رسولِ الله ﷺ بَكَوْا، فَقَالَ: **((ألاَ تَسْمَعُونَ؟ إنَّ الله لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلاَ بِحُزْنِ القَلبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهذَا، أَوْ يَرْحَمُ))** وَأشَارَ إِلَى لِسَانِهِ[٢]. متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

لابد أن بكاء النبي ﷺ أدهش الصحابة؛ لأنه نهي عن النياحة على الميت، فتعلقت به أبصارهم، وأصغت له أسماعهم حتى بكوا ببكائه، وهو ما يعد تمهيداً لاستقبال المعنى ثم إنه بنى عليها المعنى الذي يريد تقريره وهو (أن الله لا يعذب ببكاء العين إذا كان شفقة دون اعتراض، أو مخالفة، أو كان قبل موت الميت ولذلك سأل الرسول ﷺ قبل أن يبكي (هل قضى؟) فلما اخبر أنه ما زال حياً بكاه، وقد افتتح على إثرها

---

(١) عندهما زيادة: (فلما دخل عليه، وجده في غشية، فقال: (أقد قضى) قالوا: لا، يا رسول الله).

(٢) هذه الزيادة عندهما بعد قوله: (يعذب بهذا).

(٣) أخرجه البخاري ١٣٠٤، ومسلم ٩٢٤/١٢ واللفظ له. وسيكرره المؤلف برقم ١٦٦٥.

الكلام بقوله: (ألا تسمعون؟) بمعنى اسمعوا فهو استفهام تحضيض على السماع، وتنبيه لما سيقال وفيه إشارة إلي أنه فهم من بعضهم الإنكار، فبين لهم الفرق بين الحالتين[١] ولذلك جاءت عبارته (إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا) مؤكدة بأكثر من مؤكد منها (إن) مع اسمية الجملة ثم القصر بطريق العطف بـ (ولكن) وإن كان هناك خلاف في إفادتها للقصر إذ دخلت عليها واو العطف، وعلى رأي من قال بإفادتها القصر فإن المعنى قلب اعتقاد المخاطبين الذين يظنون أن الله يعذب بدمع العين وإثبات أن الله يعذب بقول اللسان إذا قال سوءاً، وهذا على رأي من يرى أن (لكن) تستعمل لقصر القلب خاصة، قال العلامة الدسوقي: (أما لكن فتستعمل للإثبات بعد النفي لقصر القلب فقط عند البيانيين، أو لقصر الإفراد فقط عند النحاة) ثم جاءت إشارته ﷺ (بيده إلي لسانه) ليقرر المعنى بحاسة البصر مع السمع ويؤكدها أتم تأكيد ثم بني عليها السياق البلاغي بعدها فجاء اسم الإشارة (هذا) متصلا بالباء أي بسبب هذا والإشارة تميِّز المشار إليه أكمل تمييز ويحفها الطباق بين (يعذب ويرحم) ليؤكد المعنى ويقرره، وكثرة المؤكدات دعت إليها دلالة البكاء أولا حيث تعجَب الصحابة من بكاء الرسول ﷺ وقد نهاهم عنه فأراد ﷺ أن يقرر أمرين: أن الله لا يعذب بدمع العين، ولكن بالسخط على قضاء الله، وبقول اللسان ذلك، وأن الميت يعذب ببكاء أهله لا غيرهم، وأنه يعذب بالبكاء بعد خروج الروح وليس قبله[٢].

فقه الحديث

جواز البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة:

قال النووي في الأذكار: (أجمعت الأمة على تحريم النياحة، والدعاء بدعوى

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٥٣/٣، كتاب: الجنائز، باب: البكاء عند المريض، حديث ١٣٠٤.

(٢) ينظر الحال الدالة في الحديث النبوي / بحث منشور في كلية اللغة العربية- جامعة الأزهر بأسيوط د / ناصر راضي الزهري / العدد/ ٢٦ جـ ١ ص ٦٦٩.

الجاهلية، والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة، واعلم أن النياحة رفع الصوت بالندب، والندب: تعديد النادبة بصوتها محاسن الميت، وقيل: هو البكاء عليه مع تعديد محاسنه... وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام)[1].

وقال النووي في المجموع: (واختلف العلماء في أحاديث تعذيب الميت بالبكاء[2] فتأولها المزني وأصحابنا وجمهور العلماء على من وصّى أن يبكي عليه، ويناح بعد موته فنفذت وصيته، فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم، لأنه بسببه ومنسوب إليه، قالوا: فأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه، فلا يعذب ببكائهم ونوحهم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[3])[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: عيادة المريض.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: جواز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان الفرق بين الأحوال التي يظن المدعوون أنها واحدة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الاستفهام والتوكيد والاستدراك.

أولاً- من موضوعات الدعوة: عيادة المريض:

هذا واضح من قول ابن عمر رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة ومعه عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم.

قال النووي: (فيه استحباب عيادة المريض، وعيادة الفاضل المفضول، وعيادة الإمام

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٧٢-١٧٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٩٢، ومسلم ٩٢٧.

(٣) سورة الزمر، آية: ٧.

(٤) المجموع شرح المهذب ٢٠١/٥، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠٣/٦/٣-٢٠٤، وفتح الباري، ابن حجر ١٥٢/٣-١٦٠، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٨٧/٣-٤٩٥.

والقاضي والعالم أتباعه)[١].

وقد أخرج الإمام مسلم هذا الحديث برواية ثانية، قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ. إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ. ثُمَّ أَدْبَرَ الأَنْصَارِيُّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((يَا أَخَا الأَنْصَارِ كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟)) فَقَالَ: صَالِحٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟)) فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ[٢]. قال ابن هبيرة: (فيه الحث على عيادة المرضى، وإنما قال النبي ﷺ "من يعوده منكم؟ لئلا يتبعوه بغير نية سوى اتباعه فيفوتهم أجر عيادة المريض، وإنما أعلمهم لينووا العيادة)[٣].

وقال القرطبي: (فيه حض على عيادة المرضى، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة تدل على ندبيتها وكثرة ثواب فاعلها وهي مندوبة، وقد تجب إذا خيف على المريض ضيعة، فإن التمريض واجب على الكفاية، فمن قام به سقط عن غيره)[٤].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((حَقُّ المسلمِ على المسلمِ خَمسٌ: ردُّ السلامِ، وعيادةُ المريضِ، واتِّباعُ الجَنائزِ، وإجابةُ الدَّعوةِ، وتشميتُ العاطِسِ))[٥].

وقال ﷺ أيضًا: ((إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ))[٦]. وفي رواية: ((قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ جَنَاهَا))[٧].

قال النووي: (أي يؤول به ذلك إلى الجنة واجتناء ثمارها. واتفق العلماء على فضل عيادة المريض)[٨].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٣٦/٦/٣، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ١٧٦/٣.

(٢) أخرجه مسلم ٩٢٥.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٣/٤.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٧٨/٢.

(٥) أخرجه البخاري ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦٢.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٦٨.

(٧) أخرجه مسلم ٤٢ - ٢٥٦٨.

(٨) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٦/١٦/٨، .

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: جواز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة:

هذا واضح من بكاء النبي ﷺ وقوله ﷺ لأصحابه "إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه". قال ابن هبيرة: (فيه ما يدل على جواز البكاء، وفيه أن البكاء يهيج البكاء، وفيه أن الإنسان لا يطالب بدمع العين ولا بحزن قلبه، لأنهما لا يملكان)[١].

قال ابن عثيمين: (البكاء على الميت تارةً يكون بمقتضى الطبيعة، يعني يأتي للإنسان دون أن يتقصده فهذا لا حرج فيه، ولا إثم فيه، بل هو من أخلاق النبي ﷺ كما في هذا الحديث، وهو دليل على رحمة الإنسان ورقة قلبه، وتارة يكون بتكلف ومعه ندب أو نياحة، فهذا هو الذي يأثم به الإنسان، فالندب هو أن يقوم بتعداد محاسن الميت إذا بكى، يبكي ويقول: هذا فلان الذي يأتي لنا بكذا وكذا ويدفع عنا... وما أشبه ذلك. أو يقول: واأبتاه، وأما النياحة فهي البكاء برنة كنوح الحمام[٢] فهذا هو المحرم. وقد لعن النبي ﷺ النائحة والمستمعة[٣].

أما البكاء الذي يأتي طبيعيًا دون أن يتقصده الإنسان، ولكنه حزن ورحمة، فلا بأس به. كما في هذا الحديث، وقوله ﷺ: "إن الله تعالى لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب" لا يعذب الباكي والحزين ولا يعذب الميت، "وإنما يعذب بهذا أو يرحم" وأشار إلى لسانه، يعني: أن يقول الإنسان قولاً محرمًا فهذا الذي يعذب به الإنسان، فدل ذلك على جواز البكاء على الميت بشرط ألا يكون فيه ندب أو نياحة، وإنما تأتي به الطبيعة والجبلة، فهذا لا بأس به، وهو من خلق النبي ﷺ)[٤].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤/١٨٣.

(٢) وجاء في معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي، النياحة: البكاء بجزع وعويل. الصراخ والعويل في البكاء. اجتماع النساء للبكاء على الميت متقابلات. معجم للغة الفقهاء، د. محمد رواس قلعه جه ص ٤٦١.

(٣) أخرجه أبو داود ٣١٢٨، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٦٨٦).

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١١٩٢.

ثالثًا- من مهام الداعية: بيان الفرق بين الأحوال التي يظن المدعوون أنها واحدة:

هذا واضح من قول النبي ﷺ لصحابته الكرام رضوان الله عليهم لما رأوه يبكي: "ألا تسمعون؟" قال ابن حجر: (لا يحتاج إلى مفعول، لأنه جعل كالفعل اللازم. أي: ألا توجدون السماع. وفيه إشارة إلى أنه فهم من بعضهم الإنكار، فبين لهم الفرق بين الحالتين)(١).

وهذا ما وقع من النبي ﷺ أيضًا عندما بكى ﷺ على ابن لإحدى بناته، وفيه ((قَالَ أسامة بن زيد رضي الله عنهما فَقَامَ النَّبِيُّ. وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ. وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمْ [أي أسامة بن زيد راوي الحديث]. فَرُفِعَ إِلَيْهِ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنَّةٍ(٢). فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ. فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا هذَا؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: «هذِهِ رَحْمَةٌ. جَعَلَهَا اللّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ. وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»))(٣).

قال النووي: (إن سعدًا ظن أن جميع أنواع البكاء حرام، وأن دمع العين حرام، وظن أن النبي ﷺ نسي فذكره، فأعلمه النبي ﷺ أن مجرد البكاء ودمع العين ليس بحرام ولامكروه، بل هو رحمة وفضيلة، وإنما المحرم النوح والندب والبكاء المقرون بهما أو بأحدهما)(٤).

وقال القرافي عن الفرق بين قاعدة المداهنة المحرمة، وقاعدة المداهنة التي لا تحرم وقد تجب: (اعلم أنَّ معنى المداهنة معاملة الناس بما يحبون من القول، ومنه قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾(٥) أي: هم يودون لو أثنيت على أحوالهم وعباداتهم، ويقولون لك مثل ذلك، فهذه مداهنة حرام، وكذلك كل من يشكر ظالمًا على ظلمه،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٧٥/٣.

(٢) قال النووي: الشَّنَّة: القربة البالية، ومعناه: لها صوت وحشرجة كصوت الماء إذا ألقي في القربة البالية. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧ / ٢٣٥/٦، .

(٣) أخرجه البخاري ١٢٨٤، ومسلم ٩٢٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٣٥/٦/٣.

(٥) سورة القلم، آية: ٩.

أو مبتدعًا على بدعته، أو مبطلاً على إبطاله وباطله، فهي مداهنة حرام، لأن ذلك وسيلةٌ لتكثير ذلك الظلم والباطل من أهله.

ورُوي عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه كان يقول: إنا لنكشر في وجه أقوام، وإن قلوبنا لتلعنهم[1]، يريد الظلمة والفسقة الذين يتقى شرهم، ويُتبسّم في وجوههم، ويُشكرون بالكلمات الحقة، فإن ما من أحد إلا وفيه صفة تشكر، ولو كان من أنحس الناس، فيقال له ذلك استكفاء لشره، فهذا قد يكون مباحًا، وقد يكون واجبًا إن كان يتوصل به القائل لدفع ظلم محرم أو محرمات لا تندفع إلا بذلك القول، ويكون الحال يقتضي ذلك، وقد يكون مندوبًا إن كان وسيلة لمندوب أو مندوبات، وقد يكون مكروهًا إن كان عن ضعف، لا ضرورة تتقاضاه بل خور في الطبع، أو يكون وسيلة للوقوع في مكروه، فانقسمت المداهنة على هذه الأحكام الخمسة الشرعية، وظهر حينئذ الفرق بين المداهنة المحرمة، وغير المحرمة، وقد شاع بين الناس أن المداهنة كلها محرمة، وليس كذلك بل الأمر كما تقدم تقريره)[2].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الاستفهام والتوكيد والاستدراك:

أما الاستفهام فقوله ﷺ "ألا تسمعون؟" وهو استفهام بمعنى الأمر. فمعناه "ألا توجدون السماع. كما قال ابن حجر[3]، وقال ابن عثيمين: (يعني اسمعوا)[4].

وأما التوكيد فقوله ﷺ "إن الله لا يعذب بدمع العين..." وذلك ليؤكد للمدعوين أن البكاء على هذه الصفة جائز، أما الاستدراك فقوله ﷺ: "ولكن يعذب بهذا أو

---

(١) قال محقق الفروق: هذا مرويٌّ من كلام أبي الدرداء ﷺ، ذكره البخاري تعليقًا في كتاب الأدب من "الجامع الصحيح" قبل الحديث ٦١٣١ ووصله الحافظ ابن حجر من غيرِ ما طريق في "تغليق التعليق" ١٠٢/٥ - ١٠٤ ولا تخلو أسانيده من مقال.

والكشر: ظهور الأسنان للضحك. وكاشره: إذا ضحك في وجهه وباسطه. أفاده ابن الأثير في "النهاية في غريب الحديث في (ك ش ر)

(٢) الفروق ٣٤٨/٤ - ٣٤٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٧٥/٣.

(٤) شرح رياض الصالحين ١١٩٢/٢.

يرحم" وأشار إلى لسانه. وذلك ليخرج ما يقوله اللسان عند فقد الميت عن حكم الجواز ويعطيه حكمًا آخر وهو الحرمة، إذا كان ندبًا أو نياحة ونحوهما، مما يشعر بالتسخط وعدم الرضا بما قضاه الله عز وجل.

الحديث رقم (٩٢٧)

٩٢٧- وعن أُسَامَة بن زَيدٍ رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ رُفِعَ إِلَيْهِ ابنُ ابْنَتِهِ وَهُوَ فِي الموتِ، فَفَاضَتْ عَيْنَا رسولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ سَعدٌ: مَا هَذَا يَا رسولَ الله؟! قَالَ: ((هذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

غريب الألفاظ:

فاضت: سال دمعُها[2].

الشرح الأدبي

قوله (ففاضت عينا) كناية عن بكائه الذي يدل على حزنه، والتعبير بالفيضان يوحي بعظم رحمته، ورقة قلبه، وقول سعد بن معاذ رضي الله عنه (ما هذا يا رسول الله؟) استفهام تعجب يعكس حيرته بما علمه من نهيه عن البكاء من ناحية، وما يراه من حاله، وفيض دموعه، وقول الرسول ﷺ (هذه رحمة تعالى في قلوب عباده) الإشارة إلى الدموع أو سببها وهي الشفقة، والرحمة التي سببت دموعه، وقوله (في قلوب) يشير إلى أنها منحة من الله لا تكتسب بفعل العبد، وقوله (وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ) أسلوب قصر يحصر رحمة الله لعباده في الرحماء وينفيها ضمناً عن من سواهم على سبيل أي لا يرحمهم رحمة كاملة بتقريبهم في الدنيا، والمن عليهم بالجنة في الآخرة، وبين يرحم، والرحماء جناس يفيض على السياق بالمعنى الحبيب، ونسبة الرحمة لله تعطيها بعداً إيحائياً يمتد من الدنيا إلى الآخرة، وهو وجه من وجوه مخالفتها لمفهوم الرحمة البشري.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٨٤، ومسلم ٩٢٣/١١ ولفظهما سواء.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ي ض).

(٣) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٩).

الحديث رقم (٩٢٨)

٩٢٨- وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ دَخَلَ عَلَى ابْنِهِ إبْرَاهِيمَ رضي الله عنه، وَهُوَ يَجُودُ بِنَفسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رسولِ الله ﷺ تَذْرِفَان. فَقَالَ لَهُ عبدُ الرحمانِ بن عَوف: وأنت يَا رسولَ الله؟! فقَالَ: ((يَا ابْنَ عَوْفٍ إنَّهَا رَحْمَةٌ)) ثُمَّ أتْبَعَهَا بأُخْرَى، فَقَالَ: ((إنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ والقَلب يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إلاَّ مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإنَّا لِفِرَاقِكَ يَا إبرَاهِيمُ لَمَحزُونُونَ)) رواه البخاري[١]، وروى مسلم بعضه[٢]. والأحاديث في الباب كثيرة في الصحيح مشهورة، والله أعلم.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يجود بنفسه: أي يخرجها ويدفعها كما يدفع الإنسان ماله[٣].

تذرفان: أي يجري دمعهما[٤].

الشرح الأدبي

قوله (وَهُوَ يَجُودُ بِنَفسِهِ) كناية عن سكرات الموت، وهي أقسى لحظات يمكن أن تمر بوالد فموت الطفل أمام عينيه كي القلب لولا أنه أعظم القلوب، وأكثرها رضاً بقضاء الله، وقوله (، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رسولِ الله ﷺ تَذْرِفَان) كناية عن البكاء مع دلالة الفعل على كثرة الدمع مما أثار عجب الصحابة من صنيعه فجاءت استفهامة عبد الرحمن بن عوف (وأنت يَا رسولَ الله؟!) تحمل تعجبا، وحيرة، فجاء رده مؤكداً ب (إن)

---

(١) برقم ١٣٠٣، ومسلم ٢٣١٥/٦٢ الشطر الأخير منه.

(٢) برقم ٢٣١٥/٦٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢٠٧/٣.

(٤) المرجع السابق ٢٠٧/٣.

واسمية الجملة لينزع من قلبه التعجب الذي بدا من استفهامه، وقوله (إنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ والقَلب يَحْزنُ) صيغة الفعل المضارع تصور العين الدامعة، والقلب المحزون لوالد هو أرق الناس قلباً، وقد جاءه على كبر، وبعد طول شوق، وانتظار، ومع هذا قلبه في تمام الرضى، ولكنها شفقة، ورحمة فاض بها أكبر قلب.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: جواز البكاء على من كان في النزع الأخير أو من مات من غير سخط لأمر الله.

ثانيًا: من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرحمة ورقة القلب.

رابعًا: من أساليب الدعوة: مخاطبة الغير وإرادة غيره بذلك.

أولاً- من موضوعات الدعوة: جواز البكاء على من كان في النزع الأخير أو من مات من غير سخط لأمر الله:

هذا واضح من فعل النبي ﷺ فقد جرت عيناه بالدموع لما رأى ابنه إبراهيم وقد قارب من الموت، كما أنه واضح من قوله ﷺ "إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون". قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه جواز البكاء على الميت من غير نياحة)[1].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال وغيره: هذا الحديث يفسر البكاء المباح والحزن الجائز، وهو ما كان بدمع العين ورقة القلب من غير سخط لأمر الله، وهو أبين شيء وقع في هذا المعنى... وجواز الإخبار عن الحزن وإن كان الكتمان أولى)[2].

قال ابن عثيمين: (إن النبي ﷺ رفع إليه إبراهيم رضي الله عنه وهو يجود بنفسه، أي ينازعه الموت، وأشرف ما عند الإنسان نفسه، وهذا المحتضر كأنما يسلمها للملائكة يجود

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٢٦٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣/١٧٤.

بها، فذرفت عيناه ﷺ فقيل له: ما هذا يا رسول الله؟ فقال ﷺ: "إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون..." فدل ذلك على أن الإنسان لا حرج عليه إذا بكى رحمة بالميت وحزنًا على فراقه، فإن الرسول ﷺ هنا قال: إنه محزون على فراق ابنه ... وفيه دليل على جواز إخبار الإنسان عن نفسه بأنه محزون من هذه المصيبة... وفيه دليل على أن النبي ﷺ يموت له الولد ويتألم لذلك وأنه يلحقه ما يلحق البشر)[1]. (وأما البكاء والحزن على الميت فلا بأس به ويحصل في الغالب، وهو الذي تمليه الطبيعة دون تكلف، فقد بكى النبي ﷺ على ابنه إبراهيم حين مات، وقال: ((إن العينَ تَدمعُ، والقلبَ يحزَنُ، ولا نقولُ إلاّ ما يَرضى رَبُّنا...))[2]، لكن لا يكون ذلك على وجه التسخط والجزع والتشكي. ويحرم الندب، والنياحة، وضرب الخدود، وشق الجيوب؛ لقوله ﷺ: ((ليسَ مِناً من لَطَمَ الخُدودَ، وشَقَّ الجُيوبَ، ودَعا بدَعْوَى الجاهلية))[3]، كقوله: يا ويلاه، يا ثبوراه وما أشبه ذلك، ولقوله ﷺ: ((النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ))[4])[5].

ثانيًا - من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه:

هذا واضح من قول عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه للنبي ﷺ لما رآه يبكي حزنًا على ما أصاب ابنه إبراهيم: "وأنت يا رسول الله؟"

قال الطيبي: (فيه معنى التعجب، والواو عاطفة على مقدر: أي الناس لا يصبرون على المصائب ويتفجعون، وأنت تفعل كفعلهم؟ أي لا ينبغي لك أن تتفجع، كأنه استغرب ذلك منه، لأنه يدل على ضعف النفس والعجز عن مقاومة المصيبة بالصبر،

(١) شرح رياض الصالحين ١١٩٣/٢ - ١١٩٤.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٠٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٩٤، ومسلم ١٠٣.

(٤) أخرجه مسلم ٩٣٤. والجرب: مرض جلدي. انظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ر ب).

(٥) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة ص ١٢٠.

ويخالف ما عهده منه من الحث على الصبر والنهي عن الجزع. وأجاب ﷺ عنه بقوله: "إنها رحمة" أي الحالة التي تشاهدها مني يا ابن عوف رقة ورحمة على المقبوض، ينبعث عن التأمل فيما هو عليه، لا ما توهمت من الجزع وقلة الصبر)[١].

وقال ابن حجر: (قوله ثم أتبعها بأخرى، قيل: أراد به أنه أتبع الدمعة الأولى بدمعة أخرى، وقيل: أتبع الكلمة المجملة وهي قوله: "إنها رحمة" بكلمة أخرى مفصلة وهي قوله "إن العين تدمع...")[٢] ثم قال ابن حجر عن هذا الحديث: (وفيه جواز الاعتراض على من خالف فعله ظاهر قوله؛ ليظهر الفرق)[٣].

وقال ابن أبي جمرة: (من الفقه التثبت في العلوم الشرعية، حتى تعلم على تحقيق ويقين، والبحث عن ذلك مع الرفيع والوضيع على حد سواء بالأدب؛ لأن ذلك هو الطريق اللائق بالعلم، وإلا فصاحبه بدعي زائغ عن العلم، وسيرة السلف الصالح من الصحابة ﷺ وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، جعلنا الله من المتبعين لهم بمنه)[٤].

ثالثًا - من صفات الداعية: الرحمة ورقة القلب:

هذا واضح من بكاء النبي ﷺ بسبب حال ابنه إبراهيم وإخباره عن ذلك بقوله: "إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون" قال ابن حجر: (قال ابن بطال وغيره: في هذا الحديث مشروعية تقبيل الولد وشمه، ومشروعية الرضاع، وعيادة الصغير، والحضور عند المحتضر، ورحمة العيال)[٥]. وقال ابن هبيرة: (وفيه استحباب رحمة الأطفال)[٦].

وقال النووي: (فيه جواز البكاء على المريض والحزن، وأن ذلك لا يخالف الرضا

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٩١/٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٧٤/٣. وهو ملخص كلام الطيبي في شرحه على المشكاة ٣٩٢/٣.

(٣) المرجع السابق ١٧٤/٣.

(٤) بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري ٢٣٦/٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١٧٤/٣.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٦٨/٥.

بالقدر، بل هي رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما المذموم الندب والنياحة والويل والثبور، ونحو ذلك من القول الباطل)[(١)].

وعن عمرو بن سعيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ[(٢)]. فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ. فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ. وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا[(٣)]. فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ. ثُمَّ يَرْجِعُ))[(٤)].

قال النووي: (فيه بيان كريم خلقه ﷺ ورحمته للعيال والضعفاء، وفيه جواز الاسترضاع، وفيه فضيلة رحمة العيال والأطفال وتقبيلهم)[(٥)]. وقال ابن القيم: (لما مات ابن الفضيل بن عياض رؤي في الجنازة ضاحكًا، فقيل له: أتضحك وقد مات ابنك؟ فقال: إن الله قضى بقضاء فأحببت أن أرضى بقضائه.

فأنكرت طائفة هذه المقالة على الفضيل. وقالوا: رسول الله ﷺ بكى يوم مات ابنه، وأخبر أن "القلب يحزن، والعين تدمع" وهو في أعلى مقامات الرضى، فكيف يعد هذا من مناقب الفضيل؟

والتحقيق: أن قلب رسول الله ﷺ اتسع لتكميل جميع المراتب، من الرضى عن الله، والبكاء رحمة للصبي؛ فكان له مقام الرضى، ومقام الرحمة ورقة القلب. والفضيل لم يتسع قلبه لمقام الرضى ومقام الرحمة؛ فلم يجتمع له الأمران، والناس في ذلك على أربع مراتب:

أحدها: من اجتمع له الرضى بالقضاء ورحمة الطفل؛ فدمعت عيناه رحمة والقلب راض.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨/١٥/٧٧، .

(٢) القرى التي عند المدينة، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨/١٥/٧٧، .

(٣) أي مرضعًا، وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة ويشاركها في تربية الرضيع غالبًا. أما القين فهو الحداد ويطلق على كل صانع، انظر: فتح الباري، ابن حجر ٣/١٧٣، .

(٤) أخرجه مسلم ٢٣١٦.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨/١٥/٧٨.

الثاني: من غَيَّبه الرضى عن الرحمة، فلم يتسع للأمرين؛ بل غيبه أحدهما عن الآخرة.

الثالث: من غيبته الرحمة والرقة عن الرضى فلم يشهده، بل فني عن الرضى.

الرابع: من لا رضى عنده ولا رحمة؛ وإنما يكون حزنه لفوات حظه من الميت، وهذا حال أكثر الخلق، فلا إحسان، ولارضى عن الرحمن، والله المستعان.

فالأول في أعلى مراتب الرضى، والثاني دونه، والثالث دون الثاني، والرابع هو الساخط)[١].

قال أبو العباس القرطبي: (الرحمة في حقنا: هي رقة وحنوّ يجده الإنسان في نفسه عند مشاهدة مبتلىً أو ضعيف أو صغير يحمله على الإحسان إليه واللطف به والرفق، والسعي في كشف ما به، وقد جعل الله هذه الرحمة في الحيوان كله - عاقله وغير عاقله - فبها تعطف الحيوانات على نوعها وأولادها فتحنو عليها، وتلطف بها في حال ضعفها وصغرها، وحكمة هذه الرحمة تسخير القويّ للضعيف، والكبير للصغير حتى يحفظ نوعه وتتم مصلحته، وذلك تدبير اللطيف الخبير، وهذه الرحمة جعلها الله في القلوب في هذه الدار، وتحصل عنها هذه المصلحة العظيمة، هي رحمة واحدة من مائة رحمة ادخرها الله تعالى ليوم القيامة، فيرحم بها عباده المؤمنين وقت أهوالها وشدائدها حتى يخلصهم منها ويدخلهم في جنته وكرامته... وإذا تقرر هذا، فمن خلق الله تعالى في قلبه هذه الرحمة الحاملة له على الرفق وكشف ضرّ المبتلى، فقد رحمه الله تعالى بذلك في الحال، وجعل ذلك علامته على رحمته إياه في المآل، ومن سلب الله ذلك المعنى منه وابتلاه بنقيض ذلك من القسوة والغلظة، ولم يلطف بضعيف ولا أشفق على مبتلى، فقد أشقاه في الحال، وجعل ذلك علمًا على شقوته في المآل، ولذلك قال النبي ﷺ: ((لاَ يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ إِلاَّ الرُّحَمَاءَ))[٢])[٣].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٥١٥ - ٥١٦، وانظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٤٩٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٥٥، ومسلم ٩٢٣.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/١٠٨ - ١٠٩.

رابعًا- من أساليب الدعوة: مخاطبة الغير وإرادة غيره بذلك:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ "وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون" قال ابن حجر: (فيه وقوع الخطاب للغير وإرادة غيره بذلك، وكل منهما مأخوذ من مخاطبة النبي ﷺ ولده، مع أنه في تلك الحالة لم يكن يفهم الخطاب لوجهين: أحدهما صغره. والثاني نزاعه. وإنما أراد بالخطاب غيره من الحاضرين، إشارة إلى أن ذلك لم يدخل في نهيه السابق)[١].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٧٤/٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- تربية المسلم على كيفية التعامل مع مواقف الابتلاء:

من أهداف التربية الإسلامية: تربية المسلم على كيفية استقبال مواقف الابتلاء والتعامل معها، فإذا ابْتُلي المسلم في بدنه أو أهله وماله فإن عليه أن يسير وفق المنهج الإسلامي الصحيح لمواجهة مثل هذه الحالة، وقد تضمنت أحاديث الباب معاني اليقين والرضا والصبر والاحتساب.

إن على المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن هناك حياة أخرى هي خير من هذه الحياة، قال تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1]. ويعني اعتقاد هذا أن تلك المحنة مهما طالت فهي إلى زوال، لأن الدنيا نفسها زائلة، وهي لا تعدو أن تكون دار امتحان وابتلاء، يقول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2].

ومن هذا المنظور للحياة يتكون لدى الشخص المُبتَلَى حوافز للرقي والسمو فوق المحنة، فيجاهد نفسه ويقول عند المصيبة ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[3]، وقد جعل الله هذه الجملة ذكر الذاكر بعد نزول المصائب، لأن المصائب لا تعدو أن تكون سلباً للنعم التي سبق أن أنعم الله بها عليه، أو حرماناً من النعم التي أنعم الله بمثلها على عباده، والناس وسائر عباد الله الذين ينعم عليهم بالنعم هي أيضاً ملك لله تعالى، ومصير العباد كلهم أن يرجعوا إلى مالكهم ومصير الأشياء كلها أن تعود إلى مالكها

(١) سورة النحل، آية: ٣٠.

(٢) سورة العنكبوت، الآيات: ١-٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٦.

سبحانه وتعالى، فإذا ما تذكر المؤمن هذه الحقائق يعلن عبارة الإيمان التي تدل عليها فيقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾(١).

كما أن المسلم يتربى على أهمية الصبر واحتساب الأجر عند الله تعالى، مما يحمل على الثبات وعدم الجزع أو مخالفة منهج الله، وإنما يفوض أمره إلى الله تعالى ويصبر ويحتسب، ففي حديث أنس بن مالك بيان لكيفية استقبال النبي ﷺ مصابه في ابنه إبراهيم، حيث قال: «إنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ ، وَلا نَقُولُ إلاَّ ما يُرْضِي رَبَّنا ، وإنَّا بِفِرَاقِكَ يا إبْراهِيمُ لَمَحْزُونُونَ».

لذا ينبغي على المربين غرسُ خُلُقِ الصبر والاحتساب في نفوس المتربين، وذلك تأسياً برسول الله ﷺ، وليعلم كل مسلم أن جزاء الصبر هو الفوز برضوان الله تعالى والفوز بالجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾(٢)(٣).

إن التربية على الصبر والثبات عند حلول المصيبة؛ تكسب شخصية المسلم سكينة وطمأنينة وأملاً في رحمة الله تعالى، وإذا ما تحقق ذلك فلن نجد في حياتنا شيئاً من ملل أو قلق أو اضطراب أو وساوس أو ما شاكلها من تلك الأمراض النفسية التي شاعت في عصرنا، والتي تعد من أكبر العوائق التي تعود بالسلب على العملية التعليمية والتربوية وتعكر على الناس صفو حياتهم.

ثانياً- من خصائص التربية الإسلامية: الواقعية:

"إن التربية الإسلامية تربية واقعية تتعامل مع الإنسان كما خلقه الله تعالى وبنفس الطبيعة البشرية التي تتكون من الروح والجسد.

وإن من واجبات المربين أن يراعوا واقع الإنسان من حيث هو مخلوق مزدوج الطبيعة، فهو مخلوق مزدوج الطبيعة، فهو نفخة من روح الله في غلاف من الطين، ففيه العنصر

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٦.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ١١١.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٥/١-٣٩.

السماوي والعنصر الأرضي، ومن حيث هو ذكر أو أنثى لكل منهما تكوينه ونزعاته ووظيفته، ومن حيث هو عضو في مجتمع لا يستطيع أن يعيش وحده ولا أن يفني تماماً في المجتمع، ولهذا تصطرع في نفسه عوامل الأنانية والغيرية.

ومن هنا لم ينس الإسلام في توجيهاته الفكرية، وفي تعليماته الأخلاقية، وفي تشريعاته القانونية واقع الكون وواقع الحياة، وواقع هذا الإنسان بكل ظروفه وملابساته[١].

ومن مظاهر الواقعية في أحاديث الباب مراعاة التربية الإسلامية لعاطفة الإنسان وتأثرها بما ينزل به من مصائب وما تلم به من آلام وأحزان، وتأثره بما حوله، وحزنه ولوعته على فراق الأحبة.

فها هو رسول الله ﷺ لما فقد ابنه إبراهيم فاضت عيناه بالدموع فاسترعى ذلك انتباه من حوله، ومنهم عبدالرحمن بن عوف حيث قال له: «وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يُرْضَى رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ».

"لقد قامت التربية الإسلامية على الواقعية فهي واقعية في تنميتها للفرد، وواقعية في تنميتها للمجتمع، فلم تقل التربية الإسلامية بجملة من المبادئ التربوية الخيالية التي يصعب أو يستحيل تطبيقها وتنفيذها على أرض الواقع، وإنما قالت بما يكفل البناء الحقيقي للشخصية، وعلى الواقع"[٢].

ومن خلال ما سبق يترائى لنا ما تتميز به التربية الإسلامية من واقعية "فهي ليست ضرباً من المثاليات، ولا من قبيل الخيال الذي يعلو على الواقع ولا يمكن تحققه وتنفيذه في ميدان الحياة، وإنما هي تعاليم وممارسات راقية تتحقق في واقع البشر بالفعل لأنها تتوافق تماماً مع هذا الواقع وتناسب طبيعة الإنسان"[٣].

---

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ١٥٨، ١٦٨.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ٢١٥.

(٣) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، د. أمير عبدالعزيز ص٣٤٨، ٣٤٩.

ثالثاً- من صفات المربي: الشفقة والرحمة:

إن من أهم صفات المربي وسماته، تحليه بكريم الصفات وأحاسن الأخلاق، ومن ذلك شفقته ورحمته بمن عُهِد إليه بتربيتهم، وذلك على سبيل السواء دون تفرقة بين تلميذ وآخر، ويمكن لنا أن نستوحي هذه المعاني من أحاديث الباب من شفقته ﷺ ورحمته بمن أصابه مكروه، أو نزلت به بلية، ولم تقتصر شفقته ﷺ على ابنه الذي جاد بروحه في صباه "كما في حديث أنس بن مالك"، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان ..."، بل شملت الآخرين سواء كانوا من أقربائه ﷺ لحزنه على ابن لإحدى بناته، كما في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ رفع إليه ابن ابنته وهو في الموت ففاضت عينا رسول الله ﷺ ...»، أم كانوا من المسلمين عامة كما في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وعيادة رسول الله ﷺ لسعد بن عبادة رضي الله عنه «فلما دخل عليه وجده في غشية، فقال: أقد أفضى؟ قالوا لا يا رسول الله فبكى رسول الله ﷺ...».

إن فيما سبق من أحاديث الباب، تمثيل حي وتصوير دقيق، لما ينبغي أن يكون عليه المربون والمعلمون من الرحمة والشفقة بتلاميذهم، "فبقدر حرص المربين على غرس الروح الإسلامية في الناشئة والحفاظ على الصفاء والرحمة في نفوسهم فإنهم مدعوون إلى معاملة تلاميذهم بالرحمة والشفقة التي تحقق نموهم السوي عملاً بهدي الرسول ﷺ وأسوة بسلوكه الرحيم إزاء صحابته ومجتمعه كله، وإذا كان الرفق والشفقة محببان ومطلوبان في معاملة الناس بعضهم البعض، فإن الرفق في التربية واجب أكيد لا تجوز الغفلة عنه.

إن الهدي النبوي يجعل من الرفق والشفقة زينة وجمالاً يحلي سلوك الناس، كما يجعل من العنف والشدة في غير مواضعها قبحاً يشين أعمالهم ويزيل ما فيها من رواء وبهاء، وها هو ﷺ يدعو عائشة للرفق وهو نصح للأمة كلها سيما أولئك الذين يتولّون مقاعد التربية والإرشاد"[1]، فعن المقدام بن شريح عن أبيه قال: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها عن الْبَدَاوَةِ فقالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَبْدُو إِلَى هَذِهِ التِّلَاعِ وَإِنَّهُ أَرَادَ الْبَدَاوَةَ مَرَّةً

---

(١) انظر: التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين ص ٥٧، ٥٨.

فَأَرْسَلَ إِلَيَّ نَاقَةً مُحَرَّمَةً مِنْ إبِلِ الصَّدَقَةِ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ ارْفُقِي فَإِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ شَانَهُ»[1].

رابعًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يستفاد منها في طرائق التدريس والتعليم، من ذلك:

أ- الممارسة العملية: ويتضح ذلك جليًا في بكاء النبي ﷺ في الأحاديث الثلاثة: أحاديث الباب: فبكى رسول الله ﷺ"، ففاضت عينا رسول الله ﷺ "فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان" وذلك لمَّا رَأَى مَنْ في الموت.

ويمكن للمعلم أن يستخدم الممارسة العملية والتجربة عن طريق قيامه ببعض الأفعال التدريسية لتقريب المعاني إلى أذهان المتعلمين أو غرس القيم الإيجابية ونزع القيم السلبية من نفوسهم.

ب- التربية بالمواقف والأحداث: ويتضح ذلك في أحاديث الباب الثلاثة أيضًا، من ذلك -كما في الحديث الأول- "فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بَكَوْا فقال: ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم" وأشار إلى لسانه. والمعلم البارع من يستثمر المواقف المختلفة لغرس الأهداف التربوية في نفوس المتعلمين، وكذلك تعليمهم المهارات والمعارف المطلوبة.

ج- المناقشة والحوار: كما في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما: "فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء". وكما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، فقال له عبدالرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: يا ابن عوف إنها رحمة". وأسلوب المناقشة والحوار من شأنه أن يفعل موقف المتعلم في العملية التعليمية وأن ينقله من المتعلم السلبي إلى المتلقي الإيجابي والمشارك الفعال في موقف التعليم والتعلم.



---

(١) أخرجه أبو داود ٢٤٧٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٦٥).

١٥٤- باب الكف عن ما يرى من الميت من مكروه

الحديث رقم (٩٢٩)

٩٢٩- عن أَبي رافع أسلم مولى رسول الله ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ غَسَّلَ مَيتًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ، غَفَرَ اللهُ لَهُ[1] أربَعِينَ مَرَّة)) رواه الحاكم[2]، وقال: صحيح عَلَى شرط مسلم.

ترجمة الراوي:

أبو رافع: هو أَسْلم، مولى رسول الله ﷺ، غلبت عليه كنيته، واختلف في اسمه فقيل: أَسْلم، وقيل: إبراهيم، وقيل: هُرمز.

وهو من قبط مصر، وكان للعباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، فوهبه للنبي ﷺ، فلمَّا أسْلم العباس رضي الله عنه بشَّر أبو رافع النبي ﷺ بإسلام عمه العباس، فأعتقه النبي ﷺ.

وكان إسلامه قبل بدر، وكان مقيمًا بمكة، فلم يشهد بدرًا. وشهد أحدًا والخندق وما بعدها من المشاهد.

وقد زوجه النبي ﷺ سَلمى مولاته، فولدت له عُبيد الله بن أبي رافع فكان كاتبًا لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقد استأذن النبي ﷺ يومًا حتى يصيب من الصدقة فمنعه النبي ﷺ وقال له ((إن الصدقة لا تحلُ لنا وإنَّ مواليَ القوم من أنفسهم))[3].

وقد روى عن النبي ﷺ، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. وتُوفِّي بالمدينة، قبل مقتل

---

(١) لفظ الحاكم: (غفر له).

(٢) المستدرك ٣٥٤/١. وقال الهيثمي في المجمع ٢١/٣: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٣٠ وقال: رواه الطبراني في الكبير ورواته محتج بهم في الصحيح. وقال الحافظ ابن حجر في الفتوحات الربانية ١٦٣/٤: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

(٣) خرجه الترمذي رقم ٥٧)، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٥٣٠).

عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقيل: في خلافة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[١].

غريب الألفاظ:

مولى: حليف وتابع[٢].

الشرح الأدبي

الإسلام حفظ حال المسلم حياً، وميتاً، وهذا الحديث من الأحاديث التي ترغب في حفظ حال الميت، وما يعتريه من تغير بسبب سكرات الموت، وما أخفاه في حياته، وقد جاء الترغيب بصورة الشرط، وأسلوب الشرط من الأساليب الخبرية الشائعة في الحديث النبوي لما لها من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح العاقبة، وقوله (مَنْ غَسَّلَ مَيتاً فَكَتَمَ عَلَيْهِ، غَفَرَ اللهُ لَهُ أربَعِينَ مَرَّة) ربط تغسيل الميت بقيد الكتم عنه، بالمغفرة اربعين مرة، وذكر العدد يؤكد المعنى.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أنه يستحب للغاسل أثناء تغسيله للميت إذا رأى ما يعجبه من استنارة وجه وطيب ريح، أن يتحدث عنه ندبًا.

وإن رأى ما يكره من سواد وجه ونتانة رائحة ونحوها، ستره وجوبًا.

إلا لمصلحة، كأن كان الميت صاحب بدعة ظاهرة، فحينئذ إن رأى ما يكره فلا

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٧٣/٤-٧٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ١٤٦٨-١٤٦٩، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٠، ٨٠٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٠٥/٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٢٠/٤، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١٦/٢-١٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٠٢/٦-١٠٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ل ي).

يجب عليه ستره، بل يجوز التحدث به لينزجر الناس عن بدعته. أما إذا كان صاحب بدعة مستترة، فلا يتحدث بما رأى إلا أمام المطلعين على بدعته، المائلين إليها، لعلهم ينزجرون بذلك[(١)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الستر على الميت عند تغسيله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الستر على الميت.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على الستر على الميت عند تغسيله:

هذا واضحٌ من الحديث، قال ابن عثيمين: (والذي يُرَى من الميت من المكروهات نوعان: النوع الأول: ما يتعلق بحاله، النوع الثاني: ما يتعلق بجسده.

الأول: لو رأى مثلاً أن الميت تغير وجهه واسود وقبح. فهذا - والعياذ بالله - دليل على سوء خاتمته - نسأل الله العافية - فلا يحل له أن يقول للناس: إني رأيت هذا الرجل على هذه الصفة، لأن هذا كشف لعيوبه، والرجل قدم على ربه وسوف يجازيه بما يستحق من عدل أو فضل، إن كان عمل خيرًا، فالله يجزيه الحسنة بعشرة أمثالها، وإن كان غير ذلك ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾[(٢)].

الثاني: ما يتعلق بجسده كأن يرى بجسده عيبًا، كأن يرى برصًا أو سوادًا خلقيًا أو غير ذلك مما يكره الإنسان أن يطلع عليه غيره، فهذا أيضًا لا يجوز له أن يكشفه للناس، ويقول رأيت فيه كذا وكذا، ولهذا قال العلماء رحمهم الله: يجب على الغاسل أن يستر ما رآه إن لم يكن حسنة، أما إذا رأى خيرًا بالميت واستنارة بوجهه أو رآه يبتسم فهذا خير، وليخبر به الناس، لأنه يجعل الناس يثنون عليه خيرًا ولا بأس به، ولا يعد هذا من الرياء أو ما أشبه ذلك، فإن هذا يعد من عاجل بشرى المؤمن، لأن المؤمن قد يكون

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٤٥/٥، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٣٠٥/١.

(٢) سورة الشورى، آية: ٤٠.

له مبشرات، ومن هذه مثلاً أن يُرى بعد موته على حالة حسنة، وكذلك يرى الرؤيا الحسنة لنفسه، أو يراها له غيره، كل هذه من المبشرات التي تبشر بالخير.

ولهذا قال العلماء رحمهم الله: يكره لغير المعين في غسله أن يحضر غسله، حتى ولو كان قريبًا له، لأنه ربما يرى ما يكره فيكون في ذلك إساءة إلى الميت)[١].

جاء في الموسوعة الفقهية: (ينبغي أن يكون غاسل الميت ثقة أمينًا وعارفًا بأحكام الغسل... ولا يجوز له إذا رأى من الميت شيئًا مما يكره أن يذكره إلا لمصلحة... وإن رأى حسنًا مثل أمارات الخير من وضاءة الوجه ونحو ذلك، استحب له إظهاره، ليكثر الترحم عليه، ويحصل الحث على طريقته، والتبشير بجميل سيرته إلا إذا كان الميت مبتدعًا، ورأى الغاسل منه ما يكره، فلا بأس أن يحدث الناس به، ليكون زجرًا لهم عن البدعة)[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الستر على الميت:

هذا واضحٌ من الحديث، فقد أخبر النبي ﷺ أنه يغفر أربعين مرّة لمن غسل ميتًا وكتم عليه. وقد قال النبي ﷺ ((مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللّٰهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٣].

قال الشوكاني: (فيه الترغيب في ستر عورات المسلم، وظاهره عدم الفرق بين الحي والميت، فيدخل في عمومه ستر ما يراه الغاسل ونحوه من الميت، وكراهة إفشائه والتحدث به. وأيضًا قد صح أن الغيبة هي ذكرك لأخيك بما يكره[٤]، ولا فرق بين الأخ الحي والميت، ولاشك أن الميت يكره أن يُذكر بشيء من عيوبه التي تظهر حال موته، فيكون على هذا ذكرها محرمًا)[٥].

وروي عن النبي ﷺ بإسناد ضعيف أنه قال: ((مَنْ غَسَلَ مَيْتًا فَأَدّى فِيهِ الأمانَةَ وَلَمْ

---

(١) شرح رياض الصالحين، ١١٩٤/٢ - ١١٩٥. وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٥٠/١٣.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٥٠/١٣.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤٤٢، ومسلم ٢٥٨٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: "ذكرك أخاك بما يكره".

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٦٩٥.

يُفْشِ عَلَيْهِ ما يكونُ عِنْدَ ذلكَ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))[١].

قال الشوكاني: (المراد بتأدية الأمانة، إما كتم مايرى منه مما يكرهه الناس، أو يكون المراد بتأدية الأمانة أن يغسله الغسل الذي وردت به الشريعة، لأن العلم عند حامله أمانة، واستعماله في مواضعه من تأديتها)[٢].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح من آخر الحديث "غفر الله له أربعين مرة" ولاشك أن هذا الترغيب دفعٌ للمدعوين، أن ينشطوا لالتزام هذا الأدب الجميل والخلق الرفيع، فيسود بينهم الستر وكتمان الأشياء التي تكره، لأن ذلك طريق لأن ينالوا هذاالفضل العظيم من الله سبحانه وتعالى.

---

[١] اخرجه أحمد ١١٩/٦، ١٢٠ رقم ٢٤٨٨١، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ٣٧٤/٤١.

[٢] نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من احاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٦٩٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على احترام الإنسان والحفاظ على كرامته حياً كان أو ميتاً:

إن من أسمى أهداف التربية الإسلامية: الحفاظ على كرامة الإنسان حياً كان أو ميتاً وتحقيق منتهى الكرامة الإنسانية له[1]، وقد جاء حديث الباب مرغباً في ستر الميت والحفاظ على كرامته -وذلك لعموم الناس- خاصة من باشر تغسيله، فقال ﷺ: «مَنْ غَسَّلَ مَيِّتاً فَكَتَمَ عَلَيْهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً».

لقد أكد الإسلام حرمة العرض والكرامة للإنسان فحرم إيذائه مادياً، فحرم أشد التحريم أن يُضرب إنسان بغير حق، أو يجلد ظهره بغير حد، وأنذر باللعنة من ضرب إنساناً ظلماً، ومن شهده يُضرب ولم يدفع عنه، وبهذا حمى بدن الإنسان من الإيذاء.

كذلك حرم الإسلام الإيذاء الأدبي للإنسان، فحرم الهمز واللمز والتنابز بالألقاب والسخرية والغيبة وسوء الظن بالناس وغير ذلك، وبهذا حرم نفس الإنسان من الإهانة.

ولم يكتف الإسلام بحماية الإنسان في حالة حياته فحسب، بل كفل له الاحترام بعد مماته، ومن هنا جاء الأمر بغسله وتكفينه ودفنه، والنهي عن كسر عظمه أو الاعتداء على جثته خلافاً للأمم التي تحرق جثث موتاها.

وكما حمى جسمه بعد الموت حمى عرضه وسمعته أيضاً لئلا تلوكها الأفواه[2] وتتداولها الألسن، ومن شواهد ذلك ما جاء في حديث الباب من الستر عليه وأولى الناس بهذا مَنْ قاموا بمباشرة تغسيله وتكفينه...، فقال ﷺ: «مَنْ غَسَّلَ مَيِّتاً فَكَتَمَ عَلَيْهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً». إذ أن "الستر على المؤمن وهو حي مطلوب واجب، وإذا مات كان الستر عليه أوجب، لأن الحي يقدر على ستر نفسه والميت لا يقدر على ستر عيوبه.

لذا ينبغي على المربين غرس روح الاحترام للمسلم في نفوس المتعلمين، فحرمة المسلم

---

(١) انظر: القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع ص ٣٣.

(٢) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٨٧، ٨٨.

مصونة حياً وميتاً، من رأى من أخيه عيباً فينبغي عليه أن يكتمه ويستر عليه"[١].

ثانياً- التربية بالترغيب:

من أساليب التربية الإسلامية: التربية بالترغيب من خلال بيان الثواب المنوط بالعمل مما يعد من أشد الدوافع المحفزة على العمل، كما جاء في حديث الباب من الوعد بالمغفرة أربعين مرة لمن غسَّل ميتاً فكتم عليه، فقال ﷺ: «مَنْ غَسَّلَ مَيِّتاً فَكَتَمَ عَلَيْهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً».

ففي ذلك ترغيب بالمغفرة أربعين مرة لمن ستر ميتاً وكتم عنه إن ظهر منه شيء يسوؤه أو يسوء أهله.

إن التربية بالترغيب تُحفِّز الإنسان على العمل طمعاً في الثواب، وهذا مما يتناسب مع الطبيعة البشرية ولا يستغنى عنه المربي في كل زمان ومكان، وقد أكد علماء المسلمين على تشجيع المتربين على السلوك الحسن وإثابتهم عليه، لذا ينبغي على المعلم المسلم أن يبشر ولا ينفر، وأن يرغب المتعلمين في العلم وتحصيله، وفي سلوكهم للمسلك الحسن وأن يثيبهم على ذلك، وعليه أن يعظهم ويحذرهم من الخطأ وأن يجنبهم قدر استطاعته السير في طريقه، ويوضح لهم ما يترتب على ارتكابه من عواقب، وإذا ما وقع المتعلم في الخطأ وكان ذلك بدون وعي أو قصد فبأن يسامح ويعفى عنه، بعد أن يوضح له خطأه، فإذا تكرر الخطأ أو كان متعمداً فإن العقوبة هي الحل، لكنها العقوبة المناسبة للموقف وملابساته على أن يكون الهدف من إيقاع العقاب هو التأديب والإصلاح وليس التعذيب والانتقام"[٢].



(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٠٩، وبهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي، ٢/١٧٨، ١٧٩.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٨٦-١٩٠.

١٥٥- باب الصلاة علَى الميت وتشييعه وحضور دفنه وكراهة اتباع النساء الجنائز

وَقَدْ سَبَقَ فَضْلُ التَّشْييعِ.

الحديث رقم (٩٣٠)

٩٣٠- عن أَبي هريرة ﵁، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا، فَلَهُ قِيراطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ، فَلَهُ قِيرَاطَانِ)) قِيلَ: وَمَا القِيرَاطَانِ؟ قَالَ: ((مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري خال من المؤكدات، لأنه من المعاني التي لا يتأتى الحديث فيها لأحد إلا نبي فالمعنى يقابل به خال الذهن من الخبر، وقد جاء في أسلوب الشرط الذي يربط الأجر المذكور بشهود الجنازة، والصلاة عليها ثم داعب النفس الطامحة إلى المزيد بمضاعفة الأجر بشرط شهود الدفن، والحديث يحمل لوناً من ألوان التكافل الاجتماعي التي يتميز بها الإسلام، وتزيد أفراده تماسكاً لاسيما في الشدائد، واستفهام المخاطبين (وما القيرطان؟) استفهام على حقيقته يعكس ميلهم إلى تحصيله، وإجابة الرسول أكدت هذا الميل لتجعل منه عزيمة على اغتنام هذا الأجر، قال: (مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ) وهو تشبيه لبيان المقدار على سبيل التقريب والتشبيه بالجبل فيه إشارة إلى عظم الأجر، وقد زاده تعظيماً بالتثنية، كما صعّده بالوصف بالعظم، مما يجعل قلوب المؤمنين كلفة معلقة بهذا الأجر.

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٢٥، ومسلم ٥٢/٩٤٥ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٤١.

فقه الحديث

١- اتفق الفقهاء على أن المشيع الذي يحضر الجنازة فيصلي على الميت صلاة الجنازة يحصل له من الأجر قيراط. ومن صلى على الجنازة ثم لزمها حتى تمام الدفن فله من الأجر قيراط آخر، وعلى ذلك فإن من صلى على الجنازة ثم لزمها حتى تمام الدفن فإنه يحصل له من الأجر قيراطان.

ولا يحصل على القيراط الثاني إلا بتمام الدفن. وقد فسروا القيراط بأنه مثل جبل أحد في الثواب(١).

وإذا تعددت الجنائز واتحدت الصلاة عليها دفعة واحدة هل يتعدد القيراط بتعددها أم لا؟ الظاهر كما ذكر الأزرعي التعدد(٢).

٢- وأما حكم اتباع الجنازة وتشييعها: ذهب جمهور الفقهاء إلى أن تشييع الرجال للجنازة سنة لحديث البراء بن عازب: ((أمرنا رسول الله ﷺ باتباع الجنائز...))(٣) والأمر هنا للندب لا للوجوب للإجماع، وقال الزين بن المنير من المالكية: إن اتباع الجنائز من الواجبات على الكفاية، وقال الشيخ مرعي الحنبلي: اتباع الجنائز سنة، وقال الحنفية اتباع الجنائز أفضل من النوافل(٤).

المضامين الدعوية(٥)

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على الميت وتشييعه وحضور دفنه.

---

(١) شرح النووي ٦٦/٦، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ٤٢٧/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٤/٢، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٣١/٣، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٨٩٣/١.

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٤/٢، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٣١/٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٣٩، ٢٤٤٥، ٥١٧٥، ٥٦٣٥، ٥٦٥٠، ٥٨٣٨، ٥٨٤٩.

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣/١٦.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٣٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٣١).

ثانيًا: من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه.

ثالثًا: من مهام الداعية: توضيح المعنى للمدعوين بما هو أقرب إلى أفهامهم.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من أهداف الدعوة: سوق الخير للمدعوين أحياء وأمواتًا.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على الميت وتشييعه وحضور دفنه:

هذا واضح من الحديثين. فقد أخبر النبي ﷺ عن الجزاء العظيم لمن صلّى على الميت وشيعه وحضر دفنه.

قال أبو العباس القرطبي: "القيراط اسم لمقدار معلوم في العرف، وهو جزء من أربعة وعشرين جزءًا، وقد يراد به: الجزء مطلقًا، ويكون عبارة عن الحظ والنصيب، ألا ترى أنه قال: (كل قيراط مثل أحد) ومقصود هذا الحديث: أن من صلى على جنازة كان له حظ عظيم من الثواب والأجر، فإن صلى عليها واتبعها كان له حظان عظيمان من ذلك، إذ قد عمل عملين، أحدهما: صلاته، والثاني: كونه معه إلى أن يدفن"[(١)].

قال ابن حجر: "نقل ابن الجوزي عن ابن عقيل أنه كان يقول: القيراط نصف سدس درهم أو نصف عشر دينار، والإشارة بهذا المقدار إلى الأجر المتعلق بالميت في تجهيزه وغسله وجميع ما يتعلق به، فللمصلي عليه قيراط من ذلك، ولمن شهد الدفن قيراط، وذكر القيراط تقريبًا للفهم، لما كان الإنسان يعرف القيراط ويعمل العمل في مقابلته وعدّ من جنس ما يعرف ضرب له المثل بما يعلم" انتهى.

[وقال ابن حجر معلقًا على ذلك]: "وليس الذي قال ببعيد، وقد روى البزار من طريق عجلان عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: "من أتى جنازة في أهلها فله قيراط، فإن تبعها فله قيراط، فإن صلى عليه فله قيراط، فإن انتظرها حتى تدفن فله قيراط"، فهذا يدل على أن لكل عمل من أعمال الجنازة قيراطًا، وإن اختلفت مقادير القراريط ولا سيما بالنسبة إلى مشقة ذلك العمل وسهولته، وعلى هذا فيقال: إنما خص قيراطي الصلاة

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٦٠٤.

والدفن بالذكر لكونهما المقصودين بخلاف باقي أحوال الميت، فإنها وسائل، ولكن هذا يخالف ظاهر سياق الحديث الذي في الصحيح المتقدم في كتاب الإيمان فإن فيه: ((مَنْ تَبِعَ جَنَازَةً حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ))[١]، فقط؛ ويجاب عن هذا بأن القيراطين المذكورين لمن شهد، والذي ذكره ابن عقيل لمن باشر الأعمال التي يحتاج إليها الميت فافترقا، وذهب الأكثر إلى أن المراد بالقيراط في حديث الباب: جزء من أجزاء معلومة عند الله، وقد قربها النبي ﷺ للفهم بتمثيله القيراط بأحد. قال الطيبي[٢]: "قوله: (مثل أحد)، تفسير للمقصود من الكلام لا للفظ القيراط، والمراد منه أنه يرجع بنصيب كبير من الأجر، وذلك لأن لفظ القيراط مبهم من وجهين، فبيّن الموزون بقوله: (من الأجر)، وبيّن المقدار المراد منه بقوله: (مثل أحد)"[٣].

وقال ابن حجر كذلك: "وأما التقييد بالإيمان والاحتساب في قوله ﷺ: (من اتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا..)، فلا بدّ منه؛ لأن ترتب الثواب على العمل يستدعي سبق النية، فيخرج من فعل ذلك على سبيل المكافأة المجردة، أو على سبيل المحاباة، والله أعلم"[٤].

وقال ابن عثيمين: "فإذا شهدت الجنازة حتى يصلى عليها فلك قيراط، وإن استمررت معها حتى تدفن فلك قيراطان، لكن في رواية البخاري[٥]: اشترط أن يكون ذلك إيمانًا واحتسابًا، يعني: إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده واحتسابًا لثوابه، وليس قصدك المجاملة لأهل الميت؛ لأن المجاملة لأهل الميت ثواب عاجل في الدنيا فقط، وقد يؤجر الإنسان على مجاملة إخوانه، لكن الأجر الذي هو قيراطان فهو لمن تبعها إيمانًا واحتسابًا، إيمانًا بالله وثقة"[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٧.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٦٣/٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٩٤/٣ – ١٩٥.

(٤) المرجع السابق ١٩٧/٣.

(٥) صحيح البخاري ٤٧.

(٦) شرح رياض الصالحين ١١٩٦/٢.

(وهذا قيد لا بد منه في كل عبادة؛ لأن ترتب الثواب على العمل يستدعي سبق النية[١]، وقال الشيخ عبدالله البسام: "قال بعضهم: اتباع الجنازة على ثلاثة أضرب: أحدها أن يصلي عليها، الثاني: أن يتبعها إلى القبر ثم يقف حتى تدفن، الثالث: أن يقف بعد الدفن على القبر، ويدعو للميت بالمغفرة والرحمة)[٢].

ثانيًا- من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه:

هذا واضح من قول راوي الحديث: الصحابي أبي هريرة ﷺ: (قيل وما القيراطان؟)، قال ابن حجر: (لم يعين في هذه الرواية القائل ولا المقول له، وقد بيّن الثاني مسلم في رواية الأعرج هذه فقال: ((قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ يا رسول الله؟))[٣]، وعنده في حديث ثوبان: (وسئل رسول الله ﷺ عن القيراط)[٤]، وبيّن القائل أبو عوانة من طريق أبي مزاحم عن أبي هريرة ﷺ ولفظه: (وما القيراط يا رسول الله؟ ووقع عند مسلم[٥]، أن أبا حازم أيضًا سأل أبا هريرة عن ذلك)[٦].

وقد وقع ذلك من الصحابة ﷺ، أعني السؤال عما لا يفهمونه ولا يكون عندهم علم به، من ذلك حديث أنس بن مالك ﷺ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللّهِ. فَقَالَتْ لَهُ، وَعَائِشَةُ عِنْدَهُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! الْمَرْأَةُ تَرَى مَا يَرَى الرَّجُلُ فِي الْمَنَامِ، فَتَرَى مِنْ نَفْسِهَا مَا يَرَى الرَّجُلُ مِنْ نَفْسِهِ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ فَضَحْتِ النِّسَاءَ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ. فَقَالَ لِعَائِشَةَ: ((بَلْ أَنْتِ، فتَرِبَتْ يَمِينُكِ، نَعَمْ، فَلْتَغْتَسِلْ، يَا أُمَّ سُلَيْمٍ إِذَا رَأَتْ ذَاكِ))[٧].

قال النووي: "وأما قوله ﷺ لعائشة ﷺ: (بل أنت فتربت يمينك)، فمعناه: أنت أحق أن يقال لك هذا، فإنها فعلت ما يجب عليها من السؤال عن دينها، فلم تستحق

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، الشيخ البسام ٥٣٤/٢.

(٢) السابق ٥٣٤/٢ - ٥٣٥.

(٣) رواية الأعرج في صحيح مسلم ٥٢ - ٩٤٥، لكن ليس فيها: يا رسول الله.

(٤) صحيح مسلم بعد الحديث ٥٧ - ٩٤٦.

(٥) صحيح مسلم ٥٤ - ٩٤٥.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ١٩٨/٣.

(٧) أخرجه مسلم ٢٩ - ٣١٠.

الإنكار، واستحققت أنت الإنكار، لإنكارك ما لا إنكار فيه"[١].

وأخرج هذا الحديث أحمد في مسنده وعنده زيادة: ((وَإِنَّا إِنْ نَسْأَلِ النَّبِيَّ ﷺ عَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْنَا، خَيْرٌ مِنْ أَنْ نَكُونَ مِنْهُ عَلَى عَمْيَاءَ))[٢].

ثالثًا - من مهام الداعية: توضيح المعنى للمدعوين بما هو أقرب إلى أفهامهم:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: (فإنه يرجع من الأجر بقيراطين مثل أحد). قال ابن هبيرة: "وهذا المقدار الذي هو القيراط خطاب للناس بما يعرفونه"[٣]، قال ابن حجر: "قال الزين بن المنير: أراد تعظيم الثواب، فمثله للعيان بأعظم الجبال خلقًا وأكثرها إلى النفوس المؤمنة حبًا؛ لأنه الذي قال في حقه: ((إِنَّهُ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ))[٤]. انتهى.

ولأنه أيضًا قريب من المخاطبين يشترك أكثرهم في معرفته، وخصّ القيراط بالذكر، لأنه كان أقلّ ما تقع به الإجارة في ذلك الوقت، أو جرى ذلك مجرى العادة من تقليل الأجر بتقليل العمل[٥].

وقال العيني: "إنما خصّ القيراط لأن غالب ما تقع به معاملتهم كان بالقيراط،وقد ورد لفظ القيراط في عدة أحاديث، فمنها ما يحمل على القيراط المتعارف، ومنها ما يحمل على الجزء وإن لم تعرف النسبة"[٦].

ومثال ذلك قول النبي ﷺ في وصف سدرة المنتهى في حديث الإسراء والمعراج: ((ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ. وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ))[٧]، قال النووي: (قوله ﷺ: (وإذا ثمرها كالقلال) - بكسر القاف - جمع قلة، والقلة جرة

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٥/٣/٢.

(٢) أخرجه أحمد ٢٧٧/٦، رقم ٢٧١١٨، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٨٥/٤٥ - ٨٦.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٨٧/٦.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٨١، ومسلم ١٣٩٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١٩٥/٣.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٢٨/٨.

(٧) أخرجه البخاري ٣٢٠٧، ومسلم ٢٥٩ - ١٦٢.

عظيمة تسع قربتين أو أكثر)[١]. ولا شك أن تقريب المعنى للمدعوين بما هو قريب لأفهامهم، لمن الوسائل التي تجعل أمور الدعوة واضحة لهم، قريبة منهم، لا يعتريها الغموض ولا اللبس.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح من ترتيب نيل القيراطين - وهو الثواب العظيم - لمن صلّى على الميت وتبعه حتى دفن.

والذي يبين أثر هذا الترغيب ما قاله ابن عمر ﷺ عندما سمع هذا الحديث عن أبي هريرة ﷺ: (لَقَدْ ضَيَّعْنَا قَرَارِيطَ كَثِيرَةً)[٢].

وفي رواية: (وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُصَلِّي عَلَيْهَا ثُمَّ يَنْصَرِفُ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَقَدْ ضَيَّعْنَا قَرَارِيطَ كَثِيرَةً)، أي من عدم المواظبة على حضور الدفن)[٣][٤].

قال النووي: "وفيه ما كان الصحابة ﷺ عليه من الرغبة في الطاعات حين يبلغهم والتأسف على ما يفوتهم منها، وإن كانوا لا يعلمون عظم موقعه"[٥].

خامسًا: من أهداف الدعوة: سوق الخير للمدعوين أحياء وأمواتًا

هذا واضح من الحديثين، قال ابن حجر: "وفي حديث الباب من الفوائد غير ما تقدم الترغيب في شهود الميت والقيام بأمره والحض على الاجتماع له، والتنبيه على عظيم فضل الله وتكريمه للمسلم في تكثير الثواب لمن يتولى أمره بعد موته"[٦].

وقال ابن القيم: "كان هديه ﷺ في الجنائز أكمل الهدى مخالفًا لهدي سائر الأمم، مشتملاً على الإحسان إلى الميت ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده، وعلى الإحسان إلى أهله وأقاربه، وعلى إقامة عبودية الحي لله وحده فيما يعامل به الميت،

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١٤/٢/١.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٢٤، ومسلم ٥٦ - ٩٤٥.

(٣) أخرجه مسلم ٥٢ - ٩٤٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٩٥/٦.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨/٧/٤، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ١٩٥/٣ - ١٩٦.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ١٩٨/٣.

وكان من هديه ﷺ في الجنائز إقامة العبودية للرب تبارك وتعالى على أكمل الأحوال والإحسان إلى الميت وتجهيزه إلى الله على أحسن أحواله وأفضلها، ووقوفه ووقوف أصحابه صفوفًا يحمدون الله ويستغفرون له، ويسألون له المغفرة والرحمة والتجاوز عنه، ثم المشي بين يديه إلى أن يودعوه حفرته، ثم يقوم هو وأصحابه بين يديه على قبره سائلين له التثبيت أحوج ما كان إليه، ثم يتعاهده بالزيارة له في قبره والسلام عليه، والدعاء له كما يتعاهد الحي صاحبه في دار الدنيا"[1].

وقال ابن هبيرة: "لما كان الموت محتومًا على بني آدم، وكان مما شرع الله لعباده منبهًا بذلك على فضله وجوده على المسلمين من أمة محمد ﷺ أنه شرع الصلاة على الميت، ثم شرع في أذكار هذه الصلاة أن يقول المصلون: (اللهم نزل بك، وأنت خير منزول به، كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ولا نعلم إلا خيرًا، اللهم إن كان محسنًا فجازه بإحسانه، وإن كان مسيئًا فتجاوز عنه، جئناك شفعاء فيه طالبين له)[2]، فمن تنبه لجود الله وفضله، علم أنه لم يشرع هذا بهذه الأذكار إلا وهو سبحانه يقبل شفاعة الشافعين، ويرحم المشفوع فيه.

ثم لما كان مواراة المسلمين وشهود جنائزهم من فروض الكفايات وقد وعد رسول الله ﷺ في ذلك بما وعد من الأجر، وهو قيراطان، كل منهما مثل جبل أحد، كان اتباع الجنائز إيمانًا بحصول ذلك، يبلغه مع الإيمان بثقل صنجته أيضًا من خصال الإيمان"[3].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤٩٨/١.

(٢) قال النووي في الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ١٨٦: "واختار الشافعي دعاء التقطه من مجموع هذه الأحاديث وغيرها... فذكره.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٩٠/٦ - ٣٩١.

الحديث رقم (٩٣١)

٩٣١- وعنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إيمانًا وَاحتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفرَغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإنَّهُ يَرْجعُ مِنَ الأَجْرِ بِقيراطَيْنِ كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أنْ تُدْفَنَ، فَإنَّهُ يَرْجعُ بِقيرَاطٍ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

احتسابًا: طلبًا لوجه الله وثوابه[2].

أُحُد: الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد ٣هـ وهو جبل أحمر، بينه وبين المدينة المنورة قرابة ميل في شماليها[3].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه، وقريب منه في الأسلوب مع بعض الاختلاف من بعض الأوجه ومن هذه الأوجه: أنه نص في هذه الرواية على صفة الإسلام بينما فهمت ضمناً في الرواية السابقة من قوله (يصلى عليها) كما نص على الإيمان، والاحتساب الذي يعني الإخلاص، ومن أوجه الخلاف أيضاً أن المشبه به، وهو الجبل محدد، وفي تحديده توكيد للمعنى لاسيما، وأن المخاطبين يرونه ذهاباً، وإياباً، ثم إنه نص في هذه الرواية على النقص (ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أنْ تُدْفَنَ، فَإنَّهُ يَرْجعُ بِقيرَاطٍ) بينما نص في الرواية السابقة على الزيادة (وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ، فَلَهُ قِيرَاطَانِ)، وعظم الثواب الذي ينص عليه

---

(١) برقم ٤٧. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٤١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح س ب).

(٣) انظر أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٢، وأطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ١١٩.

الحديث يجعل المؤمن في قمة الحرص على اتباع الجنازة التي تحمل مظهراً من مظاهر التكافل الاجتماعي بين المسلمين.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٣٢)

٩٣٢-وعن أم عطية رضي الله عنها ، قالت: نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ام عطية الأنصارية: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٧٢٣).

غريب الألفاظ:

ولم يعزم علينا: لم يشدد في النهي كما يشدد في المحرمات[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث خبر قصير عن أم عطية رضي الله عنها نقلت فيه النهي عن اتباع الجنائز بطريقة خبرية وقولها: (نهينا عن اتباع الجنائز) والحديث بضمير الجمع يؤكد المعنى وهو الخبر المنقول على الصفة المذكورة، وقولها: (وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا) تكميل بلاغي عكس انطباعها عن هذا النهي، وأنه لم يكن جزماً، لأنها فهمت من النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك النهى إنما أراد به ترك ما كانت الجاهلية تقوله من الهجر وزور الكلام وقبيحه، ونسبة الأفعال إلى الدهر، فهى إذا تركت ذلك وبدلت منه الدعاء والترحم عليه كان خفيفًا، فهذا يدل أن الأوامر تحتاج إلى معرفة تلقى الصحابة لها، وينظر كيف تلقوها - كما ذكر ابن بطال -.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم اتباع النساء للجنائز.

وقد اختلف الفقهاء في حكم اتباع النساء للجنائز على قولين:

القول الأول: ذهب الظاهرية إلى أن اتباع النساء للجنائز جائز ولا كراهة فيه ولا

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٧٨، ومسلم ٩٣٨/٣٥ ولفظهما سواء.

(٢) رياض الصالحين ٣٦٥.

يمنعن من ذلك، وأن الآثار التي أفادت كراهة اتباع النساء للجنائز ليس منها شيء يصح لأنها إما مرسلة، وإما عن مجهول وإما عمن لا يحتج به[١].

القول الثاني: ذهب جمهور الفقهاء إلى كراهة اتباع النساء للجنائز وتحمل الكراهة على الكراهة التنزيهية، وليس المقصود من النهي التحريم، لأن النبي ﷺ وإن كان قد نهى نهيًا شديدًا إلا أنه غير محتم[٢].

وحكى الشوكاني عن القرطبي أنه قال: (إذا أمن تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك فلا مانع من الإذن لهن، ثم قال الشوكاني: هذا الكلام هو الذي ينبغي اعتماده في الجمع بين الأحاديث المتعارضة)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: النساء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: نهي النساء عن اتباع الجنائز.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

هذا واضح من قول أم عطية الأنصارية رضي الله عنها: (نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا)، "والنهي في اللغة: هو المنع وفي اصطلاح الأصوليين: هو اللفظ الذي يدل على طلب الكف عن الفعل على سبيل الاستعلاء. ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾[٥]، فقد طلب الله

---

(١) المحلى، ابن حزم ٢٨٧/٢.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٣٧/٥، ٢٣٨، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٦٩/١، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢/٧، وفتح الباري، ابن حجر ٢٣٧/١٢، ٢٣٨، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٥٤/٢، والكافي ٣٦٨/١، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٣٦٨/١.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٩٥/٤.

(٤) سورة البقرة، آية: ١١.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

تعالى الكف عن الفساد في الأرض وعن قرب الزنى، وهذا الطلب وقع على سبيل الاستعلاء، أي: أنه صدر من الله الأعلى إلى الإنسان الأدنى المأمور والمطيع والعابد"[١].

وقال عبدالله البسام: "يدل الحديث على النهي عن اتباع النساء الجنائز لما عندهن من الضعف والرقة، وعدم التحمل للمصائب، فيخرج منهن أقوال وأفعال محرمة تنافي الصبر الواجب"[٢].

ثانيًا- من أصناف المدعوين: النساء:

هذا واضح من الحديث. قال عبدالله البسام: "الأصل أن الأحكام الشرعية عامة بين الرجال والنساء، ولكنه توجد أحكام كثيرة تخص أحد الجنسين دون الآخر، فالتفريق بين الرجال وبين النساء في بعض الأحكام له أصل في الشرع، وهذا يدل على الحكم السامية في التشريع الإسلامي، ويشرع لكل جنس ما يناسبه من الأحكام وينزل كل أحد بما يليق به"[٣].

"وقد اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٤]، وتاريخ الإسلام حافل بدور المرأة وجهدها وجهادها، ويكفي أن نقول: إن أول مخلوق آمن بمحمد ﷺ هو امرأة: خديجة رضي الله عنها. وإن أول من قدم ماله هو امرأة: خديجة رضي الله عنها. وإن أول من استشهد هو امرأة: سمية رضي الله عنها، وإن أسماء رضي الله عنها كانت صاحبة النطاقين، وإن المرأة هي أم الشهداء: الخنساء رضي الله عنها، وإن أم عُمارة رضي الله عنها قد جاهدت بالسيف في سبيل الله تعالى. وإزاء هذا كله فإن المرأة تحظى بدور كبير واحترام عال في شريعة الإسلام، سواء أكانت بنتًا أم زوجة أم أمًا. فهي وإن كانت غير رجل، إلا أنها أم الرجال وأخت الرجال وخالة الرجال وعمة

---

(١) تعليم علم الأصول، د. نور الدين مختار الخادمي، ط/١ مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٣٧/٢.

(٣) المرجع السابق ٥٣٧/٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

الرجال، إنها مربية الرجال، وما دام الأمر كذلك فلا بد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا تجاه النساء، فهن نصف المجتمع وهن راعيات الأطفال، وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم. وبالتالي فإن العناية بالمرأة هي عناية بالدعوة نفسها"[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: نهي النساء عن اتباع الجنائز:

هذا واضح من الحديث، وقد بوّب البخاري في صحيحه على هذا الحديث، باب: اتباع النساء الجنائز"[٢].

قال ابن حجر: "قوله: باب: اتباع النساء الجنائز، قال الزين بن المنير: فصل المصنف [أي البخاري] بين هذه الترجمة، وبين فضل اتباع الجنائز بتراجم كثيرة، تشعر بالتفرقة بين النساء والرجال، وأن الفضل الثابت في ذلك يختص بالرجال دون النساء، لأن النهي يقتضي التحريم أو الكراهة، والفضل يدل على الاستحباب، ولا يجتمعان، وأطلق الحكم هنا لما يتطرق إليه من الاحتمال، ومن ثم اختلف العلماء في ذلك، ولا يخفى أن محلّ النزاع إنما هو حيث تؤمن المفسدة"[٣].

ثم قال ابن حجر: "قولها: (لم يعزم علينا)، أي ولم يؤكد علينا في المنع كما أكد علينا في غيره من المنهيات، فكأنها قالت: كره لنا اتباع الجنائز من غير تحريم. وقال القرطبي[٤]: ظاهر سياق أم عطية أن النهي نهي تنزيه، وبه قال جمهور أهل العلم. ومال مالك إلى الجواز وهو قول أهل المدينة"[٥].

وبيّن ابن عثيمين المفاسد الناشئة عن اتباع المرأة الجنازة، ويذهب إلى أن الصحيح هو أن اتباع المرأة للجنازة حرام، فيقول: "لأنها إذا تبعتها فهي لا شك ضعيفة [أي ضعيفة

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٣.

(٢) الباب رقم ٢٩ من كتاب: الجنائز وهو برقم ٢٣، والحديث برقم ١٢٧٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٤٥/٣.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٩١/٢ - ٥٩٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١٤٥/٣.

الثبات] فربما تصيح وتولول وتضرب الخد، وتنتف الشعر وتمزق الثوب، لا تصبر المرأة. وأيضًا ربما يحصل اختلاط بين الرجال والنساء في تشييع الجنازة، فيحصل بذلك فتنة وتزول الحكمة من اتباع الجنائز، بحيث يكون الرجال أو الأراذل من الرجال يكون ليس لهم همّ إلا ملاحقة هؤلاء النساء أو التمتع بالنظر إليهن؛ فالواجب منع النساء من اتباع الجنائز فهو حرام ولا يجوز"[١].

وقال عبدالله البسام: "النهي ظاهره التحريم، وأما قول أم عطية رضي الله عنها: ((وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا))، فهو رأي لها، ظنت أنه ليس نهي تحريم، والحجة قول الشارع، كما يدل على أن النهي للتحريم ما أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان أن النبي ﷺ لعن زائرات القبور[٢]، وهو حديث صحيح بشواهده، فمتبع الجنازة سيزور القبور، واتباع الجنازة في معنى الزيارة، ولهذا فالأحوط أن النهي في الحديث هو للتحريم)[٣]، لكن الشوكاني قال: "قال القرطبي: اللعن المذكور في الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة من المبالغة، ولعل السبب ما يقتضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج، وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك، وقد يقال: إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لهن، لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجل والنساء. انتهى، وهذا الكلام هو الذي ينبغي اعتماده في الجمع بين الأحاديث المتعارضة في الظاهر"[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٩٦/٢.

(٢) أخرجه أحمد ٣٣٧/٢ رقم ٨٤٤٩، والترمذي ١٠٥٦، وابن ماجه ١٥٧٦، وابن حبان ٣١٧٨، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي بعضها: (لعن زوارات القبور)، وله شواهد منها: حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقد أخرجه أحمد ٢٨٧/١ رقم ٦٠٣، وانظر فيه: تمام تخريجه وشواهده ٣٦٣/٤. والحديث حسنه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٨١.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٣٨/٢.

(٤) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٧٤٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالترغيب:

ورد استخدام أسلوب الترغيب في أحاديث الباب حيث رغب النبي ﷺ في اتباع الجنائز وتشييعها بالثواب العظيم، فقال ﷺ: «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ» قِيلَ: وَمَا الْقِيرَطَانِ؟ قَالَ: «مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ».

لذا ينبغي على المربين ألا يهملوا جانب الترغيب في التربية لما له من أهمية بالغة في العملية التعليمية والتربوية، وتأتي أهمية هذا الأسلوب التربوي نظراً لموافقته "ما فُطِرَ عليه الإنسان من الرغبة في اللذة والنعيم والرفاهية وحسن البقاء، والرهبة من الألم والشقاء وسوء المصير"[١].

لكن على المربي أن يكون حكيماً في استخدامه لأسلوب الترغيب وكذا الترهيب، فالمربي "طبيب بارع وصيدلي ذكي يقطف من الأساليب والوسائل ما يشفى به النفوس ويطب به القلوب، وهو كذلك مرشد خبير ودليل ناصح أمين، يضيء بمصابيح القرآن وقناديل السنة دروب السالكين وسبل القاصدين".

كما أن الترغيب ليس هو من أحلام اليقظة ولا من الوعود المعسولة، وإنما هو تنشيط للهمم، وتشجيع للطاقات وشحذ للعزائم، فهو كالجائزة للمتسابقين في مضمار الإحسان والإنتاج والاجتهاد، وهذا هو طريق المتقين وأسلوب الدعاة العاملين الفاقهين، وصدق الله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[٢][٣].

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٣٠.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٣) انظر: الدعوة إلى الله، "الرسالة، الوسيلة، الهدف"، د. توفيق الواعي ص ٢٠٢- ٢١٤.

ثانياً- التربية بالأمثال:

إن من سمات المعلم الحاذق والمربي الأريب أن يكون تعليمه واستخدامه لأساليب التربية من ترغيب وترهيب وغيرهما "مصحوباً بتصور فني رائع بأسلوب واضح، وأن يحسن استخدامه للصور والمعاني في عرضه لعقاب الله وثوابه ليقربها إلى أفهام الناشئين"[١]. ومن شواهد ذلك في أحاديث الباب تقريبه ﷺ لثواب تشييع الجنائز وتشبيهه في حجمه وثقله كحجم الجبل العظيم كما جاء في صريح قوله ﷺ: «مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ» وقوله: «كلُّ قِيراطٍ مِثْلُ أُحُدٍ».

فنجد في أحاديث الباب أحد أهداف التربية بالأمثال وهو تقريب المعنى إلى الأفهام وزيادة الإيضاح بتجسيد الشيء المعنوي في صورة حسية ليكون قريباً للفهم، حيث قرب لنا ﷺ حجم ثواب تشييع الجنازة بحجم الجبل العظيم.

إن التربية بالأمثال تؤثر في النفس تأثيراً واضحاً بذكر المثل الواضح الذي يشجع على العمل أو ينفر منه[٢]، وذلك له أكبر الأثر وأقوى الدوافع إلى تعديل السلوك، وكذلك الحماسة إلى الأمر المرغوب فيه[٣].

ثالثاً- التربية على إخلاص النية:

إن أهم الأسس التي تقوم عليها التربية الإسلامية: إخلاص النية لله تعالى، والإتيان بالعمل "بدافع الإيمان والإخلاص لله تعالى لا رغبة في التظاهر أو مناً على الناس أو رداً للجميل"[٤]. وقد جاء في أحد أحاديث الباب بيان أن استحقاق الثواب على العمل -كتشييع الجنائز -متوقف على صحة النية وصدق التوجه- فقال ﷺ: «مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِم، إِيماناً واحْتِساباً، وَكانَ مَعَهُ حتى يُصَلَّى عليها...».

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأصولها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٣٢.

(٢) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد ص ٢٠٦- ٢٠٩.

(٣) انظر: التربية بضرب الأمثال، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ١٢٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ١٥٠.

رابعًا- التربية الاجتماعية:

تضمن الحديثان الأولان من أحاديث الباب جانبًا من جوانب التربية الاجتماعية، وذلك من خلال تقوية جانب حرص المسلمين على تأدية حق من حقوق الأخوة في الإسلام: الصلاة على الميت وتشييعه وحضور دفنه، وذلك عن طريق الترغيب في تأدية هذا الحق أو هذه الحقوق.

إن زرع الإخلاص وغرس المراقبة في النفوس وتصحيح العقيدة أساس لا غنى عنه في التربية الإسلامية، "فإذا كانت التربية تعني إكساب سلوك أو أخلاق أو قدرة على عمل معين لدى الإنسان، فلكي تنجح هذه المسألة وتتم بكفاءة أكثر، لابد من العقيدة الصحيحة التي نربى على أساسها النفوس للصلة الشديدة والارتباط الوثيق بين العقيدة وبين السلوك والأخلاق.

إن التربية الصحيحة وإكساب الأخلاق، لا يمكن أن يتم بمجرد التلقين الصوري، وإنما تؤتي هذه العملية ثمارها حين تستند إلى عقيدة سليمة وتوجهٍ صحيح"[(١)].

إن أهم ما ينبغي غرسه في نفوس المتربين الإخلاص لله تبارك وتعالى، فإن النية والإخلاص فيها يجعل العمل الصغير عظيماً، كما أنه قد يجعل ثواب العمل الكبير صغيراً أو معدوماً، لذا يجب على المسلم الحق أن يراعي صفاء النية لينال فضيلة الإخلاص، إذا أن نية الرياء تُصَيِّر الطاعات معاصي لأنها لم يبتغ بها وجه الله عز وجل[(٢)].



(١) انظر: محاضرات ودراسات في أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب ص ١٢٧- ١٣٩.

(٢) انظر: الأخلاق في الإسلام، د. عبداللطيف محمد العبد ص ٣٢.

١٥٦- باب استحباب تكثير المصلين عَلَى الجنازة وجعل صفوفهم ثلاثة فأكثر

الحديث رقم (٩٣٣)

٩٣٣- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَا مِنْ مَيتٍ يُصَلّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِئَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ، إلاَّ شُفِّعُوا فِيهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم(٢).

غريب الألفاظ:

أمة: جماعة[2].

يشفعون له: الشفاعة: السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم وتكون فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة[3]. والمعنى: يدعون الله بأن يغفر له.

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ باستغراق الجنس بالإضافة وقوع النكرة (ميت) في سياق النفي والتي حققت العموم، وقوله (أمة) تشير إلى الاجتماع، وقوله (من المسلمين)، لأن شفاعة غيرهم لا تصلح في هذا الموضع، وذكر العدد يؤكد معنى الاجتماع المفهوم من لفظ أمة، ولفظ كل المضاف للضمير (هم) يؤكد المعنى، وينفي وهم المبالغة في الشفاعة، والحديث قائم على أسلوب القصر لمعنى صلاة العدد المذكور من المسلمين، وشفاعتهم له على تحقق الشفاعة مما يرغب في تكثير المصلين على الجنازة.

---

(١) برقم ٩٤٧/٥٨. أورده المنذري في ترغيبه (٥١٤٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ م م).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥٩.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى الأحكام الآتية:

أولاً: حكم الجماعة في صلاة الجنازة: تجوز صلاة الجنازة فرادى بلا خلاف ولكن السنة أن تصلى جماعة وذلك لإجماع المسلمين على ذلك[١].

ثانيًا: حكم تجزيئ الصفوف إلى ثلاثة فصاعدًا: يستحب أن تكون صفوف المصلين ثلاثة فصاعدًا[٢].

ثالثًا: أقل العدد الذي تصح به صلاة الجنازة: قيل بأن أقل عدد تصح به صلاة الجنازة ثلاثة لأن أقل الجمع ثلاثة. وقيل يكفي واحد لأنها صلاة ليس من شرطها الجماعة، فلم يكن من شرطها العدد كسائر الصلوات[٣].

رابعًا: حكم صلاة الجنازة في المسجد: مذهب الحنفية أنه تكره الصلاة على الجنازة في المسجد، وقال ابن عابدين إذا كانت عادة أهل البلاد ذلك لتعذر المكان فينبغي الإفتاء بالقول بكراهة التنزيه الذي هو خلاف الأولى. وقال مالك: أكره أن توضع الجنازة في المسجد. وقال الشافعية: تندب الصلاة على الميت إذا أمن تلويثه أما إذا خيف تلويث المسجد فلا يجوز إدخاله. وقال الحنابلة: تباح الصلاة على الجنازة في المسجد مع أمن تلويثه، فإن لم يؤمن لم يجز)[٤].

خامسًا: حكم صلاة النساء: وأما النساء فإن كن مع الرجال صلّين مقتديات بإمام الرجال، وإن تمحضن استحب أن يصلين منفردات كل واحدة وحدها فإن صلّت بهنّ إحداهن جاز.

وذهب جماعة من السلف منهم الحسن بن صالح وسفيان الثوري وأحمد وأصحاب

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٧٢/٥، وحاشية البجيرمي على شرح الخطيب ٢٧٧/٢، والبحر الزخار ١١٥/٣.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٧٢/٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٠/٢.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٣٢/٥.

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ومصادرها ٣٦/١٦.

أبي حنيفة إلى أنه تسن لهن الجماعة، وقال الإمام مالك يصلين فرادى[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: استحباب تكثير المصلين على الجنازة.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: سوق الخير للمدعوين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على فعل ما أرشدهم إليه النبي ﷺ.

أولاً- من موضوعات الدعوة: استحباب تكثير المصلين على الجنازة:

هذا واضح من الأحاديث الثلاثة، ولعل ما يوضح الأمر أكثر أن حديث ابن عباس فيه قصة، وهي عن كريب مولى ابن عباس عن عبدالله بن عباس: ((أَنَّهُ مَاتَ ابْنٌ لَهُ بِقُدَيْدٍ أَوْ بِعُسْفَانَ. فَقَالَ: يَا كُرَيْبُ! انْظُرْ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ النَّاسِ. قَالَ: فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَاسٌ قَدِ اجْتَمَعُوا لَهُ. فَأَخْبَرْتُهُ. فَقَالَ: تَقُولُ هُمْ أَرْبَعُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَخْرِجُوهُ. فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لاَ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ شَفَّعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ))[٣]. قال ابن هبيرة: (هذا الحديث يدل على أن المصلين على الميت شفعاء فيه، وأنهم كلما كثروا كان أفضل عند الله عز وجل)[٤].

قال الشوكاني: ("قوله يبلغون مائة"[٥]: فيه استحباب تكثير جماعة الجنازة ويطلب بلوغهم إلى هذا العدد والذي يكون من موجبات الفوز، وقدر ذلك بأمرين: الأول: أن يكونوا شافعين فيه، أي مخلصين له الدعاء. الثاني: أن يكونوا مسلمين ليس فيهم من يشرك بالله شيئًا كما في حديث ابن عباس)[٦].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٧١/٥.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٢٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٣٤، ٩٣٥).

(٣) أخرجه مسلم ٩٤٨.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٣٠/٣.

(٥) وذلك في حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٧١٣.

وقال ابن عثيمين: (وكلها [أي هذه الأحاديث] تدل على أنه كلما كثر الجمع على الميت كان ذلك أفضل وأرجى للشفاعة، ففي حديث عائشة أنه من صلّى عليه طائفة من الناس يبلغون مائة يشفعون له إلا شفعهم الله فيه، ومعلوم أن المصلين على الجنازة يشفعون إلى الله عز وجل لهذا الميت، فهم يسألون من الله له المغفرة والرحمة، والدعاء للميت في الجنازة من أوجب ما يكون في الصلاة، بل هو ركن من أركان الصلاة لا تصح صلاة الجنازة إلا به، إلا المسبوق، وحديث ابن عباس يدل على أنه من قام على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه - أي قَبِل شفاعتهم فيه - وهذه بشرى للمؤمن، إذا كثر المصلون على جنازته فشفعوا له عند الله أن الله تعالى يشفعهم فيه.

أما حديث مالك بن هبيرة ففيه أن الرسول ﷺ قال: من صلّى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب، يعني وجبت له الجنة، وهذه الأحاديث كلها تدل على أنه كلما كثر الجمع كان أفضل، ولهذا نجد أن بعض الناس إذا صلى على جنازة في مسجد نبه أهل المساجد الأخرى ليحضروا إليه، حتى يكثر الجمع، فينبغي للإمام إذا رأى الناس جاءوا ليشهدوا صلاة الجنازة قد فاتهم شيء من صلاة الفريضة ألا يتعجل بالصلاة على الميت، حتى ينتهي الذين يقضون صلاتهم ليشاركوا الحاضرين في الصلاة على الميت، فيكون ذلك أكثر للجمع، وربما تكون دعوة واحد منهم هي المستجابة، وكون بعض الناس بعد ما يسلم يقوم ويصلي على الجنازة وخلفه صف أو أكثر فهذا - وإن كان جائزًا- لكن الأفضل أن ينتظر حتى يتم الناس صلاتهم ويصلون على الجنازة وهذا لا يفوت شيئًا كثيرًا، غاية ما هنالك عشر دقائق على الأكثر)[1].

ثانيًا - من أهداف الدعوة: سوق الخير للمدعوين:

هذا واضحٌ من هذه الأحاديث التي بينت فضل الله على عبده الميت في قبوله دعاء المصلين[2]. قال الطيبي: (قال التوربشتي: لا تضاد بين حديث كريب وحديث عائشة،

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١١٩٧-١١٩٨.

(٢) أي المصلين عليه صلاة الجنازة التي من مقصودها الدعاء له.

لأن السبيل في أمثال هذا المقام أن يكون الأقل من العددين متأخرًا، لأن الله تعالى إذا وعد المغفرة في المعنى الواحد مرتين، وإحداهما أيسر من الأخرى، لم يكن من سنته أن ينقص من الفضل الموعود بعد ذلك، بل يزيد عليه فضلاً منه وتكرمًا على عباده. أقول [أي الطيبي]: هذا كلام حسن، لأن الحديث الثاني [أي حديث عائشة في تحديد العدد بمائة] فيه مبالغة وتشديد ليس في الأول، وذلك أنه ﷺ جعل قوله: "يصلى عليه أمة من المسلمين" توطئة لقوله "يبلغون مائة" ثم أكد بقوله كلهم يشفعون له"[1].

قال المباركفوري: (في قوله ﷺ "من صلّى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب" فمعنى أوجب أي: أوجب الله عليه الجنة، أو أوجب مغفرته وعدًا منه وفضلاً)[2].

قال النووي: (يحتمل أن يكون النبي ﷺ أُخبر بقبول شفاعة مائة فأُخبر به، ثم بقبول شفاعة أربعين، ثم ثلاثة صفوف، وإن قل عددهم. فأخبر به. ويحتمل أن يقال: هذامفهوم عدد ولا يحتج به جماهير الأصوليين، فلا يلزم من الإخبار عن قبول شفاعة مائة منع قبول ما دون ذلك، وكذا في الأربعين مع ثلاثة صفوف، وحيئنذ كل الأحاديث معمول بها، ويحصل الشفاعة بأقل الأمرين: من ثلاثة صفوف وأربعين)[3].

وقال أبو العباس القرطبي: (قيل: سبب هذا الاختلاف اختلاف السؤال، وذلك أنه سئل مرّة عمن صلّى عليه مائة واستشفعوا له فقال: "شفعوا"، وسئل مرة أخرى عمن صلّى عليه أربعون فأجاب بذلك، ولو سئل عن أقل من ذلك لقال ذلك. والله أعلم. إذ قد يستجاب دعاء الواحد ويقبل استشفاعه)[4].

وقال ابن تيمية: (قد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب، فذكرها وذكر منها: (السبب الرابع -الدافع للعقاب-: دعاء

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٦٨/٣.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٩٢/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠/٩/٤.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦٠٥/٢.

المؤمنين للمؤمن، مثل صلاتهم على جنازته، فعن عائشة وأنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مَائَةً. كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ. إلاَّ شُفِّعُوا فِيهِ))[١] وعن ابن عباس قال: ((مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لاَ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إلاَّ شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ))[٢] رواهما مسلم، وهذا دعاء له بعد الموت، فلا يجوز أن تحمل المغفرة على المؤمن النقي الذي اجتنب الكبائر وكفرت عنه الصغائر، وحده، فإن ذلك مغفور له عند المتنازعين [أي عند أهل الاختلاف من أهل العلم] فعلم أن هذا الدعاء من أسباب المغفرة للميت.

السبب الخامس: ما يعمل للميت من أعمال البر كالصدقة ونحوها، فإن هذا ينتفع به بنصوص السنة الصحيحة الصريحة واتفاق الأئمة، وكذلك العتق والحج بل قد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: ((مَن ماتَ وعليهِ صِيامٌ صامَ عنهُ وليُّه))[٣].

وثبت مثل ذلك في الصحيح من صوم النذر من وجوه أخرى[٤]. ولا يجوز أن يعارض هذا بقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[٥] لوجهين:

أحدهما: أنه قد ثبت بالنصوص المتواترة وإجماع سلف الأمة أن المؤمن ينتفع بما ليس من سعيه، كدعاء الملائكة واستغفارهم له، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٦] الآية ودعاء النبيين والمؤمنين واستغفارهم كما في قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[٧] وقوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ

---

(١) أخرجه مسلم ٩٤٧.

(٢) أخرجه مسلم ٩٤٨.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٥٢، ومسلم ١١٤٧.

(٤) أخرجه مسلم ١٥٦-١١٤٨.

(٥) سورة النجم، آية: ٣٩.

(٦) سورة غافر، آية: ٧.

(٧) سورة التوبة: آية: ١٠٣.

قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾[١] وقوله عز وجل ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٢] وكدعاء المصلين للميت، ولمن زاروا قبره من المؤمنين.

الثاني: أن الآية ليست في ظاهرها: أنه ليس له إلا سعيه، وهذا حق. فإنه لا يملك ولا يستحق إلا سعي نفسه، وأما سعي غيره فلا يملكه ولا يستحقه، لكن هذا لا يمنع أن ينفعه الله ويرحمه به، كما أنه دائمًا يرحم عباده بأسباب خارجة عن مقدورهم، وهو سبحانه بحكمته ورحمته يرحم العباد بأسباب يفعلها العباد، ليثيب أولئك على تلك الأسباب، فيرحم الجميع كما في الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال: ((مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِدَعْوَةٍ إِلاَّ وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا، كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ قَالَ المَلكُ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ))[٣] وكما ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: ((مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ وَلَمْ يَتْبَعْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ. فَإِنْ تَبِعَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ أَصْغَرُهُمَا مِثْلُ أُحُدٍ))[٤] فهو قد يرحم المصلي على الميت بدعائه له، ويرحم الميت -أيضًا- بدعاء هذا الحي له.

السبب العاشر: رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد)[٥].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح في الأحاديث الثلاثة: ففي حديث عائشة وحديث ابن عباس رضي الله عنهم رغب ﷺ في تكثير المصلين في الصلاة على الميت، بأن أخبر أن الله يقبل دعاءهم له بالمغفرة والرحمة. كما أخبر ﷺ (أن من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب أي أوجب الله عليه الجنة أو أوجب مغفرته وعدًا منه وفضلاً)[٦]. ولا شك أن هذا ترغيب للمدعوين وحث لهم أن يفعلوا ما أخبر به النبي ﷺ، وخاصة في وقت يكون فيه الميت أحوج ما

(١) سورة التوبة، آية: ٩٩.

(٢) سورة محمد، آية: ١٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٣٢.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٢٥، ومسلم واللفظ له ٩٤٥.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤/٢٩٩-٣٠٨، ٧/٤٨٦-٥٠٠.

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/١٠٩٢.

يكون إلى دعاء إخوانه المسلمين وشفاعتهم له عند ربه عز وجل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على فعل ما أرشدهم إليه النبي ﷺ

هذا واضح من قول ابن عباس رضي الله عنهما لمولاه كريب لما مات ابن له: انظر ما اجتمع له من الناس، قال كريب: فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له، فأخبرته فقال: تقول هم أربعون؟ قال: نعم قال: أخرجوه فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً، لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه".

كما يتضح ذلك أيضًا من فعل مالك بن هبيرة رضي الله عنه لما صلّى على جنازة فتقالّ الناس عليها، فجزأهم عليها ثلاثة أجزاء ثم قال: قال رسول الله ﷺ: "من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب".

ومن هذا القبيل ما رواه حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: ((سألتُ رسولَ اللّهِ ﷺ فأعطاني، ثمَّ سألتهُ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثمَّ قال: يا حكيمُ، إنَّ هذا المالَ خَضِرةٌ حُلْوةٌ، فمن أخذَهُ بَسخاوةِ نفسٍ بوركَ له فيه، ومن أخذَهُ بإشرافِ نفسٍ لم يُبارَك له فيه، وكان كالذي يأكلُ ولا يشبَعُ. اليدُ العُليا خيرٌ منَ اليدِ السُّفلى. قال حكيمٌ: فقلتُ: يا رسولَ اللّهِ، والذي بَعثكَ بالحقِّ لا أرزأُ أحدًا[1] بعدَكَ شيئًا حتى أُفارِقَ الدنيا. فكان أبو بكرٍ رضي الله عنه يَدعو حكيمًا إلى العطاءِ فيأبى أن يَقبلَه منه. ثمَّ إن عمرَ رضي الله عنه دعاهُ ليعطِيَهُ فأبى أن يَقبلَ منهُ شيئا، فقال عمرُ: إني أُشهِدُكم يا معشرَ المسلمينَ على حكيمٍ أني أعرِضُ عليهِ حقَّهُ من هذا الفَيْءِ فيأبى أن يأخُذَه، فلم يَرْزَأْ حكيمٌ أحدًا منَ الناسِ بعدَ رَسولِ اللّهِ ﷺ حتى تُوُفِّي))[2].

وإنما حرص الصحابة على فعل ما أرشدهم النبي ﷺ لأنه ﷺ رسول رب العالمين، المبلغ عنه عز وجل، فكان ﷺ لا يأمر إلا بما فيه خير وصلاح، ولا ينهى إلا عما فيه شر وفساد. وفي هذا يقول الشافعي: (لم تُمْسِ بنا نعمةٌ ظهرت ولا بطنت، نلنا بها حظًا في دين ودنيا، أو دفع بها عنا مكروه فيهما وفي واحد منهما إلا ومحمد ﷺ

(١) أي لا أنقص ماله بالطلب منه، فتح الباري، ابن حجر ٣٣٦/٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٧٢، ومسلم ١٠٣٥.

سببها القائد إلى خيرها، والهادي إلى رشدها، الذائد عن الهلكة وموارد السوء في خلاف الرشد، المنبه للأسباب التي تورد الهلكة، القائم بالنصيحة في الإرشاد والإنذار فيها)[1].

(١) الرسالة ٤٥.

الحديث رقم (٩٣٤)

٩٣٤- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقول: ((مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أرْبَعُونَ رَجُلاً لاَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إلاَّ شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

شَفَّعَهُمُ: قبل شفاعتهم واستغفارهم له، وغفر له[2].

الشرح الأدبي

أسلوب التعميم للكلام يعطي الحكم صلاحية عبر الزمان، والمكان، وله طرق متعددة منها وقوع النكرة في سياق النفي كما ورد في هذا الحديث، فالحكم يشمل كل ميت من المسلمين يصلي عليه أربعون موحداً، وتخصيص المسلم لنفي الحكم عن غيره والتعبير بالقيام يفيد العناية، والاهتمام بأمر الصلاة عليه، والدعاء له، وقوله (رَجُلاً) لن النساء لا يحضرون الجنائز، وقوله: (لاَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيئاً) تكميل بلاغي أفاد الإشارة إلى تمام الإخلاص، وأكدته النكرة التي أفادت التعميم فنفت قليل الشرك، وكثيره، وقوله: (إلاَّ شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ) بقية جملة القصر التي شملت الحديث كله، وقد قصرت صفة قيام الأربعين مسلماً على ما وصفوا على الشفاعة لا يتعدونها إلى الحرمان، وفي الحديث استحباب تكثير المصلين على الجنازة، ويطلب بلوغهم إلى هذا العدد الذي يكون من موجبات الفوز، وقد قيد ذلك بأمرين الأول أن يكونوا شافعين فيه أي مخلصين له الدعاء سائلين له المغفرة الثاني أن يكونوا مسلمين ليس فيهم من يشرك بالله شيئا.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم ٩٤٨/٥٩ ، وتقدم برقم ٤٣٠. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٤٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٣٥)

٩٣٥ – وعن مرثد بن عبد الله اليَزَنِيِّ، قَالَ: كَانَ مَالِكُ بن هُبَيْرَة رضي الله عنه إذَا صَلَّى عَلَى الجِنَازَةِ[1]، فَتَقَالَّ النَّاس عَلَيْهَا، جَزَّأَهُمْ عَلَيْهَا[2] ثَلاَثَةَ أجْزَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ثَلاَثَةُ صُفُوفٍ فَقَدْ أَوْجَبَ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[3]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

مالك بن هُبَيْرَة: وهو مالك بن هُبَيْرة بن خالد بن مسلم، السكوني الكندي، وكان يكنى بأبي سعيد، له صحبة، ولم يرو إلا حديثًا واحدًا في الصف على الجنازة، وهو موجود في سنن أبي داود، وابن ماجه، والترمذي، ومستدرك الحاكم، وهو معدود في الشاميين من أهل حمص، وقيل هو معدود فيمن نزل مصر من أصحاب رسول الله ﷺ، أما عن جهاده فيقال: كان فيمن شهد فتح مصر من الصحابة، وكان أميرًا على الجيوش لمعاوية في غزو الروم، وكان قد شهد مع مروان بن الحكم المرج – مرج راهط- سنة (٦٥)، وكان على الرَّجّالة.

ولاه معاوية على حمص سنة (٥٦) ثم عزله في شهر المحرم سنة (٥٧)، وكانت له دار عند الباب الشرقي بدمشق.

ومات رضي الله عنه زمن مروان بن الحكم بقرية تسمى بيت رأس – قرية بنواحي الأردن، وأخرى من نواحي حلب-[4].

---

(١) لفظ الترمذي: (جنازة) بدون أل التعريف.

(٢) (عليها) لا توجد عند الترمذيّ.

(٣) أخرجه أبو داود ٣١٦٦، والترمذي واللفظ له ١٠٢٨. وقال الحاكم ٣٦٣/١: هذا حديث صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه. قال الحافظ ابن حجر في الإتحاف ١١٦/١٣: وأشار الترمذي إلى انقطاعه، وأنّ بعضهم أدخل بين مرثد ومالك رجلاً.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٦٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٩/٥، ٥٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ١١٦٩، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٢٣/٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٦/٤، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٧١٠/٣.

غريب الألفاظ:

تقالَّ: من القلة: إذا رأى الشيء قليلاً[١].

أوجب: وجبت له الجنة[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يحمل جانباً عملياً يتمثل في تطبيق عملي من الصحابي لتوجيه النبي ﷺ مما يدل على حرص الصحابة -رضوان الله عليهم- امتثال أمره، ، وقوله (جَزَّأَهُمْ عَلَيْهَا ثَلاَثَةَ أجْزَاءٍ) فيه جناس يؤكد المعنى، ويقويه، وقول الرسول ﷺ (مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ثَلاَثَةُ صُفُوفٍ فَقَدْ أوْجَبَ) التعريف بالموصول يشير إلى أنه جدير بما يوصف به من جملة الصلة، والفعل الماضي يدل على التحقق، وقوله (ثلاثة صفوف) فيه إيجاز بالحذف أي من المسلمين ثلاثة صفوف، وقوله: (فقد أوجب) معناه وجبت له الجنة أو وجبت له المغفرة.

المضامين الدعوية[٣]

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ل ل).

(٢) المرجع السابق في (و ج ب).

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٣٥- مع المضامين الدعوية للحديث (٩٣٣، ٩٣٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على تصحيح العقيدة والابتعاد عما يناقضها:

اهتمت التربية الإسلامية بالعقيدة اهتماماً كبيراً، وركزت على أهمية تصحيحها لما لذلك من آثار عظيمة في حياة الأفراد والمجتمعات، ولذا جاءت التربية النبوية لتؤكد على أهمية تصحيح العقيدة، وتبين أن مناط القبول عند الله يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة الصحيحة.

ففي حديث ابن عباس اشترط النبي ﷺ لقبول شفاعة مصلي الجنازة في الميت صحة العقيدة والابتعاد عن الإشراك بالله تعالى فقال ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَىٰ جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لاَ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئاً إلاَّ شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ».

وهذا ليس قاصراً على الجنازة فحسب بل إنه يسري على جميع الأعمال، فلا قيمة لعمل لا يعتمد على أساسٍ من العقيدة، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾(١).

لذا ينبغي على المربين تعميقُ العقيدة وتصحيحُها وترسيخُها في قلوب المتعلمين خاصة الناشئة منهم، والتحذير من عمل من شأنه أن يؤثر على العقيدة أو يفسدها.

إن الإنسان يولد مفطوراً على الإيمان لكن تأثير البيئة والثقافة ونحوهما قد يؤثر على الفطرة، لذا يجب أن يعمل القائمون على التربية والتوجيه على التحذير من الأمور التي من شأنها أن تؤثر على سلامة العقيدة من الأفكار الهدامة والعقائد الباطلة، ويكون ذلك من خلال عدد من الأمور من أبرزها ما يلي:

أ- التحذير من عبادة غير الله وتوضيح أن العبادة لا تكون إلا لله وحده فهو سبحانه المستحق للعبودية.

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

ب- التحذير من التقليد الأعمى.

ج- التحذير من السخرية من الدين وشعائره.

د- التحذير من تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله.

هـ- التحذير من الإلحاد، وجحود الشرائع السماوية التي جاء بها الرسل[1].

لذا ينبغي على المسلم أن يحذر من كل ما من شأنه أن يؤثر على عقيدته أو يشوب صفاءها، لأنه إذا صلحت العقيدة صلحت الأعمال وإذا فسدت العقيدة خاب صاحبها وخسر، فلا ينتفع بعمل ولا تقبل منه شفاعة، ولا يؤخذ منه عدل، فلا ينتفع هو بعمله، ومن ثَمَّ من باب أولى لا ينتفع الآخرون منه بعمل.

ثانياً- التربية بالقدوة والممارسة العملية:

إن التربية الإسلامية تعوّل بشكل أساسي على القدوة والممارسة العملية لما لها من تأثير مباشر على النفوس، وقد ركز النبي ﷺ على التربية بالقدوة فيما قام به من تطبيقات عملية لأقواله، مما أثر تأثيراً قوياً ومباشراً في نفوس أصحابه رضي الله عنهم، وبالتالي كانوا هم قدوة لغيرهم، لأن التربية بالقدوة ممتدة الأثر لأنها تعتمد على المصداقية والتطابق بين القول والعمل، ومن الشواهد في أحاديث الباب على التربية بالقدوة ما ورد عن مَرْثَدِ بن عَبْدِ الله اليَزَنِيِّ، قالَ: كانَ مَالِكُ بنُ هُبَيْرَةَ رضي الله عنه إذَا صَلّى على جَنَازَةٍ فَتَقَالَّ النَّاسَ عَلَيْهَا جَزَّأَهُم ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ ثُمَّ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلّى عَلَيْهِ ثَلاثَةُ صُفُوفٍ فقد أَوْجَبَ»، فمالك بن هبيرة رضي الله عنه في الحديث لم يكتف بنقل حديث رسول الله ﷺ إلى الناس وإنما شفع ذلك بالممارسة العملية لهذا الإرشاد، مما يرسخ عملية التربية في النفوس من خلال التطبيق العملي.

إن أسلوب القدوة منهج تربوي إسلامي أصيل درج عليه المربون على مر الأجيال والعصور.

فالرسول ﷺ هو القدوة والأسوة، قال سبحانه وتعالى في حقه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

---

(١) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد ص ٢٠٦- ٢٠٩.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

وقد اقتدى الصحابة رضي الله عنهم برسول الله ﷺ في كافة الأمور وفي سائر الأحوال.

واقتدى التابعون بالصحابة، ساروا سيرهم وسلكوا سلوكهم واقتفوا آثارهم.

وفي كل عصر وُجِدت المثُلُ التي تُقتدى، والإنسان الذي يَقْتدِى، ومن هنا انطلقت الصيحات المصلحة في كل ميادين الحياة فكانت النهضات الثقافية والعلمية والاجتماعية.

لذا فإن أسلوب القدوة من أنجح الأساليب في نقل منهج التربية الإسلامية بمقوماته وبأساليبه وبأهدافه، وقد تخرج على هذا المنهج أعظم قادة الحرب وأبرع رجال السياسة وأعلم العلماء في الطب والرياضيات والعلوم والاجتماع، ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وابتعدوا عن منهج القدوة فتخلفوا والتقط غيرهم هذا المنهج فتقدموا[(١)].

لذا ينبغي على المربين ألا يغفلوا أسلوب التربية بالقدوة بأي حالٍ من الأحوال، خاصة مع الناشئة والأطفال "فالأطفال بمراقبتهم لسلوك الكبار فإنهم يقتدون بهم فإن وجدوا أبويهما صادقين سينشئون على الصدق، وهكذا في باقي الأمور، كذا الوالدان مطالبان بتطبيق أوامر الله تعالى وسنة رسوله ﷺ سلوكاً وعملاً والاستزادة من ذلك ما وسعهم ذلك لأن أطفالهم في مراقبة مستمرة لهم صباح مساء وفي كل آن"[(٢)].

ثالثاً- التربية على المشاركة في فعل الخيرات:

ترنو التربية الإسلامية إلى صياغة الشخصية الإسلامية الإيجابية التي تسارع في الخيرات، وتسعى في جلب الخير للآخرين سواء كانوا أحياءً أم أمواتاً، ومن هنا ربى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على المشاركة الإيجابية الفاعلة والتي من جملتها حضور الجنائز والمشاركة في الصلاة على الميت ومسارعة الجميع لذلك، نظراً للخير المترتب على حضور تلك الصلاة والدعاء للميت والشفاعة له، ولا شك أن هذه التربية متميزة تحرص على جلب الخير للمسلمين وتزرع في نفس المسلم حب هذا العمل وتجعله حريصاً

---

(١) انظر: التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، محمد أحمد جاد صبح، ١/١٤٠-١٤٤.

(٢) المنهج النبوي في تربية الطفل، عبدالباسط السيد ص ٧٤، ٧٥.

على المشاركة فيه، نظراً للخير الذي سيصل إلى الميت من دعاء وشفاعة مَنْ صلوا عليه صلاة الجنازة، ولن يحرم من صلى على الميت من الثواب العظيم المتمثل في حصوله على قيراط لقول النبي ﷺ: «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ»، والقيراط مثل الجبل العظيم من الثواب، وقد حث النبي ﷺ ورغب في الصلاة على الميت فقال: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مَائَةً. كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ . إلاَّ شُفِّعُوا فِيهِ»، مع مراعاة ما ورد في صلاة الجنازة وغيرها من آداب.

وفي حديث ابن عباس «أربعون رجلاً» وكذا في عدد الصفوف كما في حديث مالك بن هبيرة رضي الله عنه «من صلى عليه ثلاثة صفوف...» "فإن العدد هنا لا مفهوم له"[(١)].

لذا ينبغي التربيةُ والتنشئةُ على امتثال ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من عبادات وغيرها والالتزام بما جاء من آداب وحدود وكيفيات وهيئات، فذلك كله تعظيم لأمر الله سبحانه، وأمر رسوله ﷺ، ولنا في الجيل الأول - الصحابة- الذي رُبي على يد رسول الله ﷺ القدوة الحسنة والأسوة الطيبة، فقد كانوا يسارعون إلى تنفيذ أوامر الله عز وجل وأوامر رسوله ﷺ عملاً بقوله الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[(٣)(٤)].

رابعًا- من الأساليب التربوية: الإلقاء:

كما في الحديثين الأولين من أحاديث الباب؛ والإلقاء يكون عن طريق العرض الشفهي للمعلومات، وهو يمكن المتعلم من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت أمام أكبر عدد من المتعلمين، ولذا كان مناسبًا في المراحل التعليمية المتقدمة: كالمرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية.

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥١١.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٢.

(٤) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٥١، ٥٢.

خامسًا- من مهام المربي: تطبيق السنة:

وهذا يتضح جليًا في تصرف مالك بن هبيرة رضي الله عنه عندما كان يصلي على جنازة وكان عدد المصلين قليلاً، فكان يجعلهم ثلاثة صفوف، وذلك لكي يكون الميت ممن قال في حقه النبي صلى الله عليه وسلم: "من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب" أي أن مالك بن هبيرة فعل ما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم وحض ورغب، وفي ذلك إرشاد للمربين والمعلمين وكل من يضطلع بمسؤولية توجيهية ووعظية ونحو ذلك، أن يعملوا على تربية الناشئة وغيرهم على أن يطبقوا ما تكلموا به من السنة النبوية الشريفة، وليس هذا فحسب، بل إن عليهم أيضًا أن يكونوا أول المطبقين للسنة المنفذين لها الممتثلين لها المدافعين عنها؛ فهي سنة من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم.



١٥٧- باب ما يقرأ في صلاة الجنازة

يُكَبِّرُ أَرْبَعَ تَكبيرَاتٍ، يَتَعوَّذُ بَعْدَ الأُولَى، ثُمَّ يَقْرَأُ فَاتِحَةَ الكِتَابِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبيِّ ﷺ، فيقول: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ. وَالأفْضَلُ أنْ يُتَمِّمَهُ بقوله: كَمَا صَلَّيتَ عَلَى إبرَاهِيمَ - إلَى قَوْلِه - إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. وَلاَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُهُ كَثيرٌ مِنَ العَوامِّ مِنْ قِراءتِهِمْ: ﴿إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَه يُصَلُّونَ عَلَى النَّبيِّ﴾[الأحزاب: ٥٦] الآية، فَإنَّهُ لاَ تَصِحُّ صَلاَتُهُ إِذَا اقْتَصَرَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ الثَّالِثَةَ، وَيَدعُو للمَيِّتِ وَللمُسْلِمِينَ بِمَا سَنَذْكُرُهُ مِنَ الأحاديث إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ يُكَبِّرُ الرَّابِعَةَ وَيَدْعُو. وَمِنْ أحْسَنِهِ: ((اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أجْرَهُ، وَلاَ تَفْتِنَّا بَعدَهُ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ)). وَالمُخْتَارُ أنه يُطَوِّلُ الدُّعاء في الرَّابِعَة خلافَ مَا يَعْتَادُهُ أكْثَرُ النَّاس، لحديث ابن أبي أوْفى الذي سَنَذْكُرُهُ إنْ شَاء اللهُ تَعَالَى.

وَأمَّا الأَدْعِيَةُ المَأثُورَةُ بَعْدَ التَّكبيرَةِ الثالثة، فمنها:

الحديث رقم (٩٣٦)

٩٣٦- عن أَبي عبد الرحمان عوف بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّى رسول الله ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: **((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّه مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَس، وَأبدلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأهْلاً خَيرًا مِنْ أهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وَأعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ))** حَتَّى تَمَنَّيتُ أن أكُون أنَا ذَلِكَ المَيِّت. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

عوف بن مالك الأشجعي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٢٨).

غريب الألفاظ:

أكرم نزله: أي أحسن نصيبه من الجنّة[٢].

---

(١) برقم ٨٥/٩٦٣.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٤٩.

مدخله: الموضع الذي يدخل فيه وهو قبره الذي يدخله الله فيه[١].

الدنس: الوسخ[٢].

أعذه: خلصه[٣].

الشرح الأدبي

قول الراوي (فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ) يشير إلى أنه لم يحفظ الدعاء كله، والحديث يدور حول ثلاثة محاور: الأول محور المغفرة، والثاني التطهير، الثالث، التبديل، وقد قام المحور الأول على الأسلوب الإنشائي بالأمر بمعنى الدعاء (اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ) وجملة الأوامر تحيط بكل ما يلزم الميت من مغفرة تقتضي ستر الذنب، وعافية تقتضي محوه وتتخطى به هول المواقف، وإكرام، وسعة، والمحور الثاني: ويقوم على الأمر الدعائي مع التشبيه (وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّه مِن الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ،)، وذكر الثلج، والبرد مع الماء مبالغة في التطهير مع الإشارة إلى الصفاء، والنقاء وسلامة الفطرة التي تثيرها هذه الكلمات، والتشبيه بالثوب لظهور الصورة للجميع لأنه أمر معتاد للناس، ويتساوى في فهمها الجميع، ثم إن الثوب مما تفارقه الأوساخ بالغسل مفارقة تامة، واختيار الأبيض فيه إشارة إلى الفطرة، ولأنه يظهر عليه أقل وسخ فيتتبع بالغسل، فإذا تم غسله كان في قمة النقاء لا يخفي شيئاً، المحور الثالث، وهو محور التبديل، ويقوم على أسلوب الأمر بغرض التضرع، والدعاء مع أسلوب التفضيل (وَأبدلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلاً خيراً مِنْ أهْلِهِ، وَزَوْجَاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ، وَأدْخِلهُ الجَنَّةَ، وَأعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ) والتبديل شمل الدار، والأهل، والزوجة مع ضمان الخير من التفضيل، ثم إنه ختم له بالدعاء بالجنة، والنجاة من النار، حتى أن الراوي تمنى أن يكون هو الميت من عظمة ما سمع لأنه يعلم أن دعاء الرسول ﷺ مستجاب.

---

(١) المرجع السابق ١١٤٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (د ن س).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٤٩.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى الأحكام التالية:

أولاً: حكم الدعاء للميت: ذهب المالكية والشافعية والحنابلة إلى أن الدعاء ركن من أركان صلاة الجنازة[١].

والواجب أدنى الدعاء؛ لأن النبي ﷺ قال: ((إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء))[٢]. وهذا يحصل بأدنى الدعاء؛ لأن المقصود الشفاعة للميت والدعاء فيجب أقله، وأقله ما يقع عليه اسم الدعاء[٣].

ثانيًا: تخصيص الميت بدعاء: ذهب جمهور الفقهاء ومنهم الحنفية والمالكية والشافعية في مقابل الأصح والحنابلة إلى أن الميت لا يخصص بدعاء معين وإنما يدعو المصلي بالمأثور[٤].

---

(١) فتح القدير، كمال الدين بن الهمام ١١٨/٢، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٣/٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٩٥/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٥/٥، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٨١/٢، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٣٦٠/١.

(٢) أخرجه أبو داود ٣١٩٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٧٤٠).
وأخرجه ابن ماجه ١٤٩٧ من حديث أبي هريرة أيضًا وحسنه السيوطي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٣٩٢/١ ووافقه المناوي، قال ابن حجر: فيه محمد بن إسحاق وقد عنعن لكن أخرجه ابن حبان ٣١/٥ من طريقين آخرين مصرحًا بالسماع أ. هـ. من تلخيص الحبير ١٢٢/٢ ط/ شركة الطباعة الفنية.

(٣) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٨١/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٥/٥.

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٩٧/٢، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٣/٣، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٥/٥، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٨/١ - ٩، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٣٦٠/١.

وذهب الشافعية في الصحيح إلى وجوب تخصيص الميت بالدعاء[1].

ثالثًا: محل الدعاء: هل يكون الدعاء في كل تكبيرة أم يكون بعد التكبيرة الثالثة أو الرابعة؟

ذهب جمهور الفقهاء ومنهم الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أن الدعاء يكون بعد التكبيرة الثالثة[2].

وذهب المالكية إلى أن الدعاء يكون بعد كل تكبيرة ويدعو وجوبًا بعد التكبيرة الرابعة على المختار[3].

المضامين الدعوية[4]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الدعاء للميت في صلاة الجنازة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: طلب الحياة على الإيمان والموت عليه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التقدير العظيم من الصحابة لكلام النبي ﷺ.

رابعًا: من وسائل الدعوة: الدعاء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الدعاء للميت في صلاة الجنازة:

هذا واضح من هذه الأحاديث وغيرها التي في الباب[5]، قال النووي عن حديث عوف

---

(١) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٣١٩/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٥/٥.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٦٧/٢، ودرر الحكام شرح غرر الأحكام لملا خسرو ١٦٣/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٦/٥، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٣١٩/١، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٣٦٠/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٨١/٢.

(٣) الشرح الكبير للدردير ٤١٢/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٩٧/١.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٣٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٣٧).

(٥) انظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٨٥-١٨٦.

ابن مالك رضي الله عنه: (فيه إثبات الدعاء في صلاة الجنازة، وهو مقصودها ومعظمها، وفيه استحباب هذا الدعاء)[١]، وقال ابن القيم: (ومقصود الصلاة على الجنازة، هو الدعاء للميت، لذلك حفظ عن النبي ﷺ ونقل عنه ما لم ينقل من قراءة الفاتحة والصلاة ﷺ)[٢].

وقال ابن تيمية: (فالله قد يرحم المصلّي على الميت بدعائه له، ويرحم الميت -أيضًا- بدعاء هذا الحي له)[٣].

وقال محمد بن إبراهيم التويجري: (شهود الجنازة واتباعها فيه فوائد جمة، أهمها: أداء حق الميت بالصلاة عليه، والشفاعة فيه والدعاء له، وأداء حق أهله، وجبر خاطرهم عند مصيبتهم في ميتهم، وتحصيل الأجر العظيم للمشيع، وحصول العظة والاعتبار بمشاهدة الجنائز وغير ذلك)[٤].

قال ابن عثيمين في شرح حديث عوف بن مالك رضي الله عنه: (قوله: "اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله" يعني ضيافته يعني أكرمه في ضيافته، لأن الميت في ضيافة الله عز وجل، إذا انتقل من هذه الدنيا إلى قبره، فهو إما أن يكون في قبره معذبًا أو منعمًا. ويقول "وأوسع مدخله" يعني: أوسع قبره، لأنه يدخل فيه "واغسله بالماء والثلج والبرد" يعني: طهره من الذنوب بالماء والثلج والبرد، ذكر الثلج والبرد، لأنه بارد، وذكر الماء لأن به النظافة، والذنوب - أجارنا الله وإياكم منها-عقوبتها حارة، فناسب أن يقرن مع الماء الثلج والبرد، فيحصل بالماء التنظيف ويحصل بالثلج والبرد التبريد.

"ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس" يعني نظفه كاملاً من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ، وذكر الثوب الأبيض، لأنه هو الذي تظهر فيه أدنى دنسة، فإذا كان الثوب الأبيض نقيًا فمعناه أنه ليس به دنس إطلاقًا

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٢/٧/٤، .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٠٥/١.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٠٧/٤، ٤٩٩/٧.

(٤) مختصر الفقه الإسلامي ٥٧٨. وهو بلفظه في توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام ٥٣٤/٢.

بخلاف الثوب الأسود والأحمر والأخضر وما أشبه ذلك، فإنه ليس كالأبيض تبين به الدنسة بيانًا واضحًا. "اللهم أبدله دار خيرًا من داره" لأنه انتقل من دار الدنيا إلى دار البرزخ، ودار الدنيا -كما نعلم- دار محن وأذى وكدر، فيقول "أبدله دارًا خيرًا من داره" ليكون منعمًا في قبره[1]. "وأهلاً خيرًا من أهله" أهله: ذووه كأمه وخالته وبناته وأبيه وابنه وما أشبه ذلك. "وزوجًا خيرًا من زوجه" يعني زوجة خيرًا من زوجته، وذلك من الحور العين، وكذلك بزوجته في الدنيا، لأن الإنسان إذا تزوج امرأة في الدنيا وماتت على الإيمان، فإنها تكون زوجته في الآخرة، فإن قال قائل: كيف تكون خيرًا من زوجتي وهي واحدة في الدنيا؟ نقول: خيرًا منها في الصفات والجمال وغير ذلك[2].

"وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار" كل هذا هو دعاء يدعو به الإنسان للميت، وينبغي أن يخلص الإنسان للميت في هذا الدعاء)[3].

وقال ابن عثيمين في شرح حديث "اللهم اغفر لحينا وميتنا ... إلخ" قال: (وهذه الجمل تغني عنها جملة واحدة لو قال: اللهم اغفر لحينا وميتنا شمل الجميع. لكن مقام الدعاء ينبغي فيه البسط والتفصيل، لأن الدعاء كل جملة منه عبادة لله عز وجل، وإذا كررته ازددت بذلك ثوابًا، فقوله: "حينا وميتنا" يشمل الحي الحاضر، والميت القديم والميت في عصره، "وصغيرنا وكبيرنا" كذلكم أيضًا يشمل الصغير والكبير الحي والميت، وذكر الصغير مع أن الصغير لا ذنب له من باب التبعية [أي جاء ذكره تبعًا لذكر الكبير]. وإلا فإن الصغير ليس له ذنب حتى تسأل له المغفرة "وذكرنا وأنثانا" مثلها عامة "وشاهدنا وغائبنا" الحاضر والمسافر مثلاً. "اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته فتوفه على الإيمان" الحياة ذكر معها الإسلام وهو الاستسلام الظاهر.

---

(١) وقال عبدالله البسام: بأن تبدله دار كرامتك الجنة عن دار الدنيا التي رحل عنها. توضيح الأحكام ٥٢٤/٢.

(٢) وقال البسام: هذا التبديل إما بالأعيان بأن يعوضه الله عنهم في دار كرامته، وإما تبديل أوصاف بأن تعود العجوز شابة، وسيئة الخلق حسنة خلق. السابق ٥٢٤/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١١٩٩/٢، وانظر شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٦٤/٣. وتوضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٢٤/٢-٥٢٥.

وأما الموت فقال: توفه على الإيمان، لأن الإيمان أفضل ومحله القلب. والمدار على ما في القلب عند الموت وفي يوم القيامة "اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده" لا تحرمنا أجره يعني: بالصلاة عليه، لأن الإنسان يؤجر بالصلاة على الميت -كما سبق- أن من شهدها حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان[١]. كذلك أيضًا أجر آخر للمصاب بهذا الميت الذي حزن لفراقه، يؤجر أيضًا على صبره على المصيبة[٢] "ولا تفتنا بعده" يعني لا تضلنا عن ديننا بعده، لأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، ما دام الإنسان لم تخرج روحه، فإنه عرضة لأن يفتن في دينه والعياذ بالله. ولهذا قال: "لا تفتنا بعده" فينبغي للإنسان أن يدعو بهذا الدعاء اقتداءً برسول الله ﷺ)[٣].

وقال الصنعاني معلقًا على اختلاف الروايات عن النبي ﷺ في الدعاء للميت قال: (واختلاف الروايات دالٌّ على أن الأمر متسع في ذلك ليس مقصورًا على شيء معين... وإنما الشأن في إخلاص الدعاء للميت؛ لأنه الذي شرعت له الصلاة والذي ورد به الحديث[٤])[٥].

قال عبدالله البسام: (قال العلماء: إن أصح ما ورد من الدعاء على الميت هو ما جاء في هذين الحديثين، حديث عوف بن مالك وحديث أبي هريرة، وهو من أنفع الأدعية، حتى إن عوف بن مالك لما سمعه من النبي ﷺ تمنَّى أنه هو ذلك الميت، فهو من أجمع الأدعية وأحسنها.

فقد اشتمل على الدعاء للميت بالمغفرة والرحمة، وتنقيته من الذنوب، والدعاء له بحسن المنقلب، وإعاذته من شرور الآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٢٥، ومسلم ٩٤٥.

(٢) قال البسام: أي لا تحرمنا الأجر الذي نكسبه من تجهيزه والصلاة عليه وتشييعه، وكذلك الأجر الذي نحصله من صبرنا على المصيبة فيه، أما أجر عمله فهو له وليس لنا منه شيء، ولو طلبنا لكنا معتدين في الدعاء. توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٢٨/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٢٠٠/٢-١٢٠١، وانظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٨٨/١.

(٤) وهو الحديث التالي في الرياض برقم ٩٣٨.

(٥) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني، حققه محمد صبحي حسن حلاق ٣٥٧/٣.

وأما حديث أبي هريرة فدعاء لعموم المسلمين الحاضرين والغائبين، والأحياء والميتين، الكبار والصغار، الذكور والإناث، الدعاء لهم بأحسن مطلوب من الثبات على الإسلام، والوفاة على الإيمان، والاستعاذة من الضلال والفتنة بعده)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: طلب الحياة على الإيمان والموت عليه:

هذا واضح من دعاء النبي ﷺ "اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لاتحرمنا أجره ولا تفتنا بعده".

قال المباركفوري: ("فأحيه على الإسلام" أي الاستسلام والانقياد للأوامر والنواهي "فتوفه على الإيمان" أي التصديق القلبي إذ لا نافع حينئذ غيره)[٢].

قال الطيبي: (الإسلام والإيمان يعبران عن الدين كما هو مذهب السلف الصالح)[٣].

قال عبدالله البسام: (قوله "فأحيه على الإسلام-فتوفه على الإيمان" إذا أفرد الإسلام شمل الإيمان وبالعكس، أما إذا اجتمعا كما في حديث عمر[٤] رضي الله عنه حينما جاء جبريل إلى النبي ﷺ فيراد بالإسلام الشرائع العملية الظاهرة، ويراد بالإيمان الاعتقاد في الأمور الستة. وهنا كل منهما مفرد فالإسلام في حال الحياة، والإيمان في الممات، وخص الإيمان في حال الوفاة لأنه أكمل وأولى عند الختام.

وقوله: "ولا تفتنا بعده" فيه الخوف من الفتنة في حال الحياة، إما فتنة شبهة وضلال، وإما فتنة شهوة، فالإنسان في حال الحياة معرض لذلك، وكان من دعاء النبي ﷺ: ((يا مقلّب القلوب ثبت قلبي على دينك))[٥] والإنسان قد يصاب بالفتنة من حيث لا يشعر، وقد يظن أنه على حق كما قال تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٦] فيجب

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٢٩/٢.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٨٨/١.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٧٤/٣.

(٤) أخرجه البخاري ٥٠، ومسلم ٩.

(٥) أخرجه الترمذي ٢١٤٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٧٣٩).

(٦) سورة الزخرف، الآية: ٣٧.

على الإنسان محاسبة نفسه، وطاعة الله تعالى، وإظهار الفقر بين يديه، فهذا من أسباب العصمة)[١].

وقد قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٢].

قال ابن كثير: (هذا دعاء من يوسف الصديق، دعا به ربه عز وجل لما تمت النعمة عليه باجتماعه بأبويه وإخوته، وما منّ الله به عليه من النبوة والملك، سأل ربه عز وجل كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفاه مسلمًا حين يتوفاه، وأن يلحقه بالصالحين، وهم إخوانه من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وهذا الدعاء يحتمل أن يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يرفع أصبعه عند الموت ويقول: ((اللَّهمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى، اللَّهُم فِي الرَّفِيقِ الأَعْلى))[٣]. ويحتمل أنه سأل الوفاة على الإسلام واللحاق بالصالحين إذا حان أجله وانقضى عمره، لا أنه سأل ذلك منجزًا[٤]، كما يقول الداعي لغيره: أماتك الله على الإسلام ويقول الداعي: "اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين)[٥].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التقدير العظيم من الصحابة لكلام النبي صلى الله عليه وسلم:

هذا واضح من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الكلمات للميت في صلاته صلى الله عليه وسلم فقال: ((حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ)) وفي رواية:

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٢٨/٢.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠١.

(٣) أخرجه البخاري ٤٤٣٧، ومسلم ٢٤٤٤.

(٤) أي حاضرًا معجلًا. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٠٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١٤/٤، وانظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٨١/٩.

((فَتَمَنَّيْتُ أَنْ لَوْ كُنْتُ أَنَا الْمَيِّتَ، لِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَيِّتِ))[١].

ومن ذلك مارواه عمرو بن تغلب رضي الله عنه: ((أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بمال - أو سَبيٍ - فقسَمه، فأَعطى رِجالاً وتركَ رجالاً. فبلغَهُ أَنَّ الذينَ تَركَ عَتبوا، فحمِدَ اللهَ ثمَّ أَثنى عليه ثم قال: أَمّا بعدُ فواللهِ إني لأُعطِي الرجُلَ وأدع الرجل والذي أَدَعُ أَحبُّ إليَّ من الذي أُعطِي، ولكنْ أُعطِي أَقوامًا لِما أَرَى في قلوبِهمْ منَ الجَزَعِ وَالهَلَع، وأَكِلُ أَقوامًا إلى ما جعلَ اللهُ في قلوبهمْ مِنَ الغِنى والخيرِ، فيهم عمرُو بنُ تَغلِبَ، فواللهِ ما أُحبُّ أَنَّ لي بكلمةِ رسولِ اللهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَم))[٢].

قال النووي: (حمر النعم هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه، وإن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت)[٣].

ومن أمثلة تقدير الصحابة رضي الله عنهم لكلام النبي ﷺ ما حدث في غزوة خيبر، فقد قال ﷺ: "لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" فقال سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه راوي الحديث: ((فباتَ الناسُ يَدوكون[٤] ليلَتهم أُيهم يُعطاها. فلما أصبحَ الناسُ غَدَوا على رسولِ الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها))[٥]. وقالَ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ((فَتَطَاوَلْنَا لَهَا))[٦].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((مَا أَحْبَبْتُ الإِمَارَةَ إِلاَّ يَوْمَئِذٍ. قَالَ: فَتَسَاوَرْتُ لَهَا[٧] رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى لَهَا))[٨].

---

(١) صحيح مسلم ٨٦-٩٦٣.

(٢) أخرجه البخاري ٩٢٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨٠/١٥/٨، .

(٤) أي يخوضون ويتحدثون. رياض الصالحين ١٢١.

(٥) أخرجه البخاري ٣٧٠١، ومسلم ٢٤٠٦.

(٦) أخرجه مسلم ٣٢-٢٤٠٤.

(٧) أي أظهرت وجهي وتصديت لذلك ليتذكرني. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٧٠ الدولية.

(٨) أخرجه مسلم ٣٣-٢٤٠٥.

ويمكن أن يستأنس في هذا المقام أيضًا بما رواه ابن إسحاق في المغازي، قال: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، أن عبدالله بن مسعود ﷺ كان يحدث قال: قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر، فاتَّبعتها أنظر إليها. قال: فإذا رسول الله ﷺ وأبوبكر وعمر، وإذا عبدالله ذو البجادين قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرته، وأبوبكر وعمر يدليانه إليه، وإذا هو يقول: "أدنيا إليَّ أخاكما". فدلياه إليه، فلما هيأه لشقه قال: "اللهم إني قد أمسيت راضيًا عنه، فارض عنه". قال: يقول ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة[1].

قال ابن هشام: إنما سمي ذا البجادين؛ لأنه كان يريد الإسلام، فمنعه قومه وضيقوا عليه، حتى خرج من بينهم وليس عليه إلا بجادٌ، وهو الكساء الغليظ، فشقه باثنتين، فائتزر بواحدة وارتدى بالأخرى، ثم أتى رسول الله ﷺ، فسمي ذا البجادين[2].

رابعًا- من وسائل الدعوة: الدعاء:

وهذا واضحٌ من الحديثين، فقد دعا النبي ﷺ وهو في صلاة الجنازة، دعا بهذه الدعوات الطيبة، ليدل المدعوين على ما يدعون به لميتهم، فينال المغفرة وينالون هم الثواب والأجر، كل ذلك بفضل الله تعالى. قال الشوكاني: (واختلاف الأحاديث في ذلك محمول على أنه كان يدعو لميت بدعاء والآخر بآخر، والذي أمر به ﷺ إخلاص الدعاء)[3].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ١٦٨/١٤، وقال ابن حجر في الإصابة ص ٨٠٢: رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعًا.

(٢) سيرة ابن هشام ١٦٨/٤-١٦٩.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٧١٨.

الحديث رقم (٩٣٧)

٩٣٧- وعن أَبي هريرة وأبي قتادة وأبي إبراهيم الأشهلي، عن أبيه -وأبوه صَحَابيٌّ- رضي الله عنهم، عن النبيِّ ﷺ: أنَّهُ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ، فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَصَغيرِنَا وَكَبيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، وشَاهِدنَا وَغَائِبِنَا، اللَّهُمَّ مَنْ أحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأحْيِهِ عَلَى الإسْلاَمِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوفَّهُ عَلَى الإيمَان، اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أجْرَهُ، وَلاَ تَفْتِنَّا بَعدَهُ)) رواه الترمذيُّ من رواية أَبي هريرة[١]، والأشهليُّ[٢].

ورواه أَبُو داود من رواية أَبي هريرة[٣]، وأبي قتادة[٤]. قَالَ الحاكم[٥]: (حديث أَبي هريرة صحيح عَلَى شرط البخاري ومسلم)، قَالَ الترمذي: (قَالَ البخاري[٦]: أَصَحُّ رواياتِ هَذَا الحديث رواية الأشْهَلِيِّ، قَالَ البخاري: وأصح شيء فِي هَذَا الباب حديث عَوْفِ بن مَالِكٍ[٧]).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

---

(١) أخرجه الترمذي عقب الحديث رقم ١٠٢٤. وصحّحه ابن حبان الإحسان، ٣٠٧٠.

(٢) أخرجه الترمذي ١٠٢٤ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٣) أخرجه ابو داود ٣٢٠١. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٣٠٧٠.

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى، عمل اليوم والليلة ١-٨٦، وأحمد ١٧٥٤٦، و٢٢٥٥٤ من طريق همام، عن يحيى بن أبي كثير، واختلف فيه على يحيى بن أبي كثير في الوصل والإرسال ومن أي مسند هو. ورواية همام هذه مرجوحة عن يحيى.

(٥) المستدرك ٣٥٨/١.

(٦) قول البخاري أورده الترمذي ٣٢٥/٣ مختصرًا، وأورده بتمامه البيهقي في السنن الكبرى ٤١/٤ حيث قال: قال أبو عيسى الترمذي فيما بلغني عنه، سألتُ محمدًا - يعني: البخاري- عن هذا الباب، فقلتُ: اي الروايات عن يحيى بن أبي كثير أصحُّ في الصلاة على الميت، فقال: أصحُّ شيء فيه حديث أبي إبراهيم الأشهليّ، عن أبيه، ولوالده صحبة، ولم يعرف اسم أبي إبراهيم، قال ابو عيسى: قلتُ له: فالذي يقال هو عبد الله بن أبي قتادة، فأنكر أن يكون هو عبد الله بن أبي قتادة، وقال: أبو قتادة هو سلمي، وهذا أشهليٌّ، قال محمد: وحديث أبي سلمة عن أبي هريرة، وعائشة، وابي قتادة في هذا الباب غير محفوظ، وأصحُّ شيء في هذا الباب حديث عوف بن مالك.

(٧) حديث عوف بن مالك أخرجه مسلم ٩٦٣/٨٥.

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢٢).

أبو إبراهيم الأشهلي عن أبيه: أبو أبي إبراهيم الأشهلي صحابي من الأنصار، فهو من قبيلة بني عبدالأشهل، إحدى قبائل الأنصار.

لكن لا نعرف اسمه ولا اسم ابنه، قال أبو حاتم عن أبي إبراهيم: لا يدري من هو ولا أبوه. وقال الترمذي: سألت البخاري عن اسم أبي إبراهيم فلم يعرفه.

وقال قوم: إن أبا إبراهيم هذا هو عبدالله بن أبي قتادة، ابن الصحابي أبي قتادة الأنصاري. قال المزي مُعقِّبًا على هذا: ولا يصح ذلك، وإن كان عبدالله بن أبي قتادة كنيته أبو إبراهيم. لأنه من بني سلمة، وهذا من بني عبدالأشهل[1].

الشرح الأدبي

يقوم الدعاء في هذا الحديث على عدة عناصر منها نداء التضرع، والخضوع، والخشوع (اللهم)، ومنها الأمر بمعنى الدعاء (اغفر) ومنها الطباق فقد طابق في الدعاء بين الحي، والميت، وبين الصغير، والكبير، والذكر، والأنثى، ، والشاهد، والغائب، وهذا الطباق أفاد العموم، والاستغراق لكل مسلم، وهو مستحب في الدعاء حيث يكرم بعضهم ببعض، كما أن في تكثير المدعو لهم إلحاح في الشمول، والله يحب من عبده الإلحاح في دعائه، كما أكد هذا التعميم بإضافة (نا) إلى الأسماء المذكورة، وفي الحديث جناس بين أحييته، وأحيه، وبين: توفيته فتوفه كما أن بين العبارتين تضاد يجعل الجميع تحت مظلة الإسلام، ثم جاء النهي بمعنى الدعاء (لاَ تَحْرِمْنَا أجْرَهُ، وَلاَ تَفْتِنَّا بَعدَهُ) حماية من حرمان الأجر، وحجاباً يمنع الفتنة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) الجرح والتعديل ٣٣٢/٩ وسنن الترمذي ٢٤٣ الحديث ١٠٢٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٤٣/٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ١٥٩٠، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٢٢٤/٨، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤٧٧/٤.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٣٨)

٩٣٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول: ((إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى المَيِّتِ، فَأخْلِصُوا لَهُ الدُّعاء)) رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول الراوي سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يشير إلى أن الراوي قريب من رسول الله صلى الله عليه وسلم زماناً ومكاناً وراوي الحديث أبو هريرة رضي الله عنه قريب من الرسول صلى الله عليه وسلم مكاناً، ومكانة، كما أن في قوله سمعت توكيد للخبر، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى المَيِّتِ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعاء) المعنى يدور حول إخلاص المصلين في الدعاء على الميت لأنه أحوج ما يكون إلى ذلك، وقد جاء في أسلوب الشرط الذي يربط الصلاة على الميت بالإخلاص يوجد بوجودها، وينتفي بانتفائها، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالإخلاص الدعاء توجيه، وإرشاد إلى استشعار الموقف التبادلي فكل مصل سوف يصلى عليه، وهذا الشعور يساعد على الإخلاص، ويمنع الرياء المفسد للعمل.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإخلاص في الدعاء للميت.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: سوق الخير للمدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعو: الإخلاص في الدعاء للميت:

هذا واضح من الحديث، قال الصنعاني: (لأنهم شفعاء، والشافع يبالغ في طلبها يريد قبول شفاعته فيه)[2] وقال شرف الحق العظيم آبادي: (قال ابن الملك: أي ادعو له

---

(١) برقم ٣١٩٩، وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٣٠٧٦. وقال الذهبي في المهذب ١٣٤٨/٣: إسناده صالح.

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٣٥٨/٣.

بالاعتقاد والإخلاص انتهى. وقال المنذري: أي ادعوا له بإخلاص، لأن القصد بهذه الصلاة إنما هو الشفاعة للميت، وإنما يرجى قبولها عند توفر الإخلاص والابتهال. انتهى)[١].

وقال الشوكاني: (فيه دليل على أنه لا يتعين دعاء مخصوص من هذه الأدعية الواردة، وأنه ينبغي للمصلي على الميت أن يخلص الدعاء له، سواء أكان محسنًا أو مسيئًا، فإن مُلابس المعاصي أحوج الناس إلى دعاء إخوانه المسلمين وأفقرهم إلى شفاعتهم، ولذلك قدموه بين أيديهم وجاءوا به إليهم، لا كما قال بعضهم: إن المصلّي يلعن الفاسق [أي الميت الفاسق] ويقتصر في الملتبس [أي بالمعاصي] على قوله: "اللهم إن كان محسنًا فزده إحسانًا، وإن كان مسيئًا فأنت أولى بالعفو عنه"[٢].

فإن الأول [أي لعن الفاسق] من إخلاص السبّ لا من إخلاص الدعاء. والثاني من باب التفويض باعتبار المسيء لا من باب الشفاعة والسؤال. وهو [أي هذا الدعاء الثاني] تحصيل للحاصل، والميت غنيٌّ عن ذلك)[٣]. وقال الشيخ عبدالله البسام: (الأحاديث في الدعاء للميت كثيرة ولم يرد تعيين أحدها، وإنما الشأن في إخلاص الدعاء للميت؛ لأنه

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣٦٦.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ٩٦١ ومن طريقه عبدالرزاق في المصنف ٦٤٢٥ وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ ٩٣، تحقيق الألباني، والبغوي في شرح السنة ١٤٩٦ موقوفًا على أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الشيخ الألباني: إسناده موقوف صحيح على شرط الشيخين اهـ. وأخرجه ابن حبان ٣٠٧٣ عن أبي هريرة مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ وقال محقق صحيح ابن حبان: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ص ٧١٨. لكن ما ذهب إليه الشوكاني غير مسلم فقد قال ابن القيم: (المصلي على الميت شرع له تعليق الدعاء بالشرط، فيقول: اللهم أنت أعلم بسرّه وعلانيته، إن كان محسنًا فتقبل حسناته، وإن كان مسيئًا فتجاوز عن سيئاته. فهذا طلب للتجاوز عنه بشرط، فكيف يمنع تعليق التوبة بالشرط؟ وقال شيخنا [أي ابن تيمية]: كان يشكل عليّ أحيانًا حال من أصلّي عليه الجنائز، هل هو مؤمن أو منافق؟ فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فسألته عن مسائل عديدة منها هذه المسألة، فقال: يا أحمد الشرط الشرط. أو قال: علق الدعاء بالشرط. وكذلك أرشد أمته ﷺ إلى تعليق الدعاء بالحياة والموت بالشرط، فقال: "لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به، ولكن ليقل: اللهم أحيني إذا كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي". إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٧٦٣، والحديث أخرجه البخاري ٥٦٧١، ومسلم ٢٦٨٠.

الذي شرعت له الصلاة، والذي ورد به الحديث "إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء" لكن يبقى فضل كبير للمأثور عنه ﷺ ولما دعا به ﷺ فليتحراه المسلم في دعائه)[١].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الشرط:

هذا واضح من استخدام أداة الشرط "إذا"، وهو شرط جواب الشرط فيه فعل أمر "فأخلصوا له الدعاء"، ولذلك بوّب ابن حبان على هذا الحديث في صحيحه باب: ذكر الأمر لمن صلّى على ميت أن يخلص له الدعاء[٢] وذلك لأن الصلاة على الميت فرض على الكفاية عند جمهور العلماء[٣]، وعلى ذلك فإن الصلاة على الميت واقعة ومقصودها الدعاء ومن ثمَّ أمر النبي ﷺ بالإخلاص فيه. قال ابن القيم: (وكان ﷺ يأمر بإخلاص الدعاء للميت)[٤].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: سوق الخير للمدعوين:

هذا واضح من الأمر بإخلاص الدعاء للميت في الصلاة عليه، قال ابن عثيمين: (المعنى أنك تدعو بحضور قلب أو إلحاح على الله لأخيك، لأنه محتاج لك)[٥] وقال ابن القيم: (ومقصود الصلاة على الجنازة هو الدعاء للميت)[٦]. وقال عبدالله البسام: (يدل الحديث على وجوب الدعاء للميت وتخصيصه به هو معنى الدعاء له، فلا يكفي الدعاء العام، ولكنه يكفي أي دعاء وأقل دعاء، فلو قيل في الصلاة: اللهم اغفر له لحصل الواجب. وإن كل أحد محتاج إلى الدعاء ولو استغنى عنه أحد لاستغنى عنه الصحابة رضي الله عنهم أصحاب الفضائل العالية والأعمال الحميدة)[٧].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٢٩/٢.

(٢) صحيح ابن حبان ٣٤٥/٧، رقم ٣٠٧٦.

(٣) انظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧/١٦.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٠٦/١.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٢٠١/٢.

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٠٥/١.

(٧) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٢٧/٢.

وقال أبو أمامة بن سهل بن حنيف: (السنة في الصلاة على الجنائز أن يكبّر ثم يقرأ بأم القرآن ثم يصلى على النبي ﷺ ثم يخلص الدعاء للميت)[١].

ومن هذا القبيل [قبيل سوق الخير للمدعوين] إعلام الناس بموته. قال ابن حجر: (قال ابن المرابط: إن النعي الذي هو إعلام الناس بموت قريبهم مباح، وإن كان فيه إدخال الكرب والمصائب على أهله، لكن في تلك المفسدة مصالح جمّة لما يترتب على معرفة ذلك من المبادرة لشهود جنازته وتهيئة أمره والصلاة عليه والدعاء له والاستغفار وتنفيذ وصاياه وما يترتب على ذلك من الأحكام)[٢].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (يستحب أن يعلم جيران الميت وأصدقاؤه حتى يؤدوا حقه بالصلاة عليه والدعاء له)[٣].

وقال ابن العربي: (يؤخذ من مجموع الأحاديث ثلاث حالات: الأولى: إعلام الأهل والأصحاب وأهل الصلاح فهذا سنة. الثانية: الدعوة للمفاخرة بالكثرة. الثالثة: الإعلام بنوع آخر كالنياحة ونحو ذلك، فهذا يحرم)[٤].

ومن هذا القبيل أيضًا - قبيل سوق الخير للمدعوين- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ((أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ -أَوْ شَابًّا- فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللّهِ. فَسَأَلَ عَنْهَا -أَوْ عَنْهُ- فَقَالُوا: مَاتَ. قَالَ: أَفَلاَ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي. قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا -أَوْ أَمْرَهُ-. فَقَالَ: «دُلُّونِي عَلَىٰ قَبْرِهِ» فَدَلُّوهُ. فَصَلَّىٰ عَلَيْهَا. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هٰذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَىٰ أَهْلِهَا.

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٦٤٢٨ ومن طريقه ابن الجارود في المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٥٤٠ وإسناده صحيح إلا أن أبا أمامة بن سهل ابن حنيف قال البخاري: أدرك النبي ﷺ ولم يسمع منه. كما في الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ص ٤٠. وقد أخرجه الشافعي في مسند الشافعي ١٦٤٧، والحاكم ٣٦٠/١، والبيهقي ٣٩/٤. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وانظر: حواشي زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٠٥/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١٦/٣-١١٧.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦/١٦.

(٤) أحكام القرآن، ابن العربي ٢٠٠/٤، فتح الباري، ابن حجر ١١٧/٣، ، وانظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦/١٦.

وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ))[١].

قال النووي: (فيه بيان ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع والرفق بأمته وتفقد أحوالهم، والقيام بحقوقهم والاهتمام بمصالحهم في آخرتهم ودنياهم)[٢].

(١) أخرجه البخاري ١٣٣٧، ومسلم واللفظ له ٩٥٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤/٧/٢٨.

الحديث رقم (٩٣٩)

٩٣٩- وعنه، عن النبيِّ ﷺ في الصَّلاةِ عَلَى الجَنَازَةِ: ((اللَّهُمَّ أنْتَ رَبُّهَا، وَأنْتَ خَلَقْتَهَا، وَأنتَ هَدَيْتَهَا للإسْلاَمِ، وَأنتَ قَبَضْتَ رُوحَهَا، وَأنْتَ أعْلَمُ بِسرِّهَا وَعَلاَنِيَتِهَا، وَقَدْ جِئنَاكَ[1] شُفَعَاءَ لَهُ، فَاغْفِرْ لَهُ)) رواه أبُو داود[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الصلاة على الجنازة لها طبيعة خاصة تنبعث من الموقف الوجداني من حالة شعورية تنقبض لها النفوس، وترتجف عندها القلوب لعلمها بأنها ستكون مكانها يوماً، ودعاء الرسول ﷺ يتصدره نداء يتناسب مع الموقف الوجداني (اللهم) والذي يدخل بالمؤمن في حوار مع ربه، وذكر الضمير (أنت) فيه اختصاص يبعث استشعار قربه، وذكر الرب، وإضافته للضمير العائد على الجنازة يستحضر معانى الرعاية، والتربية، والحفظ، التي هي لوازم الربوبية، وقوله (أنت خلقتها) اختصاص بإفراد الله تعالى بخلقها يقتضي انفراده برحمتها، وكذلك قوله (أنت هديتها) وتخصيص الإسلام يشير إلى النعمة العظمى التي أنعم الله بها عليه ابتداءً، وقوله (وأنت قبضت روحها) تخصيص لله بقبض الروح، وذكر هذه النعم من باب التضرع لله بالاعتراف بعطاياه، وقولها: (وَأنْتَ أعْلَمُ بِسرِّهَا وَعَلاَنِيَتِهَا) فيه طباق بين السر، والعلانية يقرر استغراق علم الله للأحوال الخاصية بالميت، وغيره، وقوله (وَقَدْ جِئنَاكَ شُفَعَاءَ لَهُ) الدعاء بصيغة الجمع فيه مزيد تذلل، وإظهار للمسكنة، وتبرأ من غيره، وختمه بالطلب الذي أرصد له من بداية دعائه، وقدم بين يديه الثناء على الله، وأظهر التضرع، والمسكنة حرصاً على الإجابة، وحصول المغفرة.

---

(١) لفظ أبي داود: (جئنا) فقط، بدل: (وقد جئناك).

(٢) برقم ٣٢٠٠.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الدعاء للميت عند الصلاة عليه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بَدء الدعاء بالثناء على الله سبحانه وتمجيده.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: شفقة النبي ﷺ ورحمته بأمته.

رابعًا: من وسائل الدعوة: الدعاء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الدعاء للميت عند الصلاة عليه:

هذا واضح من الحديثين، قال العظيم آبادي في شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ("أنت ربها"؛ أي سيدها ومالكها "للإسلام" المشتمل على الإيمان انتهاءً. "وأنت قبضت روحها" أي أمرت بقبض روحها "بسرها وعلانيتها" بتخفيف الياء أي باطنها وظاهرها، "جئنا شفعاء" أي: بين يديك)[2].

قال ابن الأثير: (وقد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة، وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم، يقال: شفع يشفع شفاعة، فهو شافع وشفيع. والمشفِّع: الذي يقبل الشفاعة، والمشفَّع: الذي تقبل شفاعته)[3].

وقال الشوكاني عن قول النبي ﷺ في حديث واثلة رضي الله عنه: ("اللهم إن فلان بن فلان": فيه دليل على استحباب تسمية الميت باسمه واسم أبيه، وهذا إن كان معروفًا وإلا جعل مكان ذلك: اللهم إن عبدك هذا أو نحوه، والظاهر أنه يدعو بهذه الألفاظ الواردة في هذه الأحاديث، سواء كان الميت ذكرًا أو أنثى، ولا يحول الضمائر المذكرة إلى صيغة التأنيث إذا كانت الميت أُنثى، لأن مرجعها الميت، وهو يقال على الذكر والأنثى)[4].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٣٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٤٠).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم ابادي ١٣٦٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٤٨٥.

(٤) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٧١٩.

وقال ابن الأثير: ("في ذِمّتك وحَبْل جوَارك" كان من عادة العرب أن يُخيفَ بَعْضُها بعضًا، فكانَ الرجُل إذا أراد سَفَرًا، أخذ عَهْدًا من سَيّد كلّ قَبيلة، فَيأمَنُ به ما دام في حُدُودها حتى ينتهي إلى الأخرى فيأخذ مِثْل ذلك، فهذا حَبْلُ الجوَار: أي ما دام مُجَاوِرًا أرْضَه، أو هو من الإجَارة: الأمانِ والنُّصْرة)[1].

قال الطيبي: (الثاني أظهر "وحبل جوارك"، بيان لقوله: "ذمتك" نحو أعجبني زيد وكرمه. وقوله "في ذمتك" أي أن فلانًا في عهدك فنسب إلى الجوار ما كان منسوبًا إلى الله تعالى، فجعل للجوار عهدًا مبالغة في كمال حمايته)[2].

وقال العظيم آبادي: ("فقه" بالضمير أو بهاء السكت "من فتنة القبر وعذاب النار" أي امتحان السؤال فيه، أو من أنواع عذابه من الضغطة والظلمة وغيرهما[3] "وأنت أهل الوفاء" أي الوعد، فإنك لا تخلف الميعاد "أنت الغفور" أي كثير المغفرة للسيئات "الرحيم" كثير الرحمة بقبول الطاعات، والتفضل بتضاعف الحسنات)[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بَدء الدعاء بالثناء على الله سبحانه وتمجيده:

هذا واضح في الحديثين، فحديث أبي هريرة ﷺ بدأ النبي ﷺ بالدعاء للميت: "اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسرها".

وفي حديث واثلة ﷺ بدأ النبي ﷺ بقوله "اللهم إن فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك".

ونقل النووي في الأذكار: (أن آداب الدعاء عشرة، منها: "التاسع: أن يفتتح الدعاء

---

(١) النهاية في غريب الحديث ١٨٤.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٧٤/٣، وانظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٣٦٨.

(٣) قال عبدالله البسام: (فتنة القبر: الفتنة لابدّ منها والطلب هو الوقاية من شرها. وعذاب النار: يسأل الله تعالى أن يقيه العذاب الذي لا تتصور شدته ولا هوله ولا طوله). توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٢٥/٢.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣٦٨.

بذكر الله تعالى، قلت [أي النووي]: وبالصلاة على رسول الله ﷺ بعد الحمد لله تعالى والثناء عليه، ويختمه بذلك كله أيضًا)[(١)].

وقد روى فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: ((سَمِعَ النبيُّ رَجُلاً يَدْعُو فِي صَلاَتِهِ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النبيِّ فقالَ النبيُّ عَجِلَ هَذَا ثُمَّ دَعَاهُ، فقالَ لَهُ ولِغَيْرِهِ: إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النبيِّ ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ ما شَاءَ))[(٢)].

وفي رواية أن الرجل قال: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي فقالَ رسولُ الله ﷺ عَجِلْتَ أَيُّهَا المُصَلِّي، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فاحْمَدِ اللهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ، قالَ ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ اللهَ وصَلَّى عَلَى النبيِّ فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: أَيُّهَا المُصَلِّي ادْعُ تُجَبْ))[(٣)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((كُنْتُ أُصَلِّي والنبيُّ ﷺ وأبُو بكرٍ وعُمَرُ معه، فلما جَلَسْتُ بَدَأْتُ بالثناءِ على الله ثم الصَّلاةِ على النبيِّ ﷺ، ثم دَعوْتُ لِنَفْسِي، فقالَ النبيُّ ﷺ: سَلْ تُعْطَهْ. سَلْ تُعْطَهْ))[(٤)].

قال ابن القيم: (وإذا جمع الدعاء حضور القلب بكليته على المطلوب وصادف وقتًا من أوقات الإجابة الستة، وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة من ذلك اليوم، وآخر ساعة بعد العصر، وصادف خشوعًا وانكسارًا بين يدي الرب وذلة له وتضرعًا ورقة، واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله وألحّ عليه في المسألة وتملقه ودعاه رغبة ورهبة، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدم بين يدي دعائه صدقة

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٤٤٣.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٤٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٦٧).

(٣) أخرجه الترمذي ٣٤٧٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٦٥).

(٤) أخرجه الترمذي ٥٩٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٤٨٦).

- فإن هذا لا يكاد يرد أبدًا، ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: شفقة النبي ﷺ ورحمته بأمته:

وهذا واضح من دعاء النبي ﷺ للميت، قال ابن القيم: (ومقصود الصلاة على الجنازة هو الدعاء للميت، لذلك حفظ عن النبي ﷺ ونقل عنه ما لم ينقل من قراءة الفاتحة والصلاة عليه ﷺ)[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ((أنَّه كانَ إذا صَلَّى على جِنَازَةٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إن هذا عَبْدُكَ وابْنُ عَبْدِكَ كانَ يَشْهَدُ أن لا إله إلا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ ورَسُولُكَ، وأنتَ أعلَمُ به مِنِّي، إن كان مُحْسِنًا فزِدْ في إحسانِه، وإن كانَ مُسيئًا، فَاغْفِرْ لَهُ، ولا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ ولا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ))[٣] وقد بوب ابن حبان في صحيحه على هذا الحديث: ذكر ما يستحب للمرء إذا صلى على جنازة أن يسأل الزيادة للمصلَّى عليه في حسناته والمغفرة لسيئاته[٤].

وقد بلغ من إحسان النبي ﷺ في دعائه على الميت أن تمنى الصحابي عوف بن مالك بعد أن سمع دعاءه ﷺ، تمنى أن يكون ذلك الميت[٥].

وفي رواية: ((فَتَمَنَّيْتُ أَنْ لَوْ كُنْتُ أَنَا الْمَيِّتَ، لِدُعَاءِ رَسُولِ اللّهِ عَلَى ذٰلِكَ الْمَيِّتِ))[٦].

ومن ذلك أيضًا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ((أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا))[٧].

---

(١) الداء والدواء، ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ، تحقيق علي بن حسن الحلبي الأثري ص ١٤-١٥، وانظر الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم كذلك ٢/٣٦٥-٣٦٦ مجموعة الأحاديث.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٥٠٥، ثم ذكر أدعيته ﷺ المذكورة في الباب.

(٣) أخرجه ابن حبان ٣٠٧٣، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٤) صحيح ابن حبان ٧/٣٤٢، الحديث ٣٠٧٣.

(٥) أخرجه مسلم ٩٦٣.

(٦) أخرجه مسلم ٩٦٣.

(٧) أخرجه البخاري ١٢٤٥، ومسلم ٩٥١.

قال ابن حجر: (الظاهر إنما خرج بالمسلمين إلى المصلَّى لقصد تكثير الجمع الذين يصلون عليه، ولإشاعة كونه مات على الإسلام، فقد كان بعض الناس لم يَدْرِ كَوْنَه أسلم)[١].

وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

قال ابن كثير: ("حريص عليكم" أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم)[٣].

وقال أبو ذر: ((تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ إلاويَذْكُرُنَا مِنْهُ عِلْمًا، قَالَ ﷺ: مَا بَقِي شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ إِلاَّ وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ))[٤].

رابعًا - من وسائل الدعوة: الدعاء:

لقد دعا النبي ﷺ في هذين الحديثين وبدأهما بقوله: "اللهم" ولاشك أن هذا الفعل منه ﷺ دعوة للمدعوين أن يفعلوا مثلما فعل ويعملوا مثلما عمل، فإنه ﷺ قدوتهم ومثلهم، يتبعونه ويهتدون بهديه، ويستنيرون بضيائه.

قال الشوكاني: (واختلاف الأحاديث في ذلك محمول على أنه كان يدعو لميت بدعاء ولآخر بآخر، والذي أمر به ﷺ إخلاص الدعاء)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٨٨/٣.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤١/٤، وانظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣٦٥/٨.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ١٥٥/٢ رقم ١٦٤٧، وقال الهيثمي في المجمع ٢٦٥/٧: ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبدالله بن يزيد المقري وهو ثقة.

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٧١٨.

الحديث رقم (٩٤٠)

٩٤٠- وعن وَاثِلَة بنِ الأَسْقَعِ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّى بِنَا رسول الله ﷺ عَلَى رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ إنَّ فُلانَ ابْنَ فُلانٍ في ذِمَّتِكَ (وَحَبْلِ جِوَارِكَ)[1]، فَقِهِ فِتْنَةَ القَبْرِ، وَعذَابَ النَّار، وَأنْتَ أهْلُ الوَفَاءِ وَالحَمْدِ؛ اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، إنَّكَ أنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)) رواه أَبُو داود[2].

ترجمة الراوي:

واثلة بن الأسقع: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٤٤).

غريب الألفاظ:

ذمتك: أمانك[3].

حبل جوارك: قال ابن الأثير: (كان من عادة العرب أن يُخيفَ بَعْضُها بعضًا، فكانَ الرجُل إذا أراد سَفَرًا أخذ عَهْدًا من سَيّد كلّ قَبيلة، فَيأمَنُ به ما دام في حُدُودها حتى ينتهي إلى الأخرى فيأخذ مِثْل ذلك، فهذا حَبْلُ الجوَار: أي ما دام مُجَاوِرًا أرْضَه، أو هو من الإجَارة: الأمانِ والنُّصْرة)[4].

الشرح الأدبي

قول الراوي رضي الله عنه (صلَّى بنَا رسول الله ﷺ) يشير إلى اجتماعهم في صلاة الجنازة كما وجَّه الرسول ﷺ وكانوا يتسابقون إلى تنفيذ توجيهاته، وقولهم (عَلَى رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ) تنكير كلمة رجل يشير إلى أنه من عامة المسلمين، وهو ما يؤكد تواضع النبي، وحرصه على صالح المسلمين دون النظر إلى الشرف، أو الخمول مادام مسلماً

---

(١) هذه الزيادة من رواية عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي، كما نبّه عليها أبو داود. وليست في رواية إبراهيم بن موسى الرازي.

(٢) برقم ٣٢٠٢. قال الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية ١٧٧/٤: هذا حديثٌ حسنٌ.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ذ م م).

(٤) المرجع السابق في (ح ب ل).

ليس عليه دين، (إنَّ فُلانَ ابْنَ فُلانٍ) كناية عن اسم الميت واسم أبيه، والتعبير بالذمة، وحبل الجوار تأكيد لحاجته إلي ربه وانقطاع صلته بالخلق، وتمام اتصاله بالخالق، وحاجته إليه، ليرتب عليها الاستعاذة من فتنة القبر، وعذاب النار، ثم قد الثناء قبل الرجاء (وَأَنْتَ أَهْلُ الوَفَاءِ وَالحَمْدِ؛ اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ) ثم ختم بتخصيصه بالمغفرة، والرحمة، وتقديم الضمير (أنت) يفيد قصره على ما بعده من الصفات، ونفيها عن من سواه، والدعاء متضمن لما يحقق للميت الستر، والصفح، والعافية من العذاب في القبر، وفي النار، وتقديم القبر لأنه أول منازل الآخرة، وبعده النار أو الجنة بحسب عمل العبد، والاستعاذة من النار تستلزم دخول الجنة، وهو الغاية المرجوة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٤١)

٩٤١- وعن عبدِ الله بنِ أبي أَوْفى رضي الله عنهما: أنَّهُ كَبَّرَ عَلَى جَنَازَةِ ابْنَةٍ لَهُ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ، فَقَامَ بَعْدَ الرَّابِعَةِ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ التَّكْبِيرَتَيْنِ يَسْتَغْفِرُ لَهَا وَيَدْعُو، ثُمَّ قَالَ: كَانَ رسول اللهِ ﷺ يَصْنَعُ هكَذَا[1].

وفي رواية: كَبَّرَ أَرْبَعًا فَمَكَثَ سَاعَةً حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُكَبِّرُ خَمْسًا، ثُمَّ سَلَّمَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْنَا لَهُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَزِيدُكُمْ عَلَى مَا رأَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ[2]، أَوْ: هكَذَا صَنَعَ رسول الله ﷺ. رواه الحاكم[3]، وقال: (حديث صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن أبي أوفى: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٣).

الشرح الأدبي

الحديث يبين عملياً كيفية صلاة الجنازة كما كان يصليها رسول الله ﷺ، والراوي ينقل الخبر بالفعل في صورة الماضي الدال على الحصول والتحقق، وقد سبق بتوكيد من بداية الجملة، ونسبة الجنازة للفظ ابن المضاف إلى الضمير العائد على المصلى يجعل للحدث خصوصية في نقل الأحداث، وتصويرها، وتطبيقها، لأن حنين الأبوة يجعله في قمة الدقة في تطبيق صلاة الجنازة بحذافيرها لحرصه على حصولها على

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٦٠/١، وعنه البيهقي في السنن الكبرى ٤٢/٤. من طريق أحمد بن حنبل، وهو في المسند ١٩١٤٠. وقال الحاكم: هذا حديث صحيحٌ ولم يخرجاه، وإبراهيم بن مسلم الهجري لم ينقم عليه بحجة.

قلتُ: تابع الهجري في روايته، أبو يعفور، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣٥/٤). وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أبوبكر الشافعي في الغيلانيات ٣٤١ ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى ٤٣/٤ عن يزيد، عن شريك، عن إبراهيم الهجري، عنه. بهذا اللفظ.

(٣) تنبيه: الحديث باللفظ الأول، أخرجه الحاكم في المستدرك، وأما اللفظ الثاني فلم يخرجه الحاكم كما عزاه إليه المؤلف.

الوجه الأكمل المحقق للغاية مع وجدان مشتعل، وقلب يقظ، وقوله: (فَقَامَ بَعْدَ الرَّابِعَةِ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ التَّكْبِيرَتَيْنِ يَسْتَغْفِرُ لَهَا) التشبيه لبيان مقدار الوقوف، والتعبير بالقيام يضفي على الوقوف هيبة موقف الصلاة، مع تضمنه لمعنى الإصلاح، والتقويم، والاستفهام في قولهم (فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْنَا لَهُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ) إنكار عليه، وتعجب من فعله؛ لأنه أطال بعد التكبيرة الرابعة حتى ظنوا أنه سيكبر الخامسة، وفيه مبالغة في بيان حد الإطالة، وقوله (كَانَ رسول اللهِ ﷺ يَصْنَعُ هكَذَا) التعبير بكان يوحي بالعادة في الفعل في صلاة الجنازة، والتشبيه بصنعه يفيد انه لم يزد على ما كان رسول يصنع كما نص عليه في الرواية الثانية كما يقرر التشبيه بأنها صارت سنة لهم تتبع في الصلاة على الجنازة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على التأسي بالنبي ﷺ.

ثانيًا: من فقه الداعية: البيان والتوضيح لأفعاله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على التأسي بالنبي ﷺ:

هذا واضح من الحديث بروايتيه، وقوله في آخره: "كان رسول الله ﷺ يصنع هكذا" أو "إني لا أزيدكم على ما رأيت رسول الله ﷺ يصنع. أو هكذا صنع رسول الله ﷺ" والحديث رواه ابن ماجه[1] بلفظه قال إبراهيم بن مسلم الهجري: ((صَلَّيْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى الأَسْلَمِيِّ، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى جِنَازَةِ ابْنَةٍ لَهُ. فَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا. فَمَكَثَ بَعْدَ الرَّابِعَةِ شَيْئًا. قَالَ فَسَمِعْتُ الْقَوْمَ يُسَبِّحُونَ بِهِ مِنْ نَوَاحِي الصُّفُوفِ. فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: أَكُنْتُمْ تُرَوْنَ أَنِّي مُكَبِّرٌ خَمْسًا؟ قَالُوا: تَخَوَّفْنَا ذَلِكَ. قَالَ: لَمْ أَكُنْ لأَفْعَلَ. وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُكَبِّرُ أَرْبَعًا. ثُمَّ يَمْكُثُ سَاعَةً. فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ يُسَلِّمُ)).

---

(١) سنن ابن ماجه ١٥٠٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٢٠).

وفي رواية أحمد بن حنبل لهذا الحديث[١] ((عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْهَجَرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ فَمَاتَتِ ابْنَةٌ لَهُ وَكَانَ يَتْبَعُ جِنَازَتَهَا عَلَى بَغْلَةٍ خَلْفَهَا فَجَعَلَ النِّسَاءُ يَبْكِينَ فَقَالَ لاَ تَرْثِينَ، "فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْمَرَاثِي"، فَتُفِيضُ إِحْدَاكُنَّ مِنْ عَبْرَتِهَا مَا شَاءَتْ. ثُمَّ كَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا ثُمَّ قَامَ بَعْدَ الرَّابِعَةِ قَدْرَ مَا بَيْنَ التَّكْبِيرَتَيْنِ يَدْعُو ثُمَّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ فِي الْجِنَازَةِ هَكَذَا")).

قال السندي: (قوله "لا ترْثيْن": من رثى الميت إذا عد محاسنه "فتفيض" من الإفاضة، يريد أن البكاء بلا صياح جائز "يصنع" أي: لا أنه يسلم بعد التكبيرة الرابعة بلا دعاء كما اعتاده ناس)[٢].

وقال الشوكاني: (فيه [أي الحديث] دليل على استحباب الدعاء بعد التكبيرة الآخرة قبل التسليم، وفيه خلاف، والراجح الاستحباب لهذا الحديث)[٣].

ولعل من أبلغ الأمثلة على حرص الصحابة على الاقتداء بالنبي ﷺ ما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((اتخذَ النبيُّ ﷺ خاتماً من ذهبٍ فاتخذَ الناس خَواتيم من ذهب، فقال النبيُّ ﷺ: إني اتخذتُ خاتماً من ذهبٍ فنَبَذَه وقال: إني لن ألبَسَهُ أبداً، فنَبذَ الناسُ خواتيمهم))[٤].

وكذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه ((أنه رأى في يد رسولِ الله ﷺ خاتماً من وَرِق يوماً واحداً، ثم إن الناس اصطنَعوا الْخواتيمَ من وَرِقٍ ولَبِسوها، فطَرَحَ رسولُ الله ﷺ خاتمهُ، فطَرَحَ الناسُ خَواتيمَهم))[٥].

قال ابن حجر: (وفي حديثي الباب مبادرة الصحابة رضي الله عنهم إلى الاقتداء بأفعاله ﷺ، فمهما أقرهم عليه استمروا عليه، ومهما أنكره امتنعوا منه)[٦].

---

(١) مسند أحمد ٣٥٦/٤، رقم ١٩١٤٠، وضعفه محققو المسند ٤٨٠/٣١.

(٢) حاشية السندي على مسند أحمد ٤٨١/٣١.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٧١٩.

(٤) أخرجه البخاري ٧٢٩٨، ومسلم ٢٠٩١.

(٥) أخرجه البخاري ٥٨٦٨، ومسلم ٢٠٩٣.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٣٢١/١٠.

وقد بوب البخاري على حديث ابن عمر رضي الله عنهما باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ[١].

ثانيًا - من فقه الداعية: البيان والتوضيح لأفعاله:

هذا واضح من قول عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه لما ظن المصلون وراءه أنه سيكبر الخامسة، قال لهم: إني لا أزيدكم على ما رأيتُ رسول الله ﷺ يصنع أو هكذا صنع رسول الله ﷺ. فقد بيّن سبب تطويله الدعاء بعد التكبيرة الرابعة، وأن ذلك اقتداء بالنبي ﷺ.

ومن هذا القبيل ما رواه الصعب بن جثامة ((أنه أهدى إلى رسول ﷺ حمارًا وحشيًا فرده عليه رسول الله ﷺ فلما رأى ما في وجهي قال: إنّا لَمْ نرُدَّ عَلَيْكَ إلاّ أنّا حُرُمٌ))[٢].

قال النووي: (فيه جواز قبول الهدية للنبي ﷺ بخلاف الصدقة، وفيه أنه يستحب لمن امتنع من قبول هدية ونحوها، لعذرٍ أن يعتذر بذلك إلى المهدي تطييبًا لقلبه)[٣].

ومن هذا القبيل ما فعله عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال طلحة بن عبدالله بن عوف قال: ((صليتُ خلفَ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما على جَنازةٍ فقرأَ بفاتحةِ الكتابِ. قال: لتعلَموا أنَّها سُنَّة))[٤]، وفي رواية: ((صَلَّيْتُ خَلْفَ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلَى جَنَازَةٍ فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخَذْتُ بِيَدِهِ فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ: تَقْرَأُ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّهُ حَقٌّ وَسُنَّةٌ))[٥].

وسورة الفاتحة هي أم القرآن وفاتحته وقراءتها بعد أول تكبيرة من صلاة الجنازة في غاية المناسبة، ذلك أن صلاة الجنازة دعاء وشفاعة للميت، فأدب الدعاء أن يقدم بين يديه الثناء على الله تعالى، وأحسن الثناء هو مقدمة فاتحةالكتاب. وفي الحديث دليل على أنه يحسن في الإمام أن يجهر في بعض القراءة أو الذكر في الصلاة، ليعلم المأمومين حكم ذلك، فإن ابن عباس جهر بالفاتحة ليعلم الناس أن قراءتها في صلاة

---

(١) صحيح البخاري ٧٢٩٨.

(٢) أخرجه البخاري ١٨٢٥، ومسلم ١١٩٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٠/٨/٤، . وانظر: فتح الباري، ابن حجر ٣٤/٤.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٣٥.

(٥) أخرجه النسائي ١٩٨٨، وابن خزيمة كما في فتح الباري، ابن حجر ٢٤٢/٣، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ١٨٧٩) وانظر: فتح الباري فقد ذكر ابن حجر روايات أخرى.

الجنازة سنة، أي أنها سنة النبي ﷺ وطريقته التي قد تكون مستحبة وقد تكون واجبة، وهي هنا واجبة من أدلة أخر)[1].

ولعلّ من هذا القبيل أيضًا ما رواه أسلم أبو عمران قال: ((كُنَّا بالقِسْطَنْطِينِيَّةِ، وعَلَى أهلِ مِصْرَ عقبةُ بنُ عامرٍ، وعلى أهلِ الشامِ رجلٌ، يريدُ فَضَالَةَ بنَ عُبَيْدٍ، فَخَرَجَ من المدينةِ صَفٌّ عظيمٌ من الرومِ، فَصَفَفْنَا لَهُمْ، فَحَمَلَ رجلٌ مِنَ المسلمينَ على الرومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ ثم خَرَجَ عَلَيْنَا، فَصَاحَ الناسُ إليهِ فقالُوا: سُبْحَانَ الله أَلْقَى بيدِهِ إلى التَّهْلُكَةِ، فقامَ أبو أيوبَ الأنصاريُّ صاحبُ رسولِ الله ﷺ فقالَ: يَا أَيُّهَا الناسُ إِنَّكُمْ لَتُأَوِّلُونَ هذهِ الآيةَ على هَذَا التأويلِ، إنَّمَا أُنْزِلَتْ هذهِ الآيةُ [أي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[2] فِينَا معشرَ الأنصارِ، إنَّا لَمَّا أَعَزَّ الله دينَهُ وكَثُرَ ناصِرُوهُ فقُلْنَا فِيمَا بَيْنَنَا بَعْضُنَا لبعضٍ سرًّا مِنْ رسولِ الله ﷺ: إنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فَلَوْ أَقَمْنَا فِيهَا فَأَصْلَحْنَا ما ضاعَ مِنْهَا، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ يَرُدُّ عَلَيْنَا ما قلنا ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ في الإقامةِ في الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو. قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية))[3].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

وهذا واضح من قول الصحابي عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ يصنع هكذا" وفي الرواية الأخرى: "إني لا أزيدكم على ما رأيت رسول الله ﷺ يصنع. أو هكذا صنع رسول الله ﷺ".

والإخبار كان وسيلة فعالة -وما يزال- في نقل أفعال النبي ﷺ إلى المدعوين وكذلك أوصافه الخلقية والخُلقية، وذلك ليقتدي المدعوون به ﷺ في أخلاقهم وأفعالهم

---

(١) توضيح الحكام من بلوغ المرام ٥٢٢/٢. وانظر: سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٣٥٣/٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٣) أخرجه أبوداود ٢٥١٢، والترمذي ٢٩٧٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٢١٩٣).

وحياتهم اليومية، فهو ﷺ قدوتهم وأسوتهم، وقد قال الله تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالدعاء:

إن من الأساليب التربوية، التربية بالدعاء سواء كان الدعاء للنفس أم كان للغير، فبالدعاء تزداد شحنة العاطفة وقوداً وتتمكن الرحمة والرأفة من القلوب[1]، وقد تضمنت أحاديث الباب كلها الدعاء حيث جاء الباب لبيان ما يقرأ ويدعى به في صلاة الجنازة، وإن كان الدعاء في أصل صلاة الجنازة إلا أن الأدعية جاءت عامة شاملة للجميع، للأحياء والأموات، للصغار والكبار، والشهود والغائبين، للإناث والذكور، كما جاء في صريح حديث أبي هريرة وأبي قتادة رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ صلى على جنازة فقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا. اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسْلاَمِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ. اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلاَ تُضِلَّنَا بَعْدَهُ».

إن التربية بالدعاء لها أكبر الأثر في تطهير النفس وتزكية السلوك وحسن التوجه إلى الله تبارك وتعالى، فما من إنسان يمسه الضر وتضيق به السبل إلا ويلجأ إلى القوة المعينة التي فُطِرَ على دعوتها والتضرع إليه.

إن الدعاء له أثره التربوي الذي لا ينكر فهو:

-ثمرة المعرفة، والإيمان بمنهج القرآن وفكرته عن الكون، وشعور عميق بالعبودية والفقر والحاجة إلى الله، وضمان للنفس من الغفلة والطغيان والاعتداء، ففي غفلة النفس عن حقيقة عبوديتها لله وحاجتها إليه سبيل إلى طغيانها واعتدائها، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾[2].

كما أن في الدعاء تذكير للنفس بحقيقة فقرها إلى الله تعالى وصلتها به، ومن ثَمَّ كانت حياة رسول الله ﷺ دعاءً دائماً لنفسه وللمؤمنين، يدعو مع كل عمل وكل

---

(١) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ٨٥.

(٢) سورة العلق، الآيتان: ٦، ٧.

حركة بالليل أو النهار وله في ذلك دعوات مأثورة كان يدعو بها ويعلمها لأصحابه، كما نرى ذلك واضحاً في أحاديث الباب في أدعية الجنازة حفظها الصحابة رضي الله عنهم ونقلوها إلى الأمة جيلاً بعد جيل.

-كما أن الدعاء هو سبيل القوة الحقة، فلا يَقْضى على النفس ويوردها موارد التهلكة، كإحساسها بالضياع وفقدان السند المعين واليد المعينة، إنه إحساس يأتي على كل ما فيها من قوة وثقة وعزيمة على السير إلى نهاية الطريق، وهو سر ما تعانيه المجتمعات الملحدة من كثرة حوادث الانتحار وضحايا القلق والصرع والجنون، رغم ما تنعم به من متعة وراحة مادية في الحياة، وفي إحساس المؤمن بحفظ الله ورعايته، وأنه يستمع إليه إذا شكا ويجيبه إذا دعا ويأخذ بيده إذا كبا ويمده إذا ضعف ويعينه إذا احتاج، إحساس يملأ النفس سكينة وراحة ويخلق فيها القوة الحقة والعزم والثقة والرضا[1].

ثانياً- التربية الفقهية:

من أولويات التربية الإسلامية الفقه في الدين وتعلم أحكامه لاسيما الأحكام المتعلقة بالعقيدة والعبادات، كما أن التربية الإسلامية لا تحرص على مجرد التعليم للأحكام بل لابد من فهمها وفقهها، "ولقد عاب الله تعالى في كتابه -في غير ما موضع- الذين لا يفقهون، فقال تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[2]. وأخبر ﷺ أن من إرادة الله الخير بالعبد أن يُفَقّهه في الدين، فعن حميد بن عبدالرحمن قال: سَمِعْتُ مُعاوِيَةَ رضي الله عنه خَطيباً يقول: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقول: «مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خَيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين. وإنَّما أَنا قاسِمٌ، واللّهُ يُعطِي. ولنْ تزالَ هذهِ الأمَّةُ قائِمةً على أَمْرِ اللّهِ لا يَضُرُّهمْ مَنْ خالَفَهُم حتىٰ يأتيَ أَمرُ اللّه»[3]. وتواصت الأمة بالعلم بأحكام

---

(١) انظر: منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ٢١٨-٢٢٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٣) أخرجه البخاري، ٧١، ومسلم، ١٠٣٧.

الدين والتفقه فيها[١]، خاصة من نصبوا أنفسهم للدعوة إلى الله تعالى وتعريف الناس بأحكام دينهم.

وقد بينت أحاديث الباب بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بما يقرأ في صلاة الجنازة، كعدد تكبيراتها، وما يقال ويقرأ بعد كلٍ منها، ومن ذلك ما جاء في حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه أنه: «كبر على جنازة ابنه له أربع تكبيرات ... ثم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع هكذا» والتسليم، كما في رواية: «ثم سلم عن يمينه وعن شماله».

لذا كان من أهداف التربية الإسلامية الاهتمام بتعلم العلم النافع ومعرفة المسائل الشرعية وأدلتها من الكتاب والسنة[٢].

وأهم ما ينبغي التركيز عليه في تعليم الناشئة وتربيتهم، تعليم الطهارة والصلاة وأحكامهما، وأحكام الصيام، مع التركيز على التربية بالقدوة من قِبل الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات ليقتدى بهم أولادهم وبناتهم، ولذا يستحب أداء النوافل في البيت، وعللوا ذلك باقتداء الأولاد بأبيهم، وتدريبهم على أداء الصلاة، فيقتدوا بوالدهم في أفعاله ما داموا صغاراً لم يذهبوا للمسجد، كما أن على الأمهات تعليم بناتهن أحكام النساء الخاصة بهن في الطهارة والصلاة والحجاب والحياء وغير ذلك[٣].

ثالثاً- التربية العقدية:

إن من أعظم الأسس التي تقوم عليها التربية الإسلامية الأساس العقدي، وقد تضمنت أحاديث الباب الإشارة إلى عدد من أمور العقيدة الإسلامية ومنها:

أ-الإيمان بربوبية الله تعالى، وأنه المتصرف في خلقه وما يجب له من صفاتٍ وأفعال فهو الخالق، الهادي العالم بأسرار النفوس وعلانيتها، وغير ذلك من صفات كالرحمة والمغفرة وغيرها، ومن أحاديث الباب التي جمعت هذه المعاني حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنازة: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّهَا وَأَنْتَ خَلَقْتَهَا وَأَنْتَ هَدَيْتَهَا لِلإِسْلَامِ

---

(١) انظر: تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش ص ٨٢، ٨٣.

(٢) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ١٠٤، ١٠٥.

(٣) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي ص ٣٣، ٣٤.

وَأَنْتَ قَبَضْتَ رُوحَهَا وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِسِرِّهَا وَعَلَانِيَتِهَا، وقَدْ جِئْنَاكَ شُفَعَاءَ فَاغْفِرْ لَه»، وفي حديث أبي عبدالرحمن عوف بن مالك ... «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ . وَاعْفُ عَنْهُ ....».

ب-الإيمان بالغيبيات والتي لا علم لإنسان بها إلا من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ كالجنة ونعيمها، والنار وعذابها، والقبر وفتنته -نسأل الله السلامة- وقد وردت الإشارة إلى ذلك في أحاديث الباب، كما في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه ... «... وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ».

إن للتربية العقدية أكبر الأثر في نفس وحياة المسلم بوصفها الأساس الأول من أسس التربية في الإسلام من حيث كون العقيدة الإسلامية قاعدة تنبني عليها كل حركة، وكل سكنة من حركات وسكنات المسلم في حياته، ولذا فإنها والحالة تلك، تكون مقياساً حتمياً لكل سلوك يسلكه، سواء أكان سلوكاً دنيوياً أم كان سلوكاً أخروياً بحيث يقبل ويأخذ ما وافق العقيدة ويرد ويرفض كل ما خالف العقيدة الإسلامية.

كما أن غرس العقيدة الإسلامية في نفس المسلم بوصفه عملاً رئيساً من مهام المربي المسلم يجعل سلوك الفرد متفقاً مع أهداف التربية الإسلامية، ويضمن بالتالي تحقيق التوازن النفسي والوجداني عند الفرد بخاصة حيال مظاهر الكون، وأخيراً يستطيع أن يصدر الأحكام المبنية على وجهة نظر الإسلام تجاه الأشياء والظواهر والعلاقات بصورة صحيحة[1].

رابعاً- الحفظ:

من وسائل التربية الإسلامية والبناء العلمي والفكري الحفظُ، وقد كان النبي ﷺ يقوم بتلقين أصحابه وتحفيظهم القرآن والسنة، وكذلك في كثير من الأعمال والعبادات يأتي بها مع إعطائه الفرصة للصحابة أن يسمعوا له ويحفظوا عنه، كأن يدعو بصوت يُسْمِع مَنْ معه كما في حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ٨١-٨٦.

الله ﷺ على رجل من المسلمين فسمعته يقول:...»، وذلك مما يُمَكِّنُ الصحابة من المتابعة والحفظ، كما في حديث عوف بن مالك قال: «صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول...».

إن أول ما ينبغي توجيه الناشئة والمتربين لحفظه هو كتاب الله وسنة رسوله الله ﷺ، وذلك لما لهما من أهمية في بناء وتكوين عقل الطفل، وهما مصدرا إشعاع العلوم.

ولقد كان من فعل الصحابة والسلف أن أول ما يلقنونه للطفل القرآن والسنة، لأنهما المصدران الأساسيان في بناء الطفل علمياً، ولهذا قال ابن سينا في كتاب "السياسة" فإذا تهيأ الصبي للتلقين وَوَعَى سمعُه أَخَذَ في تعلم القرآن وصُوِّرَت له حروفُ الهجاء ولُقِّن معالم الدين[1].

خامساً- من أهداف التربية الإسلامية: الحث على الإخلاص:

إن شرط قبول الأعمال قاطبة الإخلاص لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[2].

وقد ورد الأمر بالإخلاص في أحاديث الباب في صريح قوله ﷺ: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ».

وإذا كان الإسلام أمرنا بإخلاص النية في كل عمل وفي كل مجال فأولى الناس بإخلاص النية الذين نصبوا أنفسهم لتعليم الناس وتربية الناشئة، وذلك استحضاراً لقيمة العمل الذي يقومون به يبتغون من الله الفضل والثواب، "إذ أن المعلم القدير هو الذي يشعر بمدى أهمية عمله وعظم المسئولية الملقاة على عاتقه، وأن يقصد بعمله مرضاة الله تعالى وبلوغ الحق وإحقاقه، ويسعى لنشر العلم وتعليم الناشئة من أبناء المسلمين.

إن المعلم القدير الذي يخلص في عمله، وتَكُون نيته منفعة أبناء المسلمين، فإنه

---

(١) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ٣١٦.

(٢) سورة البينة، آية: ٥.

سيحظى بقبول عمله، ويلقى المثوبة والأجر من رب العزة جل وعلا، وعليه فإنه يجب على المربي أن يحرر نيته، ويقصد بها وجه الله تعالى في كل ما يقوم به من أقوال وأفعال، ويخلص في عمله سواء أكان هذا العمل تعليماً أو توجيهاً أو تربية أو نصحاً أو أمراً أو نهياً أو تشجيعاً أو عقوبة، حتى يكون عند الله من المقبولين، وقال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾[1].

فالمعلم المخلص في نيته، يحظى بقبول علمه، ويلقى الأجر والثواب من رب الأرباب -عز وجل- وإذا أقبل العبد بقلبه على الله أقبل الله عليه بقلوب عباده[2].



(١) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٢) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان ص ١٤٢-١٤٥.

١٥٨- باب الإسراع بالجنازة

الحديث رقم (٩٤٢)

٩٤٢- عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((أَسْرِعُوا بالجِنَازَةِ، فَإنْ تَكُ صَالِحَةً، فَخَيرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإنْ تَكُ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي روايةٍ لمسلمٍ[2]: ((فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا عَلَيْهِ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (أسرعوا بالجنازة) الْجِنَازَةُ وَالْجَنَازَةُ - بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ، بِالْفَتْحِ هُوَ الْمَيِّتُ، وَبِالْكَسْرِ: النَّعْشُ، فعَلَى هَذَا: يَلِيقُ الْفَتْحُ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (سَارِعُوا بِالْجِنَازَةِ) يَعْنِي بِالْمَيِّتِ فَإِنَّهُ الْمَقْصُودُ بِأَنْ يُسْرَعَ بِهِ. وهو أمر توجيه، وإرشاد يندب الأمة إلى سرعة دفن الميت، وقد علل لذلك بقوله (فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً، فَخَيرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ) وفيه مقابلة بين قوله صالحة، والتعبير الكنائي عن مقابل الصلاح، وهو الفساد في قوله: (وَإِنْ تَكُ سِوَى ذَلِكَ) كما قابل بين خير، وشر الذي يشير إلى تبليغ الميت لمصيره الذي يتقرر بناءً على ما قدم، وفيه ترغيب في العمل الصالح، وتحذير من ضده، والإسراع بتجهيز الميت.

فقه الحديث

اتفق العلماء على استحباب الإسراع بالجنازة، إلا أن يخاف من الإسراع انفجار

---

(١) أخرجه البخاري ١٣١٥، ومسلم ٥٠/٩٤٤ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٥٦.

(٢) بالرقم الذي تقدم، وفيه في نسخة: (إليه) بدل: (عليه).

الميت أو تغيره[١]. وخالف ابن حزم الظاهري وقال بوجوب الإسراع بالجنازة[٢].

واختلف الفقهاء بعد ذلك في تفسير الإسراع: فذهب الأحناف إلى أنه يُسرع بالميت بلا خبب، وهو كالرمل، وحَدُّه أن يسرع به بحيث لا يضطرب الميت على الجنازة[٣].

وذهب المالكية إلى أن المراد بالإسراع بالجنازة، مايعم غسلها وتكفينها وحملها والمشي معها مشيًا دون الخبب، فإنه يكره الإسراع الذي يشق على ضعفة من يتبعها. ولا يمشى بالجنازة مشي الهوَيْنى ولكن مشية الرجل الشاب[٤]. وذهب الشافعية إلى أن المراد بالإسراع ماكان فوق المشي المعتاد ودون الخبب. فإن خيف عليه تغيير أو انفجار أو انتفاخ زيد في الإسراع[٥].

وذهب الحنابلة إلى أن الإسراع المستحب إسراع لا يخرج عن المشي المعتاد[٦]. والراجح ما ذهب إليه الحنابلة، وذلك لأن المشي غير المعتاد يؤدي إلى اضطراب الميت وانفجاره وتغيره، كما أن الذين يتبعون الجنازة منهم الضعيف وكبير السن.

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٠٦/٢، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤٤/١، وفتح العلي المالك ١٥٥/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٤/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٣٥/٥، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢/٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٨/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧٤/٢.

(٢) المحلى، ابن حزم ١٥٤/٥.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٠٦/٢، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤٤/١.

(٤) فتح العلي المالك ١٥٥/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٤/٢.

(٥) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٣٥/٥، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢/٧، وشرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ١٦٩/٢.

(٦) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٨/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧٤/٢.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر والتعليل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الإسراع بالجنازة.

ثالثًا: من فقه الداعية: التعبير عن المعاني المكروهة بما يدل عليها دون التصريح.

رابعًا: من موضوعات الدعوة مصاحبة الصالحين والبعد عن الأشرار.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر والتعليل:

الأمر هو قوله ﷺ "أسرعوا بالجنازة"، قال ابن حزم: (الإسراع بها أمر)[2]. أما التعليل فقوله ﷺ: "فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم" والإتيان بالتعليل بعد الأمر، دعوة للمدعوين أن يزدادوا في الامتثال والانقياد، لكونهم على بيّنة من علة الأمر وسببه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الإسراع بالجنازة:

هذا واضح من الأمر في الحديث "أسرعوا بالجنازة" قال النووي: (فيه الأمر بالإسراع للحكمة التي ذكرها ﷺ)[3]. وقال ابن حجر: (وفيه استحباب المبادرة إلى دفن الميت، لكن بعد أن يتحقق أنه مات، أما مثل المطعون والمفلوج والمسبوت[4]، فينبغي ألا يسرع بدفنهم حتى يمضي يوم وليلة ليتحقق موتهم)[5].

قال أبو العباس القرطبي: (قوله ﷺ: "أسرعوا بالجنازة" أي أسرعوا بحملها إلى قبرها في مشيكم، يدلُّ عليه قوله في آخره: "فخيرٌ تقدمونها إليه، أو شر تضعونه عن

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٤١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٤٢).

(٢) المحلى، ابن حزم ٥٠٢ المسألة رقم ٥٩٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤/٧/٤.

(٤) المطعون من أصابه الطاعون، والمفلوج: من تعطل بعض أعضائه عن الحركة لموت الأعصاب فيها. والمسبوت: المغشي عليه. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٤١٢، ٥٥٨، ٦٩٩، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤١٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١٨٤/٣.

رقابكم". وقيل: يعني به: الإسراع بتجهيزها بعد موتها لئلا تتغيّر، قال [أي القرطبي] والأول أظهر. ثم لا يبعد أن يكون كلٌّ واحدٍ منهما مطلوبًا؛ إذ مقتضاه مطلق الإسراع. فإنه لم يقيده بقيد. والله أعلم. ثم على الأول: فذلك الإسراع يكون في رفقٍ ولطفٍ؛ فإنه إن لم يكن كذلك تعب المتبع، ولعله يضعف عن كمال الاتباع، وانخرقت حرمةُ الميت لكثرة تحريكه، وربما يكون ذلك سبب خروج شيء منه، فيتلطخ به، فيكون ذلك نقضُ المقصود الذي هو النظافة. ومقصود الحديث: ألا يُتباطأ في حمله بالمشي فيؤخَّر عن خير يقدم به عليه. أو يستكثر من حمل الشر إن كان من أهله. ولأن المبطئ في مشيه يخاف عليه الزهو والتكبر، وهذا قول الجمهور.

وقد تضمَّن هذا الحديث: الأمرَ بحمل الميت إلى قبره. وهو واجبٌ على الكفاية إن لم يكن له مالٌ يحملُ منه)[1].

وقال ابن عثيمين: (الإسراع في الجنازة يشمل الإسراع في تجهيزها والإسراع في تشييعها والإسراع في دفنها، وذلك أن الميت إذا مات، فإما أن يكون صالحًا، وإما أن يكون سوى ذلك، فإن كان صالحًا، فإن حبسه حيلولة بينه وبين ما أعده له الله من النعيم في قبره، لأنه ينتقل من الدنيا إلى خير منها وإلى أفضل، لأنه حين احتضاره ومنازعته من الموت يبشر، يقال لروحه: ((أبشري برحمة من الله ورضوان))[2]، فيشتاق لهذه البشرى فيجب أن يتعجل وأن يُعجَّل به، فإذا حبس كان في هذا شيء من الجناية عليه، والحيلولة بينه وبين ما أعده الله له من النعيم إليه، فإن كان غير صالح - والعياذ بالله - فإنه لا ينبغي أن يكون بيننا، وينبغي أن نسارع بالتخلص منه، ولهذا قال النبي ﷺ: "أسرعوا بالجنازة" أسرعوا بها في تجهيزها وتشييعها ودفنها لاتؤخروها "فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه" خير يعني خيرًا مما انتقلت منه "تقدمونها إليه" لأنها تقدم -جعلنا الله وإياكم منهم- إلى رحمة الله ونعيم وسرور ونور فتقدمونها إلى خير

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٦٠٢-٦٠٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٤٢٦٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ٣٤٣٧).

"وإن تك سوى ذلك" يعني ليست صالحة "فشر تضعونه عن رقابكم" تسلمون منه، لأنه ما لا خير فيه لا خير في بقائه. إذًا يستفاد من هذا الحديث أنه يسن الإسراع بالجنازة وألا تؤخر)[١].

قال عبدالله البسام: (ما يؤخذ من الحديث: الأمر بالإسراع بالجنازة من مكان الصلاة إلى القبر، وصفة الإسراع مشي سريع الخطا دون الخَبَب[٢]. وقال الموفق[٣]: هذا الأمر للاستحباب بلاخلاف بين العلماء اهـ. وذكر غير واحد من العلماء أن الإسراع لا يصل إلى الإفراط الذي يمخض مخضًا، فيرج الجنازة ويؤذي تابعيها، وإنما تراعي السنة بالإسراع، ويراعى الرفق بالميت والمشيِّعين. وقال ابن القيم: أما دبيب الناس اليوم خطوة خطوة، فبدعة مكروهة مخالفة للسنة للتشبه بأهل الكتاب اهـ.

وقال شيخ الإسلام: كان الميت في عهد النبي ﷺ يخرج به الرجال يحملونه إلى المقبرة، لا يسرعون ولا يبطئون، بل عليهم السكينة، ولا يرفعون أصواتهم لا بقراءة ولا بغيرها، وهذه هي السنة باتفاق المسلمين اهـ.

والإسراع بالجنازة هنا يشمل الإسراع في تجهيزها ودفنها، فهو أعم من أن يكون الإسراع في حملها إلى القبر، لما روى أبو داود أن النبي ﷺ قال: ((لا ينبغي لجيفة مسلم أن تبقى بين ظهراني أهله))[٤].

هذا ما لم يكن في تأخيرها مصلحة من حضور الأقارب ونحوهم، أو يكون مات في حادث جنائي يتطلب بقاء جثة الميت للتحقيق في أمرها، فإن حقق التأخير مصلحة ظاهرة فلا بأس ببقائها، لا سيما مع وجود الأماكن المبردة التي تحفظ الجسد من الفساد)[٥].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٢٠٢/٢.

(٢) نوع من الجري والعدو يميل فيه العادي على يمينه مرة وعلى يساره مرة. معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ١٧٠.

(٣) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٩٤/٣.

(٤) أخرجه أبو داود ٣١٥٩، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٦٩٢).

(٥) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٣٢/٢.

ثالثًا- من فقه الداعية: التعبير عن المعاني المكروهة بما يدل عليها دون التصريح:

هذا واضح من قوله ﷺ "وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم" قال ابن عثيمين: (يستفاد منه أن ينبغي أن يعبر عن الألفاظ السيئة بما يدل عليها بدون سوء، لأن قسيم الصالحة: الفاسدة، ولكن النبي ﷺ عدل عن كلمة "تك فاسدة" إلى قوله "وإن تك سوى ذلك" وهذا من باب التأدب في اللفظ وإلا فالمعنى واحد. والتأدب في اللفظ له شأن عجيب، انظر إلى قوله تعالى عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[1] لما أرادوا الخير أضافوه إلى الله "أم أراد بهم ربهم رشدا" وفي الشر قالوا "أشر أريد" وما قالوا: "شر أراده الله"، مع أن الله مريد للخير والشر، لكن الشر الذي يريده الله ليس شرًا في فعله بل في مفعولاته، أما فعله عز وجل فلاشك أنه خير، لكن يقدر الشر للخير لحكمة يريدها عز وجل، المهم أنه ينبغي للإنسان أن يتأدب في صياغة الألفاظ من غير إخلال بالمعنى.

ويذكر أن ملكًا من الملوك رأى رؤيا، وهي أن أسنانه قد سقطت واهتم لذلك، فجمع الذين يعبرون الرؤيا -أي يفسرونها- فقال له واحد: إن حاشيتك تموت وأهلك معهم، ففزع الملك ولم يعجبه هذا التفسير، فأمر بالرجل فجلد، ثم دعا آخر وقال له ما رأى. قال إن الملك يكون أطول أهله عمرًا، المعنى واحد، فأكرمه وأجازه، فالألفاظ لها تأثير، ولهذا قال: الرسول ﷺ "وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم")[2].

وقد قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ﴾[3].

---

(١) سورة الجن، آية: ١٠.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٠٢-١٢٠٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

قال القاسمي: (الرفث أصله قول الفحش، وكنّى به هنا عن الجماع وما يتبعه، كما كنّى عنه في قوله ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾[١]، وقوله ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾[٢]، فالله كريم يكني، وإيثار الكناية عنه -هنا- بلفظ الرفث الدال على معنى القبح -عدا بقية الآيات- استهجانًا لما وجد منهم قبل الإباحة، كما سماه اختيانًا لأنفسهم، والكناية عما يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه، من سنن العرب، وللثعالبي في آخر كتابه "فقه اللغة" فصل في ذلك بديع)[٣].

وقال النووي: (المستحب في مثل هذا، الكناية عن قبيح الأسماء، واستعمال المجاز والألفاظ التي تحصل الغرض، ولا يكون في صورتها ما يستحيا من التصريح بحقيقة لفظه، وبهذا الأدب جاء القرآن العزيز والسنن ... وقد يستعملون صريح الاسم لمصلحة راجحة، وهي إزالة اللبس، أو الاشتراك، أو نفي المجاز، أو نحو ذلك كقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾[٤] وكقوله ﷺ: ((أنِكتَها؟))[٥] وكقوله ﷺ: ((أدبرَ الشيطانُ وله ضُراطٌ))[٦] وكقول أبي هريرة رضي الله عنه: ((الحَدَث فُسَاء أَوْ ضُرَاطٍ))[٧] ونظائر ذلك كثيرة)[٨].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: مصاحبة الصالحين والبعد عن الأشرار:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ "فشر تضعونه عن رقابكم" قال النووي: (معناه أنها بعيدة من الرحمة، فلا مصلحة لكم في مصاحبتها، ويؤخذ منه ترك صحبة أهل

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٨٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٣.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢/١١١-١١٢.

(٤) سورة النور، آية: ٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٨٢٤ بهذا اللفظ.

(٦) أخرجه البخاري ٦٠٨، ومسلم ٣٨٩.

(٧) أخرجه البخاري ١٣٥.

(٨) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٣.

البطالة غير الصالحين)[١]. وقال عبدالله البسام: (فيه طلب مصاحبة الأخيار والابتعاد عن الأشرار)[٢].

وقد قال النبي ﷺ: ((مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ. فَحَامِلُ الْمِسْكِ، إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً. وَنَافِخُ الْكِيرِ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً))[٣].

وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث بقوله: (ذكر الأمر بمجالسة الصالحين، وأهل الدين دون أضدادهم من المسلمين)[٤].

قال النووي: (فيه فضيلة مجالسة الصالحين، وأهل الخير، والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر، وأهل البدع، ومن يغتاب الناس، أو يكثر فجره وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة)[٥].

وقال ابن حجر: (وفي الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما)[٦].

ولاشك أن مصاحبة الأخيار طريق لاكتساب الخير، كما أن مصاحبة الأشرار طريق للتهوين من فعل الشر وإتيانه وملابسته، لذا كانت مصاحبة الأخيار يحث عليها الشرع وأصحاب الأفهام الراشدة، يقول محمد بن إبراهيم الحمد عن أثر مصاحبة الأخيار وأهل الهمم العالية في اكتساب الهمة العالية والإرادة القوية، يقول: (فهذا الأمر من أعظم ما يبعث الهمة، ويربي الأخلاق الرفيعة في النفس؛ فالإنسان مولع بمحاكاة من حوله، شديد التأثر بمن يصاحبه.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥/٧/٤، ، ونقل ابن حجر ذلك القول في فتح الباري، ابن حجر ١٨٤/٣.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٣٢/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٢١٠١، ومسلم ٢٦٢٨.

(٤) صحيح ابن حبان ٣٢٠/٢ الحديث رقم ٥٦١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨١/١٦/٨، .

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٣٢٤/٤.

والصداقة الشريفة -لا صداقة المنفعة- تشبه سائر الفضائل من حيث رسوخُها في النفس، وإيتاؤها ثمرًا طيبًا في كل حين؛ فهي تُوجد من الجبان شجاعة، ومن البخيل سخاء؛ فالجبان قد تدفعه قوة الصداقة إلى أن يخوض في خطر؛ ليحمي صديقه من نكبة.

والبخيل قد تدفعه قوة الصداقة إلى أن يبذل جانبًا من ماله؛ لإنقاذ صديقه من شدة.

فالصداقة المتينة لا تحل في نفس إلا هذبت أخلاقها الذميمة.

فالمتكبر تنزل به الصداقة إلى أن يتواضع لأصدقائه، وسريع الغضب تضع الصداقة في نفسه شيئًا من كظم الغيظ، فيجلس إلى أصدقائه في حلم وأناة، وربما اعتاد التواضع والحلم، فيصير بعد ذلك متواضعًا حليمًا.

بل إن كثيرًا من النابغين يَعْزُون نبوغهم إلى أنهم وفقوا لاختيار صاحب أو أصحاب أثّروا فيهم أثرًا صالحًا، ونبَّهوا فيهم قوى كانت خاملة.

فإذا ما وفق المرء لصحبة الأجلاء العقلاء من ذوي الدين والمروءة، فإن ذلك من علامات توفيقه، ومن مهيئات نبوغه.

فإذا كان الأمر كذلك، فما أجدر المرء أن يبحث عن إخوان الثقات؛ حتى يعينوه على كل خير، ويقصروه عن كل شر.

قال ابن حزم: من طلب الفضائل لم يساير إلا أهلها، ولم يرافق في تلك الطريق إلا أكرم صديق من أهل المواساة، والبر، والصدق، وكرم العشيرة، والصبر، والوفاء، والأمانة، والحلم، وصفاء الضمائر، وصحة المودة)[1].

---

(١) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ٢٠٧-٢٠٨. وانظر مراجعه ومصادره.

الحديث رقم (٩٤٣)

٩٤٣- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النبي ﷺ، يقُولُ: ((إِذَا وُضِعَت الجَنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أعناقِهِمْ، فَإنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قالتْ: قَدِّمُونِي، وَإنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ لأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إلاَّ الإنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَ الإنسَانُ لَصَعِقَ)) رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

يا ويلها: الويل: الحُزن والهلاك والمشقة من العذاب، ومعنى النداء فيه: يا حزنها وهلاكها وعذابها، احضُر فهذا وقتك وأوانك[٢].

صَعِقَ: غُشي عليه من شدة الصوت، وربما مات منه[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول جانباً غيبياً يعرض لكل ميت فالمعنى يشمل الجميع، وقد أخذ هذا العموم من أسلوب الشرط، وبناء فعل الشرط فيه لما لم يسم فاعله، والتعبير بالاحتمال عن الحمل في قوله (واحتملها) يدل على التكلف، والمشقة الجسدية، والنفسية؛ لأن ذكر الموت مما تنقبض له القلوب لاسيما قلوب غير المؤمنين، بالإضافة إلى أن الجنازة تكون حاضرة قريبة على أعناقهم، وقوله (على أعناقهم) توكيد للحمل، والقول المحكي عن الميت الصالح: (قَدِّمُوني قَدِّمُوني) الأمر على غير حقيقته، والمقصود به الإشادة، والتنويه بصاحب العمل الصالح ترغيباً في العمل الصالح، وتكراره يوحي بحسن المصير، وجميل ما أطلعت عليه، والقول المحكي عن الميت غير الصالح (يَا

---

(١) برقم ١٣١٦، وتقدم برقم ٤٤٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ي ل).

(٣) المرجع السابق في (ص ع ق).

وَيْلَهَا! أَيْنَ تَذْهَبُونَ بها؟) صدر على سبيل التجريد كأنها لما رأت سوء مصيرها كرهت أن تنسب هذا المصير إليها فجردت من نفسها مثلها، وخاطبتها هذا الخطاب، بنداء الترهيب، وإضافة الويل لها، ثم الاستفهام بغرض التهويل، وهو يشير إلى سوء ما رأت، وما ينتظرها، ويؤكد هذا الهول بلوغ مدى الصوت من الألم كل شيء عد الإنسان قال: (يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إلاَّ الإِنْسانُ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ) والتعبير بالصعق يحكي قوة الصوت الذي يبلغ حده قتل السامع، وهو هول يستلزم الجد، والاجتهاد في العمل الصالح.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الإيمان بالله واليوم الآخر:

تضمن حديثا الباب الدعوة والتربية على الإيمان باليوم الآخر، ويشمل ذلك ما يقع للميت بعد قبض روحه وما يجده في القبر من نعيم أو عذاب، وما بعده من بعث وحشر ونشر ووزن للأعمال والإيمان بالصراط والجنة والنار، وغير ذلك.

ورؤية الإنسان بعد موته لما أُعد له من نعيم أو عذاب، فإن كان من الذين أنعم الله عليهم فرح بمصيره فتُنَادي جنازتُه بالتقديم، وإن كان غير ذلك نادت بالويل، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كان النبي ﷺ يقول: «إذا وُضِعَتِ الجنازةُ فاحتمَلها الرِّجالُ على أعناقهم. فإنْ كانت صالحةً قالت: قدِّموني، وإن كانت غيرَ صالحةٍ قالت لأهلِها: يا وَيلَها، أينَ تذهَبونَ بها؟ يَسمَعُ صوتَها كلُّ شيءٍ إلاّ الإنسانُ، ولو سَمِعَ الإنسانُ لصَعِقَ».

إن الإيمان باليوم الآخر يجعل المؤمن في راحة وسرور لما ينتظره بإذن الله في جنة عرضها كعرض السماء والأرض مهما كانت عليه حاله من غنى وفقر وصحة ومرض وغير ذلك[1].

إن تربية الإنسان على الإيمان بالله واليوم الآخر ومعرفته بما يحدث له منذ موته إلى أن يستقر به المقام في جنة أو نار يورثه الرغبة فيما عند الله من نعيم وفضل فيدفعه ذلك إلى عمل الصالحات، كما يورثه الرهبة من عذاب الله وانتقامه فيدفعه إلى اجتناب الذنوب والموبقات.

إن مما نلحظه في حديثي الباب أن الرسول ﷺ في نقله لأحوال الناس بعد الموت وهم يُحملون على الأعناق إلى قبورهم، قَابَل بين الجنازة الصالحة وغير الصالحة، فقال ﷺ:

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله تعالى في ضوء حديث ابن عمر رضي الله عنهما، د. احمد بن محمد بن عبدالله أبابطين، بحث من إصدارات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ص ٨٠، ٨١.

«فإنْ كانت صالحةً قالت: قدِّموني، وإن كانت غيرَ صالحةٍ قالت لأهلِها: يا وَيلَها، أينَ تذهَبونَ بها؟...»، وفي ذلك "عرض للصورة كلها مكتملة الأجزاء واضحة المعالم فيسهل تصورها وتسهل المقارنة بين أجزائها وبضدها تتميز الأشياء، وفي ذلك إبراز لميزات التربية الإسلامية الجامعة المانعة التي تجمع بين الترغيب والترهيب بين الخوف والرجاء فتضرب على جميع الأوتار لا تهمل وتراً منها ليظل الكائن البشري متحفزاً للعمل مستعداً للمواءمة بين الظروف المختلفة فيكتمل صلاحه، ويحقق إنسانيته وأسبقيته وخلافته في الأرض"[1].

ثانياً: التربية الفقهية:

وقد تضمن حديثا الباب الإشارة إلى عدة أمور فقهية منها:

أ- استحباب الإسراع بالجنازة مع مراعاة الحفاظ على حرمة الجنازة، في قوله ﷺ: «أسرعوا بالجنازة ...».

ب- أن حمل الجنائز موكل بالرجال إلا لضرورة، فقال ﷺ: «إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم ...».

وهذا يشير إلى أهمية التربية على تعلم الأمور الفقهية وتعليم الناشئة والتلاميذ أحكام الدين خاصة الأحكام الخاصة بالعبادات الواجب الإتيان بها، "فإن تعلم الفقه له أهميته الرئيسة في حياة المسلم مع التركيز على التربية بالقدوة من قِبَل الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات ليقتدي بهم أولادهم وبناتهم، ولذا يستحب أداء النوافل في البيت، وعللوا ذلك باقتداء الأولاد بأبيهم وتدريبهم على أداء الصلاة فيقتدوا بوالدهم في أفعاله ما داموا صغاراً لم يذهبوا للمسجد، كما أن على الأمهات تعليم بناتهن أحكام النساء الخاصة بهن في الطهارة والصلاة والحجاب والحياء"[2].

لذا كان لابد لمن يتصدرون للتربية والتعليم والآباء من الإلمام ببعض الأمور الفقهية والمسائل الشرعية التي تُعد من متطلبات التربية الإسلامية مما يكثر الناس السؤال عنه

---

(١) انظر: التربية الإسلامية، محمد أحمد جاد صبح ١/١٥٦، ١٥٧.

(٢) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد الباتلي ص ٣٢، ٣٤.

ويلجؤون عادة إلى الدعاة والمربين يلتمسون منهم الفتوى في ذلك، فمن لم يكن متضلعاً في الفقه سكت أو تهرب، وفي ذلك إضعاف لموقفه وتأثيره، أو أفتى بغير علم، وهذه هي الطامة.

كما أن الفقه في الدين يجعل المربي متمكناً من تصحيح ما يقابله من أخطاء وتقويم ما يواجهه من انحرافات في ضوء الأحكام الشرعية، فإذا رأى بعض الآداب الفاشية أو المنكرات السائدة أو الأخطاء الدينية الشائعة واجهها بعلم وفقه لا بمجرد غضب وعاطفة[1].

ثالثاً: التربية بالتعليل:

إن على المربي أن يُعوِّد المتعلم بأن يقتنع بكل معلومة يتعلمها أو سلوك يسلكه ويستخدم في ذلك أسلوب التعليل، كما نرى واضحاً في حديثي الباب في تعليل النبي ﷺ لإرشاده بالإسراع بالجنازة بأنها إن كانت صالحة يعجل لها بالإسراع إلى الخير وإن كانت غير صالحة يتخلص حاملوها من شرها، فقال ﷺ: «أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُ سِوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ».

إن سوْق الأحكام والمعلومات مع تعليلها أدعى إلى قبولها والتسليم بها، فما أحرى بالآباء المعلمين أن يخاطبوا عقول الأبناء والطلاب، وأن يقفوا بقدرة هذه العقول على التفكير في كثير من الموضوعات، وأن يصححوا أفكارهم في حالة وجود خطأ فيها، وأن يوجهوهم للتفكير السليم، ومن الملاحظ أن البعض لا يقيمون وزناً لتفكير أبنائهم أو مَنْ يعلمونهم، وكأنهم لا عقول لهم، أو كأن تفكيرهم دائماً عاجزٌ وضعيفٌ، فيجب الاهتمام بتنمية عقول الأبناء وتعويدهم على التفكير السليم[2].

أخرج أحمد في مسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه «أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: ادنه فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا

(١) انظر: ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي ص ٨٠، ٨١.

(٢) انظر: التربية الإسلامية، "مصادرها وتطبيقاها"، د. عماد محمد محمد عطية ص ١٢٥-١٢٧.

الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: ولا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[1].

فالفتى هنا لم يكن يغيب عنه حكم الزنا وحرمته، ولذلك جاء يستأذن فيه، فالقول له هنا: اتق الله. هذا حرام، قد لا ينفع الفتى، لأن الحكم عنده معلوم، لكنه يحتاج إلى شيء آخر، لذلك سلك الرسول ﷺ معه أسلوباً آخر وهو بيان الحكمة من منع الزنا، وهو أن المزني بها إما أن تكون أما لأحدٍ أو ابنته أو أخته أو عمته أو خالته، لا يمكن غير ذلك، ولما كان هذا الفتى لا يرضي ذلك لنفسه فكذلك الناس لا يرضون لأنفسهم، فكان في هذه الحجة النفسية قطعاً لدابر الأمر في نفس الفتى، ثم كان الدعاء من الرسول ﷺ له أن يثبته على الحق والعفة.

فهكذا نفعل في مثل هذه المواقف، ويمكن أن يُقال عن هذا التصرف: كن أنت مكانه وقل لي ماذا تفعل؟ ولو أن الإنسان عمل ذلك في أمور كثيرة لانحلت إشكالات تقوم بين الناس، ولو وضع الإنسان نفسه مكان مَنْ يعترض على مسلكه وتصرفه فربما اتخذ المسلك نفسه أو قريبًا منه، فلذلك ينبغي على المربي أن يرشد إلى هذا الطريق[2].



---

(١) أخرجه أحمد ٢٥٧/٥، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، انظر: الموسوعة الحديثية، حديث رقم ٢٢٢١١، ٥٤٥/٣٦.

(٢) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، محمد بن شاكر الشريف ص ١٥١، ١٥٢.

١٥٩- باب تعجيل قضاء الدين عن الميت
والمبادرة إلى تجهيزه إلا أن يموت فجأة فيترك حتى يُتَيَقَّنَ مَوْتُه

الحديث رقم (٩٤٤)

٩٤٤- عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((نَفْسُ المُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضى عَنْهُ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يبين خطر الدين، لأن التهاون فيه تضييع لحقوق الناس، وبعضهم يتهاون فيه، ويماطل في سداده، ويسوف حتى يكون عرضة لفاقة تعجزه، أو موت يفجأه فيضيع حقوق الناس، وقد جاء هذا الحديث في صورة خبرية خالية من المؤكدات في عبارة قليلة الألفاظ عظيمة الدلائل، والتعبير بالنفس يقصد به الروح، والتعبير بالنفس يشمل الروح، والجسد، وكأن الكيان كله أخذ حكم التعليق، وإضافة النفس للمؤمن إضافة تخصيص تشير إلى أن السبب فيما هو فيه من تعلق النفس بسبب الديْن وليس لسبب الكفر، أو غيره، وقوله (معلقة) يوحي بعدم الاستقرار لأن المعلق يكون متأرجحاً بين شيئين لا يصل إلى أحدهما، والتعليق كناية عن عدم بلوغ النفس مقامها التي يجب أن تكون فيه مع المؤمنين، والتصوير الكنائي يوحي للمخاطب بحيرة المعلق الذي لا يستطيع فكاك نفسه بعد موته، مما يدفعه إلى فكاك نفسه في حياته قبل أن يموت بقضاء دينه، كما أن هذه الصورة تجعله يسارع في قضاء دين ميته حتى

---

(١) برقم ١٠٧٨، و١٠٧٩، وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٣٠٦١، وقال الحاكم في المستدرك ٢٦/٢: هذا حديثٌ صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٧٠٢.

يريحه مما هو فيه، ولفظ (حتى) يشير إلى الغاية التي يبلغها التعليق، ووجودها يرغب في المسارعة في القضاء حتى لا يتعرض لطول التعليق، وبناء الفعل (يقضى) لما لم يسم فاعله يفتح الباب لكل قلب خيِّر لكي يقضي، أو يساعد في قضاء دين الميت، وإن لم يكن من أهله، وهو شكل من أشكال التعاون في الأمة الإسلامية في قضاء الديون على مستوى الأفراد، أو على مستوى الدول.

فقه الحديث

استحباب قضاء الدين عن الميت:

يستحب أن يسارع إلى قضاء دين الميت أو إبرائه منه، وبه قال أحمد لحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: "نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه".

قال السيوطي: سواء ترك الميت وفاء أم لا، وشذّ الماوردي فقال: إن الحديث محمول على من يخلف وفاءً.

وقال الحنابلة: إن تعذر الوفاء استحب لوارثه أو غيره أن يتكفل، والكفالة بدين الميت قال بصحتها أكثر الأئمة، خلافًا لأبي حنيفة، فإنه لا تصحّ عنده الكفالة بدين على ميت مفلس، وإن وعد أحد بأداء دين الميت صح عنده عِدَة لا كفالة، وذهب الطحطاوي إلى قول الجمهور[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تعجيل قضاء الدَّيْن عن الميت.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الترهيب من الدَّيْن.

---

(١) غاية المنتهى ٢٢٨/١، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١١٢٧/١، ورد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٧٠/٤ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧/١٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣/٣٦٧-٣٦٨.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تعجيل قضاء الدين عن الميت:

وهذا واضح من الحديث، قال الصنعاني: (هذا الحديث من الدلائل على أنه لا يزال الميت مشغولاً بدينه بعد موته، ففيه حث على التخلص منه قبل الموت، وأنه أهم الحقوق وإذا كان هذا في الدين المأخوذ برضا صاحبه، فكيف بما أخذ غصبًا ونهبًا وسلبًا)[١].

قال المباركفوري: (قوله "نفس المؤمن معلقة" قال السيوطي: أي محبوسة عن مقامها الكريم. وقال العراقي: أي أمرها موقوف، لا حكم لها بنجاة ولا هلاك، حتى ينظر هل يقضى ما عليها من الدين أم لا. انتهى)[٢].

وقال الشوكاني: (فيه الحث للورثة على قضاء دين الميت، والإخبار لهم بأن نفسه معلقة بدينه حتى يقضى عنه، وهذا مقيد بمن له مال يقضي منه دينه، وأما من لا مال له ومات عازمًا على القضاء، فقد ورد في الأحاديث ما يدل على أن الله تعالى يقضي عنه، بل ثبت أن مجرد محبة المديون عند موته للقضاء موجبة لتولي الله سبحانه لقضاء دينه، وإن كان له مال ولم يقض منه الورثة)[٣].

وقال ابن عثيمين: (وذلك يدل على أن الإنسان إذا مات، فإنه يجب على أهله أن يبادروا بقضاء دينه، إذا كان عليه دين، ولا يجوز لهم أن يؤخروا ذلك، لأن المال الذي ورثوه من ماله ليس لهم فيه حق إلا إذا انتهى الدين، يعني: الورثة ليس لهم حق في شيء من التركة حتى يقضى الدين، ولهذا قال الله تعالى في آيات المواريث ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾[٤] فليس للورثة حق أن يأخذوا شيئًا من التركة حتى يقضوا دين الميت، ويجب عليهم المبادرة في قضاء الدين إلا إذا كان مؤجلاً، فإنه يطلب من أهل الدين أن ينتظروا، فإن أبوا فإنه يعجل لهم، وإلا إذا وثّق الورثةُ [الدين] برهن أو كفيل، وقد

---

(١) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٣/٢١٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/١١٢٧.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ص ٦٩٣، وقد ساق من الأحاديث ما يدلل به على كلامه فلتنظر. وانظر كذلك: الترغيب والترهيب ص ٤٠٦-٤١٠.

(٤) سورة النساء، آية: ١١.

تهاون الناس في قضاء الدين عن الأموات، فتجد الميت يموت وعليه الدين، فيلعب الورثة بالتركة ويؤخرون قضاء الدين، فيكون مثلاً عليه مئات الآلاف وترك عقارات كثيرة، فيقول الورثة: لا نبيع العقارات، بل ننتظر حتى تزيد العقارات ثم نبيع، هذا حرام الواجب أن يبادروا حتى ولوا باعوا الشيء بنصف الثمن، لأن المال ليس لهم بل هو للميت...

ثم ذكر المؤلف -النووي- حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه" يعني أن نفسه وهو في قبره معلقة بالدين، كأنها -والله أعلم- تتألم من تأخير الدين، ولا تفرح بنعيم ولا تتبسط؛ لأن عليه دينًا، ومن ثم قلنا: إنه يجب على الورثة أن يبادروا بقضاء الدين)[1].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر النبي ﷺ بأن نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه، وفي هذا الإخبار دعوة للمدعوين أن يعجلوا بقضاء الديون عن الميت، ولا يؤخروا ذلك، لما في ذلك من ضرر يلحق بالميت ويصيبه، ومثل الإخبار قوله ﷺ ((الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ. وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ. وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ. مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ. إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ))[2] وهذا الإخبار بيان لفضل هذه العبادات المذكورة، ومن ثم دعوة للمدعوين أن يفعلوها ويلتزموها.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الترهيب من الدين:

وهذا يستفاد من الحديث، حيث دل على التشديد في أمر الدين، وأن نفس المؤمن مرهونة به حتى يقضى عنه، ومعنى رهنها حبسها عن مقامها الكريم. والمراد بالنفس في هذا الحديث، هو الروح التي فارقت البدن بعد الحياة، لما روى الإمام أحمد من حديث سمرة أن النبي ﷺ قال: ((إن صاحبكم محتبس على باب الجنة في دين عليه))[3][4].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٢٠٤/١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٣٣.

(٣) أخرجه أحمد ١١/٥، رقم ٢٠١٢٤ وقال محققو المسند: للحديث شواهد تشدّه وتقويه ٣١٠/٣٣.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٤٨٦/٢-٤٨٧.

والحديث أخرجه أبو داود بلفظ: ((خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فقالَ: ههُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فُلاَنَ؟ فَلمْ يُجِبْهُ أحَدٌ، ثُمَّ قالَ: ههُنَا أحَدٌ مِنْ بَنِي فُلاَنٍ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: ههُنَا أحَدٌ مِنْ بَنِي فُلاَنٍ؟ فَقَامَ رَجُلٌ فقالَ: أنَا يَارَسُول اللهِ، فقالَ: مَا مَنَعَكَ أنْ تُجِيبَنِي فِي المَرَّتَيْنِ الأُوْلَيَيْنِ أمَا إنِّي لَمْ أُنَوِّهْ بِكُمْ إلاَّ خَيْرًا إنَّ صَاحِبَكُم مَأْسُورٌ بِدَيْنِهِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أدَّى عَنْهُ حَتَّى مَا بَقِيَ أحَدٌ يَطْلُبُهُ بِشَيْءٍ))[١].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((لا تخيفوا أنفسكم بعد أمنها، قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: الدين))[٢].

ومن ذلك حديث أنس بن مالك ﷺ، قال: ((قال رسولُ اللّه ﷺ لأبي طلحة: التمسْ لنا غُلامًا من غِلمانِكم يَخدُمني. فخرجَ بي أبو طلحة يُردِفُني وراءه، فكنتُ أخدُمُ رسولَ اللّه ﷺ كلما نزَل، فكنتُ أسمعُهُ يُكثرُ أن يقول: اللهمَّ إني أعوذُ بكَ من الهمِّ والحَزَن، والعجز والكسل، والبُخلِ والجبْن، وضَلَع الدَّين وغلبةِ الرجال))[٣].

قال ابن حجر: (قوله "وضلع الدين" أصل الضلع وهو بفتح المعجمة واللام الاعوجاج، يقال ضلع بفتح اللام يضلع أي مال، والمراد به هنا ثقل الدين وشدته، وقال بعض السلف ما دخل هم الدين قلبا إلا أذهب من العقل ما لا يعود إليه)[٤].

وعن عائشة ﵂ قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَكْثَرَ مَا يَتَعَوَّذُ مِنَ الْمَغْرَمِ وَالْمَأْثَمِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ مَا أَكْثَرَ مَا تَتَعَوَّذُ مِنَ الْمَغْرَمِ. قَالَ: إِنَّهُ مَنْ غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ))[٥].

قال ابن القيم: (جمع النبي ﷺ بين المأثم والمغرم، فإن المأثم يوجب خسارة الآخرة، والمغرم يوجب خسارة الدنيا)[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٣٤١ وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٨٥٨) والحديث في مسند أحمد بن حنبل ٢٠٢٣١/٣٣.

(٢) أخرجه أحمد ١٤٦/٤، ١٥٤، رقم ١٧٣٢٠، ١٧٤٠٧. وقال محققو المسند: حديث حسن ٥٧٧/٢٨، ٦٢٦.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٦٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٧٤/١١.

(٥) أخرجه البخاري ٨٣٢، ومسلم ٥٨٩، والنسائي واللفظ له ٥٤٥٤.

(٦) الفوائد ٩١.

وعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالإِيمَانَ بِاللّهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللّهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: نَعَمْ. إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللّهِ. وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: نَعَمْ. وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ. إِلاَّ الدَّيْنَ. فَإِنَّ جِبْرِيلَ، عليه السلام، قَالَ لِي ذَلِكَ))[1].

قال النووي: (فيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين، وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين، وإنما يكفر حقوق الله تعالى)[2].

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٨٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧/١٣/٣٢.

الحديث رقم (٩٤٥)

٩٤٥- وعن حُصَيْنِ بن وَحْوَحٍ ﷺ: أنَّ طَلْحَةَ بْنَ البَرَاء بن عَازِبٍ رضي الله عنهما مَرِضَ، فَأتَاهُ النَّبيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فقَالَ: ((**إنِّي لاَ أرى طَلْحَةَ إلاَّ قَدْ حَدَثَ فِيهِ المَوْتُ، فآذِنُوني بِهِ وَعَجِّلُوا بِهِ، فَإنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لجِيفَةِ مُسْلِمٍ أنْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانِيْ أهْلِهِ**)) رواه أَبُو داود[١].

ترجمة الراوي:

حُصَين بن وَحوَح: هو حصين بن وَحْوَحٍ بن جعفر الأنصاري الأوسيُّ.

له صُحبة، وقد روى حديثًا واحدًا عن النبي ﷺ في ذكر طلحة بن البراء.

وقتل هو وأخوه مِحْصَن بالقادسية وقيل: قتل بالعُذيبِ[٢].

غريب الألفاظ:

آذنوني به: أعلموني به[٣].

الجيفة: جثة الميت[٤].

بين ظهراني أهله: كأن ظهرًا منهم قُدَّامه وظهرًا منهم وراءه، فهو مكنوف من جانبيه[٥].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ دائم التفقد لأصحابه دائم السؤال عنهم، فإذا علم أن أحدهم في شدة

---

(١) برقم ٣١٥٩، قال الذهبي في المهذب ١٣٢٠/٣: غريبٌ جدًا، وفي سنده سعيد مجهول.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٨/٢-٣٩، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ١٦٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٢٨٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٢١٧/٢-٢١٨.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ذ ن).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ي ف).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ظ هـ ر).

أسرع إليه، وهذا ما يجب على كل من تولى أمراً من أمور المسلمين أن يكون راعياً أميناً عليهم، والحديث يحكي زيارة الرسول ﷺ لطلحة بن البراء بن عازب ﷺ، وقول الراوي (أنَّ طَلْحَةَ بْنَ البَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي الله عنهما مَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبيُّ ﷺ يَعُودُهُ) يشير استخدام الفاء للعطف بين المرض، والإتيان لعيادته يشير إلى سرعة تجاوبه معهم، والتعبير بالعيادة يشير إلى التكرار؛ لأنه يؤنس المريض، ويشد من أزره، واستخدام الرسول ﷺ لأسلوب القصر في قصر حال طلحة على الموت يشير إلى التوكيد، والجزم، وهو من فراسته ﷺ أو مما أعلمه الله به أنه يموت قريباً، قوله: (فآذنوني به) أي أعلموني به مما يدل على حرصه على شهود جنازته، والتعبير بالإيذان لتوكيد التبليغ، والأمر بالتعجيل أمر نصح، وإرشاد، وقدّم إعلامه على التعجيل حرصاً على عدم تفويت الفرصة للصلاة عليه، والتعبير بالجيفة فيه تنفير من تأخير دفنها، وهو ما يؤكد الأمر السابق بتعجيل دفنها، كما أن في التعبير بالجيفة إعلاء لشأن الروح التي إذا خرجت أصبح الجسد جيفة يُسارع إلى دفنها، حتى يتنبه خدام الأجسام إلى أن ما يفعلونه ليس له قيمة، فيجب أن ينشغلوا بما يبقى، ونسبة الجيفة إلى المسلم تخصيص يكتنفه تكريم يستلزم سرعة دفنها، والتعبير بالحبس فيه إشارة إلى التضييق، والتعبير به فيه تنفير من الفعل لما يستحضره اللفظ من معنى التضييق، والإكراه، وقوله (بين ظهراني أهله) أي وسط أهله، والتعبير يشير إلى أصفيائه من أهله، وأنصاره.

فقه الحديث

قال ابن قدامة: (ويستحب المسارعة إلى تجهيزه إذا تيقن موته، لأنه أصون له وأحفظ من أن يتغير؛ وتصعب معاناته، قال أحمد: كرامة الميت تعجيله. وفيما روى أبو داود أن النبي ﷺ قال: "إني لأرى طلحة قد حدث فيه الموت ..." الحديث. ولا بأس أن ينتظر به مقدار ما يجتمع لها جماعة، لما يؤمل من الدعاء له إذا صلّى عليه، ما لم يخف عليه أو يشق على الناس. نصّ عليه أحمد، وإن اشتبه أمر الميت اعتبر بظهور أمارات الموت، من استرخاء رجليه، وانفصال كفيه، وميل أنفه، وامتداد جلدة وجهه وانخساف

صُدْغيه، وإن مات فجأة كالمصعوق، أو خائفًا من حرب أو سبعُ، أو تردى من جبل، انتظر به هذه العلامات حتى يتيقن موته)[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (اتفق الفقهاء على أنه إن تيقنّ الموت، يبادر إلى التجهيز ولا يؤخر)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: عيادة المريض.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التيقن من موت الميت.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الإسراع بدفن الميت.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التوكيد والقصر والأمر والتعليل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: عيادة المريض:

هذا واضح من عيادة النبي ﷺ لطلحة بن البراء ﷺ.

وقد قال النبي ﷺ: ((أَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَعُودُوا المَرِيضَ، وفُكُّوا العاني))[٣]. وعن البراء بن عازب ﷺ قال: ((أمرَنا رسولُ الله ﷺ بسَبع ونهانا عن سبع: نهانا عن خاتم الذهب، ولبس الحرير والديباج والاسْتَبْرَق، وعن القَسِّيِّ، والميثرَة. وأمرَنا أن نَتبعَ الجنائزَ، ونعود المريضَ، ونُفْشي السلام))[٤].

وقد بوب البخاري على هذين الحديثين: باب وجوب عيادة المريض[٥].

قال ابن حجر: (قوله "باب وجوب عيادة المريض" كذا جزم بالوجوب على ظاهر الأمر بالعيادة. قال ابن بطال: يحتمل أن يكون الأمر على الوجوب بمعنى الكفاية

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣/٣٦٦-٣٦، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥/٧٩.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦/٧، وانظر: الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ١/١٥٧ وما بعدها، والغاية ١/١٦٧، ٢٢٨.

(٣) أخرجه البخاري ٥٦٤٩.

(٤) أخرجه البخاري ٥٦٥٠، ومسلم ٢٠٦٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١٠/١١٢.

كإطعام الجائع وفك الأسير، ويحتمل أن يكون للندب على التواصل والألفة. وجزم الداودي بالأول فقال: هي فرض يحمله بعض الناس عن بعض، وقال الجمهور: هي في الأصل ندب، وقد تصل إلى الوجوب في حق بعض دون بعض، وعن الطبري: تتأكد في حق من ترجى بركته، وتسن فيمن يراعى حاله، وتباح فيما عدا ذلك، ونقل النووي[١] الإجماع على عدم الوجوب يعني على الأعيان)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التيقن من موت الميت:

هذا يستفاد من الحديث، كما يوضح ذلك تبويب النووي عليه في رياض الصالحين، جاء في الموسوعة الفقهية[٣]: (نظرًا لتعذر إدراك كنه الموت، فقد علّق الفقهاء الأحكام الشرعية المرتبة عليه بظهور أماراته في البدن، فقال ابن قدامة: (إذا اشتبه أمر الميت اعتبر بظهور أمارات الموت، من استرخاء رجليه، وانفصال كفيه، وميل أنفه، وامتداد جلدة وجهه، وانخساف صدغيه)[٤].

وجاء في روضة الطالبين: (تستحب المبادرة إلى غسله وتجهيزه إذا تحقق موته، بأن يموت بعلة، وتظهر أمارات الموت، بأن تسترخي قدماه ولا تنتصبا، أو يميل أنفه، أو ينخسف صدغاه، أو تمتدُّ جلدةُ وجهه، أو ينخلع كفّاه من ذراعيه، أوتتقلّص خصيتاه إلى فوق مع تدلي الجلدة. وإن شك بأن لا يكون به علة، واحتمل أن يكون به سكتة، أو ظهرت أمارات فزع أو غيره، أخر إلى التيقن بتغير الرائحة أو غيره)[٥].

وقال د. محمد رواس قلعه جي: (الموت هو انسحاب الروح من البدن. وأمارات الموت: أمارة الموت المحققة هي بدء تحلل دماغ المرء، لأنه إذا تحلل انعدمت وظائفه، وإذا تحلل لا يعود.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠٦٦، .

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١٢/١٠-١١٣.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٨/٣٩.

(٤) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٦٧/٣.

(٥) روضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦١٢/١.

ومن أماراته المحققة أيضًا: توقف القلب عن العمل مدة تزيد على أربع دقائق، لأن توقف القلب أكثر من أربع دقائق يتبعه تحلل الدماغ، ومن أماراته: شخوص البصر، وقد ذكر رسول الله ﷺ ذلك بقوله: ((إن الروح إذا قُبض تبعه البصر))[1]، ومنها: توقف التنفس، واسترخاء القدمين، وميل الأنف، وامتداد جلدة الوجه، وانخساف الصدغين، وتقلص الخصيتين إلى فوق وتدلّي الجلدة، وبرودة البدن)[2].

وقال عبدالله البسام عن حقيقة الوفاة: (قال الأطباء: جذع الدماغ هو المتحكم في جهازي التنفس والقلب والدورة الدموية، ولذا فإن توقف جذع الدماغ وموته، يؤديان لا محالة إلى توقف القلب والدورة الدموية والتنفس ولو بعد حين.

ولذا فإن لجنة (المجمع الفقهي في جدة) المكونة من أعضائها الشرعيين والأطباء وهم كل من:

١- مختار السلامي - مفتي تونس.

٢- مصطفى الزرقاء من كبار فقهاء حلب.

٣- الطبيب أشرف الكردي- اختصاصي الأمراض العصبية.

٤- الطبيب محمد علي البار- اختصاصي الأمراض الباطنة.

قرروا في ١١ صفر عام ١٤٠٧هـ ما يلي:

بحكم النظرين الشرعي والطبي بأن الشخص قد مات إذا تبين فيه إحدى العلامتين:

الأولى: إذا توقف قلبه وتنفسه توقفًا تامًا، وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة بعده.

الثانية: إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائيًا، وحكم الأطباء الاختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه، وأخذ الدماغ في التحلل، ففي هذا الحال يسوغ رفع أجهزة الإنعاش المركبة على المحتضر، وإن كان بعض الأعضاء كالقلب مثلاً لا يزال يعمل آليًا بفعل الأجهزة المذكورة.

---

(١) أخرجه مسلم ٩٢٠.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢/١٨٤٩-١٨٥٠.

أما مجلس المجمع الفقهي الإسلامي، ففي دورته العاشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة في يوم السبت ١٤٠٨/٢/٢٤هـ إلى يوم الأربعاء الموافق ١٤٠٨/٢/٢٨هـ فنص قراره ما يلي:

وبعد المداولة في الموضوع انتهى المجلس إلى القرار الآتي:

المريض الذي ركبت على جسمه أجهزة الإنعاش، يجوز رفعها إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائيًا، وقررت لجنة من ثلاثة أطباء اختصاصيين خبراء أن التعطل لا رجعة فيه، وإن كان القلب والتنفس لا يزالان يعملان آليًا بفعل الأجهزة المركبة، لكن لا يحكم بموته شرعًا إلا إذا توقف التنفس والقلب توقفًا تامًا بعد رفع هذه الأجهزة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قال محرره عفا الله عنه [أي البسام]: ما دمنا علمنا من الأطباء أن موت الدماغ هو موت حقيقي لا رجعة بعده، وأنه يتبعه موت القلب لا محالة وإن استمر نبضه وضخه بفعل أجهزة الإنعاش، فيعتبر نزع أجهزة الإنعاش عن المحتضر ليس قضاء عليه وتعجيلاً بموته، لأنه في عداد الموتى طبيًا، فيكون نزعها جائزًا شرعًا)[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الإسراع بدفن الميت:

هذا واضح من قول النبي ﷺ "فآذنوني به وعجلوا به، فإنه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله" قال ابن عثيمين: (يسن الإسراع في الجنازة، ولهذا قال: "لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهلها"، لكن لو حبست لساعة أو ساعتين لانتظار كثرة الجمع، كما لو مات في أول النهار مثلاً يوم الجمعة وقالوا: ننتظر للصلاة لكثرة الجمع فهذا لا بأس به - إن شاء الله - وهو تأخير لا يضر)[٢]. وقد قال النبي ﷺ: ((أسرعوا بالجنازة))[٣].

وقال ابن حجر: (والحاصل أنه يستحب الإسراع، لكن بحيث لا ينتهي إلى شدة

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٤٨٠-٤٨١.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٠٥.

(٣) أخرجه البخاري ١٣١٥، ومسلم ٩٤٤.

يخاف معها حدوث مفسدة بالميت أو مشقة على الحامل أو المشيع، لئلا ينافي المقصود من النظافة وإدخال المشقة على المسلم، قال القرطبي: مقصود الحديث ألا يتباطأ بالميت عن الدفن، ولأن التباطؤ ربماأدى إلى التباهي والاختيال اهـ. ويؤيده حديث ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به إلى قبره" أخرجه الطبراني بإسناد حسن[1])[2].

وقال العظيم آبادي: (والحديث يدل على مشروعية التعجيل بالميت، والإسراع في تجهيزه، وتشهد له أحاديث الإسراع بالجنازة)[3].

قال عبدالله البسام: (الإسراع بالجنازة يشمل الإسراع في تجهيزها ودفنها والإسراع في حملها إلى القبر، هذا ما لم يكن في تأخيرها مصلحة من حضور الأقارب ونحوهم، أو يكون مات في حادث جنائي يتطلب بقاء جثة الميت للتحقيق في أمرها، فإن حقق التأخير مصلحة ظاهرة فلا بأس ببقائها، لا سيما مع وجود الأماكن المبردة التي تحفظ الجسد من الفساد)[4].

رابعًا - من أساليب الدعوة: التوكيد والقصر والأمر والتعليل:

أما التوكيد فقوله ﷺ "إني" وأما القصر فقوله ﷺ: "لا أرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت" وأما الأمر فقوله ﷺ "فآذنوني وعجلوا به" وأما التعليل فقوله ﷺ: "فإنه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله".

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين بن أبي بكر الهيثمي ٤٤/٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٨٤/٣.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣٤٧.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٣١/٢-٥٣٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التحذير من الدين ومن التراخي في سداده:

إن مما تحرص التربية الإسلامية على التحذير منه والتورط فيه: الديون التي تؤدي إلى شتات الإنسان وتُلحق به الهم والغم، وتؤثر سلباً على حياته، وتؤدي إلى عدم راحته في مماته، حيث تتعلق نفس المؤمن بدينه، قال ﷺ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»، وفي هذا تحذير من الدين إلا لضرورة مُلحة وحث على المسارعة في أداء الدين عن الميت وبراءة ذمته، ولكن أيضمن كل إنسان أنه إذا مات سَيُقضى دينه من قِبَلِ ورثته وذويه؟ فالحذرَ الحذرَ من رقِّ النفس وتثقيلها بأغلال الديْن وأصفاده في الدنيا والآخرة.

إن الديْن قد بلغ من الخطورة ما جعل الرسول ﷺ يرشد أمته إلى الاستعاذة من الديْن وغلبته، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو أُمَامَةَ جَالِساً فِيهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ جَالِساً فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلاَةٍ؟» قَالَ: هُمُومٌ لَزِمَتْنِي وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «أَفَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلاَماً إِذَا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟» فَقَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُلْ، إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ»[1]. فإن الدَّيْن إذا غلب الإنسان ذهب بعزه وأودى بنعيمه وأنسه، وأتى على طارفه وتليده وقديمه وجديده.

الدَّيْنَ إذا غلب الإنسان ملك عليه فكره وعقله وصوابه ورشده فلا يذوق طعم الهناءة ولا يحسن التفكير ولا يهتدي إلى الصواب، وإنما يغلب الدَّيْن إنساناً استدان بلا بصيرة ولم يدبر أمره وينظم شأنه، ويجدُّ في تلمس الطرق المشروعة في الكسب لسداد

---

(١) أخرجه أبو داود، ١٥٥٥، وقال المناوي فيه غسان بن عوف بصري ضعيف، انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي، ١١٢/٣.

الديْن، وإنما يغلب من استدان ولم يعزم على الوفاء بل كانت نيته التقصير، أما من استدان لضرورة ملجئة فإن الله تعالى سيعينه ويوفقه للسداد وردّ الحقوق إلى أصحابها.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾[1][2].

ثانياً- التربية على المبادرة والمسارعة في أداء الحقوق:

من المضامين التربوية التي وردت في حديثي الباب المبادرة والإسراع في أداء الحقوق وسداد الديون خاصة إذا تعلقت بالميت لأنه أحوج ما يكون لمن يكفيه حاجته، كما جاء في الحديث الأول حيث بين النبي ﷺ أن نفس المؤمن معلقة بدَيْنه، ودعا بطريق غير مباشر إلى المسارعة إلى راحة الميت الذي تعلقت نفسه بدَيْنه من خلال سداد ديونه. فقال ﷺ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ».

ومن الحقوق التي يجب أداؤها للميت حقه في غسله وتكفينه ودفنه وسرعة ذلك، كما جاء التصريح بذلك في حديث حصين بن وَحْوَح رضي الله عنه «أن طلحة بن البراء رضي الله عنه: مَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبيُّ ﷺ يَعُودُهُ فقالَ: إنِّي لاَ أُرَى طَلْحَةَ إلاَّ قَدْ حَدَثَ فِيهِ المَوْتُ، فَآذِنُونِي بِهِ وَعَجِّلُوا به، ...».

إن التربية على المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارعة فيها ليست قاصرة على ما ورد في الباب، فيما يتعلق بأداء حقوق الميت، وإنما ذلك أمر عام يتناول جميع شئون المسلم في الدنيا والآخرة، سواء أكان يتعلق به أم بغيره.

إننا إذا ما نظرنا إلى منهج التربية الإسلامية بصفة عامة "نجده يوجه الإنسان الوجهة الصحيحة السليمة، وذلك بحثه على فعل الخير والمسابقة إليه، باستمراره دون أن يكون هناك تباطؤ أو كسل، نرى ذلك من خلال الأمر الإلهي المتكرر بفعل الخير، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٢٧.

تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

إن الشخصية الإسلامية لتيقنها أن الدنيا دار سعي وعمل ومدتها محدودة قليلة والآخرة دار حساب وجزاء وهي حياة أبدية، فإننا نجدها تسارع في هذه الدنيا إلى كل عمل طيب، سباقة إلى كل فعل خير، وما ذاك إلا ليكون لها زاداً تتزود به يوم القيامة وتحصل به على الثواب العظيم من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

إن غرس روح المبادرة والمسارعة في فعل الخيرات وأداء الحقوق والواجبات من الأهمية بمكان، إذ أن غالب الناس يحمل نفساً طيبة تحب الخير وتركن إلى المعروف، ولكنها قد بليت بالإهمال وكثرة التسويف، فليس عندها خلق المبادرة والإسراع، وإنما تسمع منهم مشروعات متعددة من أفعال الخير يرسمونها وتمضي الأيام وتتوالى الشهور والأعوام، دونما تطبيق لتلك المشروعات والأفكار.

لذا كانت أهمية التربية على المبادرة والمسارعة إلى فعل الخيرات والقيام بأعبائها وذلك يتطلب ترويض النفس وتعويدها عليها حتى تألفه مع الأخذ في الاعتبار بأهميتها والاستشعار بأنه يقوم بواجبه الذي أمر به الإسلام وحث عليه حتى لا يكون عمله مجرد عادة فقط[٣].

ثالثاً- التربية بالوقاية:

إن التربية على الوقاية مبدأ إسلامي أصيل، فهو أصل من أصول الفقه الإسلامي التشريعية المعتبرة، سواء في الأمور الجسدية أم الأخلاقية، وخلاصة القول في الوقاية أنها الحذر مما يؤدي إلى الضرر، في جميع المجالات الفكرية والعقدية والأخلاقية والتشريعية، ومبدأ الوقاية يدور في فلكه جميع القواعد التي تنهى عما يقرب من

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي ص ٣٦١-٣٧٩.

الحرام أو المفاسد أو أهل الحرام أو أهل الفساد، فكل هذا وقاية لا تختلف في محصولها الأخير - أيضاً - عن الوقاية في الإطار الصحي المعروف[(١)].

وقد وردت التربية في حديثيْ الباب، وذلك من خلال أمر رسول الله ﷺ بتعجيل دفن الميت والإسراع في ذلك، كما جاء في صريح قوله ﷺ عن طلحة بن البراء رضي الله عنه، وقد نزل به الموت: «إنِّي لاَ أُرَى طَلْحَةَ إلاَّ قَدْ حَدَثَ فِيهِ المَوْتُ، فَآذِنُونِي بِهِ وَعَجِّلُوا، فَإنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِجِيفَةِ مُسْلِمٍ أنْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أهْلِهِ»، وذلك يتضمن وقاية للميت وللناس:

أ- أما للميت ففي تعجيل دفنه صونٌ لكرامته ووقاية لها من أن تهان كأن تتفسخ جثته، وتفوح رائحته أو ما شاكل ذلك، وفي ذلك تحقيق لاحترام الميت وصيانة كرامته، "فكما أن الإسلام ضمن حماية الإنسان في حال حياته كذلك كفل له الاحترام بعد مماته، ومن هنا جاء الأمر بغسله وتكفينه ودفنه والتعجيل بذلك، وفي ذلك دليل على بقاء حرمة المسلم حتى بعد موته فَيُصَانُ جسمه وعرضه وسمعته لئلا تلوكها الأفواه وتتندر بها الألسنة"[(٢)].

ب- وقاية المجتمع من الأوبئة والحفاظ على سلامة الناس وصحتهم:

إذ أن تأخير دفن الموتى يسبب في انتشار الأمراض والأوبئة نتاجاً لتعفن الجثث وتحللها، وهذا أمر لا ينكر، ويلمسه العالم بصورة واضحة أيام الحروب والكوارث الكونية وما شاكلها، لذا وضع الإسلام من الأسباب والوسائل الوقائية التي تحمي من الأوبئة والعدوى وتقلل من آثارها سواء كان ذلك بتضييق الخناق على الأماكن الموبوءة أو بما يسمى بالحجر الصحي، أم كان بالقضاء على أسباب الأمراض وانتشارها، ومن هنا كان الأمر بدفن الموتى والتعجيل بذلك، كما جاء في صريح قوله ﷺ: «وَعَجِّلُوا بِهِ فَإنَّهُ لا يَنْبَغِي لِجِيفَةِ مُسْلِمٍ أَنْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِهِ».

"إن الوقاية الصحية للإنسان، تكمن في تحذيره من ارتياد الأماكن الموبوءة، أو تناول بعض الأغذية والعقاقير والمشروبات التي تتسبب في تدهور حالته الصحية، أو

---

(١) انظر: موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، د. عبدالحليم عويس، ١/ ٣١٠.

(٢) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٨٧، ٨٨.

حقنه بجُرع خاصة من شأنها أن تجعل لدى الجسم مناعة كافية لمقاومة مرض معين، وقد استخدم الإسلام أسلوب الوقاية للفرد المسلم وللأسرة والمجتمع من خلال تحذيرات الرسول ﷺ من بعض السلوكيات الخاطئة، التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك، والمجتمع والدولة إلى الضعف والهوان، أو من خلال بعض التوجيهات التي تحض الفرد وتدفعه نحو الاستقامة والاعتدال.

وهذه التحذيرات والتوجيهات قدمها الرسول ﷺ على هيئة نصائح وإرشادات تحمل في طياتها الخوف والإشفاق تجاه الفرد المسلم والمجتمع المسلم والدولة المسلمة.

وهي بمثابة جرعة وقائية إن أخذت ستقي المجتمع من الأخطار المتوقعة والهلاك المحقق، وهي كذلك بمثابة حمية وقائية يتقي بها من الأمراض المهلكة"[1].



(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٥٦.

١٦٠- باب الموعظة عند القبر

الحديث رقم (٩٤٦)

٩٤٦- عن عليٍّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ في بَقيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا رسولُ الله ﷺ فَقَعَدَ، وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: ((**مَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ إلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ**)) فقالوا: يَا رسولَ الله، أفَلا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابنَا؟ فَقَالَ: ((**اعْمَلُوا؛ فكلٌّ مُيَسرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ...**)) وذكَر تَمَامَ الحديث. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

مقبرة أهل المدينة: وهي اليوم داخل المدينة المنورة بجوار المسجد النبوي الشريف شرقًا[2].

مِخْصرة: ما أخذه الإنسان بيده واختصره من عصا لطيفة وعكاز لطيف وغيرهما[3].

فنكس: خفض رأسه وطأطأ إلى الأرض على هيئة المهموم[4].

ينكت: يخط خطًا يسيرًا مرة بعد مرة[5].

نتَّكل: من الاتكال وهو الاعتماد[6].

كتابنا: مكتوبنا السابق من السعادة وضدها[7].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٤٥، ومسلم ٢٦٤٧/٦، والسياق للحميدي في جمعه ١٦٣/١ رقم ١٣١.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٧٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٦٩.

(٤) المرجع السابق ص ١٥٦٩.

(٥) المرجع السابق ص ١٥٦٩.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٥٦.

(٧) المرجع السابق ١١٥٦.

الشرح الأدبي

حال الرسول ﷺ الدالة من هيئة النكس، وهو خفض الرأس، والطأطأة بها إلي الأرض ثم النكت في الأرض، وهو الضرب فيها بقضيب يؤثر فيها، أو إصبع هو كناية عن الهم، والانشغال بطارق خطير، والتفكير فيه، وهو ما يتعلق بأهوال القبور، وأحوال الناس بين شقي، وسعيد، ودخوله ﷺ في هذه الحالة وهو الذي ينزل عليه الوحي يُشعر بعظمة ما رأى، وما علم الأمر وهو ما انعكس على أسلوبه البلاغي فجاء معبراً أتم تعبير، وتأمل كيف بدأ بأسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء ليخصص، ويقصر كل نفس على مكانها من الجنة أو من النار (ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها) وقد استخدم طريق النفي والاستثناء الذي يستخدم فيما من شأنه أن يكون منكرا من المخاطب أو مشكوكا فيه، وقد سلّط النفي على الجار والمجرور العائد من كاف الخطاب على المخاطبين ليجعلهم أبطال الحدث، وفي هذا ما فيه من سيطرة على عقل المخاطب ووجدانه؛ لأنه صار المعنىّ بالحديث (ما منكم) ثم جاء بـ (من) للاستغراق في قوله (ما منكم) حتى لا يظن أحد المخاطبين أنه خارج دائرة الحوار فيغفل عما سيقال، ثم قوله: (ما منكم من نفس منفوسة) بعد قوله (ما منكم من أحد) يحتمل أن يكون بدلاً من قوله (ما منكم من أحد) فيكون الفصل بينهما لكمال الاتصال، وأيضاً (إلا) ثانياً بدلا من (إلا) أولاً، ويحتمل أن يكون من باب اللف والنشر ويحتمل أن يكون تعميماً بعد تخصيص إذ الثاني في كل منهما أعم من الأول، وقوله (ما من نفس منفوسة) (من) بيانيه، ومنفوسة أي مخلوقة وفي العبارة جناس يجذب السمع ويؤكد المعني، وقوله (اعملوا) أسلوب الحكيم منعهم عن الاتكال، وأمرهم بامتثال ما يجب على العبد من امتثال أمر ربه وعبوديته عاجلا، وتفويض الأمر إليه آجلا يعني: أنتم عبيد ولابد لكم من العبودية بما أمرتم، وإياكم والتصرف في الأمور الإلهية؛ لا تجعلوا العبادة وتركها سببا مستقلا لدخول الجنة والنار بل هي أمارات وعلامات ولا بد في الإيجاب من لطف الله أو خذلانه، والأسلوب بمفهومه من الحال الدالة بجلوس الرسول ﷺ ناكس الرأس ينكت بمخضرته الأرض عند القبور في

حضور جنازة يشيع حالة من الرهبة، والوجل وبمنطوقة الذي جعلهم دون استثناء أبطال الحديث، وأطراف الحوار سيطر عليهم، وجعلهم في قمة الإدراك، والاستعداد لتلقي المعني، وقبوله، والتفاعل معه إيجاباً ومناقشة جوانبه حتى يتم استيعابه على الوجه الذي يريد كما حدث في الحديث[١].

فقه الحديث

١-الجلوس لمن اتبع الجنازة: بوّب البخاري على هذا الحديث: باب موعظة المحدِّث عند القبر وقعود أصحابه حوله[٢]. فقال ابن حجر: (كأنه يشير إلى التفصيل بين أحوال القعود، فإن كان لمصلحة تتعلق بالحيّ أو الميت لم يكره، ويحمل النهي الوارد عن ذلك على ما يخالف ذلك[٣])[٤].

٢ -الموعظة عند القبر: قال ابن عثيمين: (وقد أخذ بعض الناس ترجمة النووي وترجمة البخاري في صحيحه: باب الموعظة عند القبر، أخذوا منها أن يكون الرجل خطيبًا في الناس يرفع صوته: يا عباد الله" وما أشبه ذلك من الكلمات التي تقال في الخطب، وهذا فهم خاطئ غير صحيح، فالموعظة عند القبر تقيّد بما جاء في السنة فقط، لئلا تتخذ المقابر منابر، فالمواعظ الهادئة يكون الإنسان فيها جالسًا، ويبدو عليه أثر الحزن والتفكر وما أشبه ذلك، وليست موعظة وكأنه ينذر الجيش)[٥].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على الجلوس حول النبي ﷺ.

---

(١) ينظر الحال الدالة في الحديث النبوي، بحث منشور في كلية اللغة العربية- جامعة الأزهر بأسيوط د. ناصر راضي الزهري، العدد: ٢٦، ٦٦٩/١.

(٢) الحديث ١٣٦٢.

(٣) أخرج البخاري ١٣١٠، ومسلم ٩٥٩ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "إذا رأيتم الجنازة فقوموا لها، فمن تبعها فلا يجلس حتى توضع".

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٢٢٥/٣.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٢٠٦/٢-١٢٠٧.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الموعظة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إثبات القدر.

رابعًا: من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه.

خامسًا: من فقه الداعية: الحكمة في الجواب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على الجلوس حول النبي ﷺ:

هذا واضح من قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه "فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومه مخصرة...".

قال ابن عثيمين: (لأن كل الناس يحبون أن يكونوا جلساء للنبي ﷺ)[1].

وقال البراء بن عازب: ((خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في جَنَازَةِ رَجُلٍ فانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُؤوسِنَا الطَّيْرُ))[2].

قال ابن الأثير: (وصفهم بالسكون والوقار وأنه لم يكن فيهم طيش ولا خفة، لأن الطير لا تكاد تقع إلا على شيء ساكن)[3].

وقال ابن عثيمين: (كأن على رؤوسهم الطير، احترامًا لرسول الله ﷺ وإجلالاً لهذا المجلس وهيبة)[4].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الموعظة:

هذا واضح من الحديث كله، وقد بوب البخاري على هذا الحديث في صحيحه في كتاب الجنائز: باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله[5] وقد ذكر البخاري في هذا الباب بعض الآيات المتعلقة بالقبر مع تفسيرها. قال ابن حجر: (وهذه التفاسير أوردها لتعلقها بذكر القبر استطرادًا، ولها تعلق بالموعظة أيضًا. قال الزين بن المنير: مناسبة إيراد هذه الآيات في هذه الترجمة [أي الباب] للإشارة إلى أن المناسب لمن

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٠٥-١٢٠٦.

(٢) أخرجه أبوداود ٣٢١٢، وابن ماجه واللفظ له ١٥٤٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٧٥١).

(٣) النهاية في غريب الحديث ٥٧٣.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٠٦.

(٥) الحديث ١٣٦٢ والباب برقم ٨٢، وكتاب الجنائز برقم ٢٣.

قعد عند القبر أن يقصر كلامه على الإنذار بقرب المصير إلى القبور، ثم إلى النشر لاستيفاء العمل)[١]. وقال النووي: (ويشتغل القاعدون بتلاوة القرآن والدعاء للميت والوعظ وحكايات أهل الخير وأحوال الصالحين)[٢].

ووقال البراء بن عازب ﷺ: ((خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَو ثَلاثًا. فَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ ...)) الحديث بطوله[٣].

وقال ابن حجر عن نكت النبي ﷺ الأرض بالمخصرة: (هي عادة لمن يتفكر في شيء يستحضر معانيه، فيحتمل أن يكون ذلك تفكرًا منه ﷺ في أمر الآخرة بقرينة حضور الجنازة، ويحتمل أن يكون فيما أبداه بعد ذلك لأصحابه من الحكم المذكورة. ومناسبته للقصة أن فيه إشارة إلى التسلية عن الميت بأنه مات بفراغ أجله)[٤]. وقال ابن هبيرة: (فيه جواز نكت الأرض بشيء يكون في يد المتكلم، استراحة في القول وتتميمًا للكلام)[٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: إثبات القدر:

هذا واضح من قوله ﷺ "ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة".

قال ابن عثيمين: (كل إنسان من بني آدم مكتوب مقعده من الجنة إن كان من أهل الجنة، ومقعده من النار إن كان من أهل النار، وذلك قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣/٢٢٦.

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٩٠.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٧٥٣ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٩٧٩).

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١١/٤٩٧-٤٩٨، . وانظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/١٢٠٥-١٢٠٦.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١/٢٥٧.

(٦) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٠٦.

وقال النووي: (وفي هذه الأحاديث[1] كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر، وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره، خيرها وشرها، نفعها وضرها، قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[2] فهو ملك لله تعالى، يفعل ما يشاء ولا اعتراض على المالك في ملكه، ولأن الله تعالى لا علة لأفعاله.

قال أبو المظفر السمعاني: سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة، دون محض القياس ومجرد العقول، فمن عدل عن التوقيف فيه، ضل وتاه في بحار الحيرة. ولم يبلغ شفاء النفس، ولا يصل إلى ما يطمئن به القلب؛ لأن القدر سر من أسرار الله تعالى التي ضربت من دونها الأستار، واختص الله به، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم، لما علمه من الحكمة، وواجبنا أن نقف حيث حدّ لنا، ولا نتجاوزه، وقد طوى الله تعالى علم القدر على العالم؛ فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب، وقيل إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة، ولا ينكشف قبل دخولها)[3].

والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان: ولا يذكر القدر إلا ويذكر معه القضاء فما الفرق بينهما؟ جاء في كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: (ذكر العلماء في التفريق بين القضاء والقدر. أن القدر: هو تقدير شيء قبل قضائه، والقضاء هو الفراغ من الشيء. ومن الشواهد التي ذكرها أبو حاتم للتفريق بين القضاء والقدر، أن القدر بمنزلة تقدير الخياط للثوب، فهو قبل أن يفصله يقدره، فيزيد وينقص، فإذا فصله فقد قضاه وفرغ منه وفاته التقدير. وعلى هذا يكون القدر سابقًا للقضاء. قال ابن الأثير: (فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر؛ بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما، فقد رام هدم البناء ونقضه)[4].

---

(١) انظر هذه الأحاديث في: صحيح مسلم في كتاب القدر رقم ٤٦، الأحاديث رقم ٢٦٤٣-٢٦٥١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨/١٦/٢٠٠-٢٠٢، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ١١/٤٩٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٧٥٩.

والقضاء والقدر إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى، فأصبح لكل منهما معنى يخصه، وإذا افترقا في الذكر دخل أحدهما في معنى الآخر. ذكر ذلك بعض أهل العلم[١].

وقال ابن تيمية في نسبة أفعال العباد إليهم، وأن الله هو الذي خلق أفعالهم: (والعباد فاعلون حقيقة، والله خلق أفعالهم. والعبد هو: المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمُصلي والصائم.

وللعباد قُدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وقدرتهم وإرادهم؛ كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢])[٣].

وقال محمد خليل هراس في شرح كلام ابن تيمية: (لا منافاة بين عموم خلقه تعالى لجميع الأشياء، وبين كون العبد فاعلاً لفعله؛ فالعبد هو الذي يوصَفُ بفعله، فهو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمُصلي والصائم، والله خالقه، وخالق فعله؛ لأنه هو الذي خلق فيه القدرة والإرادة اللتين بهما فعل.

قال عبدالرحمن السعدي: (إن العبد إذا صلّى، وصام، وفعل الخير، أو عمل شيئًا من المعاصي؛ كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح، وذلك العمل السيء، وفعله المذكور بلا ريب قد وقع باختياره، وهو يحسُّ ضرورة أنه غير مجبور على الفعل أو الترك، وأنه لو شاء لم يفعل، وكان هذا هو الواقع؛ فهو الذي نصَّ الله عليه في كتابه، ونصَّ عليه رسوله؛ حيث أضاف الأعمال صالحها وسيئها إلى العباد، وأخبر أنهم الفاعلون لها، وأنهم ممدوحون عليها -إن كانت صالحة- ومثابون، وملومون عليها -إن كانت سيئة- ومعاقبون عليها.

فقد تبيَّن بلا ريب أنها واقعة منهم باختيارهم، وأنهم إذا شاؤوا فعلوا، وإذا شاؤوا تركوا، وأن هذا الأمر ثابت عقلاً وحسًّا وشرعًا ومشاهدةً.

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ٢٤٣-٢٤٤.

(٢) سورة التكوير، الآيتان: ٢٨-٢٩.

(٣) العقيدة الواسطية مع شرحها، محمد خليل هراس.

ومع ذلك؛ إذا أردت أن تعرف أنها وإن كانت كذلك واقعة منهم كيف تكون داخلة في القدرة، وكيف تشملها المشيئة؟! فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها؟ فيقال: بقدرتهم وإرادتهم؛ هذا يعترف به كل أحد. فيقال: ومن خلق قدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم؟ فالجواب الذي يعترف به كل أحد أن الله هو الذي خلق قدرتهم وإرادتهم، والذي خلق ما به تقع الأفعال هو الخالق للأفعال.

فهذا هو الذي يحلُّ الإشكال، ويتمكّن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار.

ومع ذلك فهو تعالى أمدَّ المؤمنين بأسباب وألطاف وإعانات متنوِّعة وصرف عنهم الموانع؛ كما قال ﷺ: ((أما من كان من أهل السعادة؛ فسييسر لعمل أهل السعادة))[1].

وكذلك خذل الفاسقين، ووكلهم إلى أنفسهم؛ لأنهم لم يؤمنوا به، ولم يتوكّلوا عليه، فولاهم ما تولّوا لأنفسهم) ا هـ.

وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في القدر وأفعال العباد، ما دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة من أن الله سبحانه هو الخالق لكل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها، وأن مشيئته تعالى عامة شاملة لجميع الكائنات، فلا يقع منها شيء إلا بتلك المشيئة، وأن خلقه سبحانه الأشياء بمشيئته إنما يكون وفقًا لما علمه منها بعلمه القديم، ولما كتبه وقدَّره في اللوح المحفوظ، وأن للعباد قدرة وإرادة تقع بها أفعالهم، وأنهم الفاعلون حقيقة لهذه الأفعال بمحض اختيارهم، وأنهم لهذا يستحقُّون عليها الجزاء: إما بالمدح والمثوبة، وإما بالذم والعقوبة، وأن نسبة هذه الأفعال إلى العباد فعلاً لا ينافي نسبتها إلى الله إيجادًا وخلقًا؛ لأنه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها)[2].

ولا شك أن الإيمان بالقدر له الأثر البالغ، والمنافع الجمة، والثمرات الطيبة في حياة

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٦٢، ومسلم ٢٦٤٧.

(٢) شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس ص ٢٥٩-٢٦١.

المؤمن وفي مجتمعه، فمن ذلك:

(١- الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب لأنه مقدر الأسباب والمسببات.

٢- راحة النفس وطمأنينة القلب إذا أدرك العبد أن كل شيء بقضاء الله وقدره.

٣- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد، لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره، من أسباب ذلك الخير والنجاح، فيشكر الله ويدع الإعجاب.

٤- طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه، لأن ذلك بقضاء الله وقدره فيصبر على ذلك ويحتسب)[١].

رابعًا - من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه:

وهذا واضح من قول الصحابة ﷺ: "يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا؟" قال ابن حجر: ("قوله: رجل من القوم"[٢] في رواية سفيان وشعبة: فقالوا: "يا رسول الله"[٣] وهذا الرجل وقع في حديث جابر عند مسلم[٤] أنه سراقة بن مالك بن جُعْشم ولفظه: "جاء سراقة فقال: يا رسول الله أنعمل اليوم فيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير أو فيما يستقبل؟ قال: بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير. فقال: ففيم العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له" وأخرجه الطبراني وابن مردويه نحوه وقرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[٥] وأخرجه ابن ماجه[٦] من حديث سراقة نفسه لكن دون تلاوة الآية.

ووقع هذا السؤال وجوابه سوى تلاوة الآية لشريح بن عامر الكلابي أخرجه أحمد

---

(١) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) هذه رواية البخاري في الحديث رقم ٦٦٠٥، وبنحوها في الحديث ١٣٦٢، وعند مسلم ٦-٢٦٤٧.

(٣) أخرجه البخاري ٤٩٤٥، ٤٩٤٦، ٤٩٤٩، ومسلم بعد الرواية ٦-٢٦٤٧.

(٤) صحيح مسلم ٢٦٤٨.

(٥) سورة الليل، الآية: ٥-١٠.

(٦) سنن ابن ماجه ٩١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٧٤).

والطبراني[١] ولفظه: قال: ففيم العمل إذن؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، وأخرج الترمذي[٢] من حديث ابن عمر قال: قال عمر يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أمر مبتدع أو أمر قد فرغ منه؟ قال: فيما قد فرغ منه" فذكر نحوه. وأخرج البزار والفريابي من حديث أبي هريرة أن عمر قال: يا رسول الله" فذكره. وأخرجه أحمد والبزار والطبراني[٣] من حديث أبي بكر الصديق: قلت يا رسول الله أنعمل على ما فرغ منه. ووقع في حديث سعد بن أبي وقاص فقال رجل من الأنصار، والجمع بينها تعدد السائلين عن ذلك. فقد وقع في حديث عبدالله بن عمرو أن السائل عن ذلك جماعة، ولفظه فقال أصحابه: ففيم العمل إن كان قد فرغ منه؟ فقال: سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمل... الحديث أخرجه الفريابي)[٤].

قال ابن أبي جمرة عن أن السؤال طريق التفقه في الدين والتثبت فيه - قال: (من الفقه التثبت في العلوم الشرعية حتى تعلم على تحقيق ويقين، والبحث عن ذلك مع الرفيع والوضيع على حد سواء بالأدب، لأن ذلك هو الطريق اللائق بالعلم، وإلا فصاحبه بدعي زائغ عن العلم، وسيرة السلف الصالح من الصحابة ﷺ وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، جعلنا الله من المتبعين لهم بمنه)[٥].

خامسًا - من فقه الداعية: الحكمة في الجواب:

هذا واضح من جواب النبي ﷺ عن سؤال الصحابة: أفلا نتكل على كتابنا؟ أي: (أفلا نعتمد على ما كتب لنا في الأزل، ونترك العمل؟ يعني إذا سبق القضاء لكل أحد منا بالجنة أو النار فأي فائدة في السعي؟ فإنه لا يرد قضاء الله وقدره)[٦] أجاب ﷺ عن سؤالهم بقوله ﷺ: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له" قال الطيبي: (وهو من الأسلوب

---

(١) مسند أحمد ١٦٦٣٠/٢٧، ١٦٦٣١، والطبراني في الكبير ٤٢٣٦، وقال محققو المسند: صحيح لغيره.

(٢) أخرجه الترمذي ٢١٣٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٧٣٤).

(٣) أخرجه أحمد ١٩/١، والبزار ٢٨، والطبراني ٤٧، وقال محققو المسند: حسن لغيره.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٤٩٦/١١-٤٩٧، .

(٥) بهجة النفوس ٢٣٦/٤.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٢٤/١.

الحكيم، منعهم عليه الصلاة والسلام عن الاتكال وترك العمل، وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد من امتثال أمر مولاه، وهو عبوديته عاجلاً وتفويض الأمر إليه آجلاً، يعني: أنتم عبيد ولابد لكم من العبودية، فعليكم بما أمرتم به وإياكم والتصرف في الأمور الإلهية، لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] فلا تجعلوا العبادة وتركها سببًا مستقلاً لدخول الجنة والنار، بل أمارات وعلامات لها، ولابد في الإيجاب من لطف الله وكرمه أو خذلانه)[2].

وقال النووي: (وفي هذه الأحاديث النهي عن ترك العمل والاتكال على ما سبق به القدر، بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد الشرع بها، وكل ميسر لما خلق له، لا يقدر على غيره، ومن كان من أهل السعادة يسره الله لعمل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة يسره الله لعملهم)[3].

وقال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن الأرزاق والآجال قد سبق ما قسم الله عز وجل منها، وأن أهل النار قد سبق في علم الله عز وجل ذكرهم، ومقاعدهم منها.

وفيه من الفقه أن هذا الخبر لا ينبغي أن يؤثّر في ترك العمل بل في زيادته، ويؤثّر في ترك الإدلال بالطاعة؛ ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له"؟!

وقد روي عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه لما روى الحديث الذي فيه: ((يَعْمَلُ أَحَدَكُمْ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ))[4]، قال: هذا أشد الحديث أو أشد الأحاديث بعثًا على العمل، أو كما قال. والغرض أن هذا الحديث ليس يقتضي تقتير العمل، بل يقتضي الحذر من

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٢٥/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠٢/١٦/٨، .

(٤) هذا جزء من حديث عبدالله بن مسعود في خلق الآدمي في بطن أمه، وفيه "إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها..." أخرجه البخاري ٣٢٠٨، ومسلم ٢٦٤٣.

الإعجاب، كما أنه لا يقتضي التتابع في المعاصي، بل يقتضي أن لا يقنط فاعلها من رحمة الله إن كثرت ذنوبه.

وقوله: ((أما من كان مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فسيصير لِعَمَلِ السَّعَادَةِ. وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فسيصير لِعَمَلِ الشَّقَاءِ))[1]، فاعلم أن السين تخلص الفعل المضارع للاستقبال، فقوله: "سيصير لعمل أهل السعادة" يدلك على أن المعوَّل عليه هو الخاتمة، فلا يغترَّ أحد بعمل ولا يقنط من ذنب)[2].

---

(١) هذا تكملة حديث الباب، وقد مضى ذكر هذه الجملة منه قريبًا.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٥٧/١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالموعظة:

جاء في حديث الباب أنموذج من استخدام رسول الله ﷺ لأسلوب الموعظة في التربية في موعظته عند القبر، فعن علي رضي الله عنه قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رَسُول اللَّهِ ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة ...». ولما كان الحديث قائما على أسلوب الموعظة بَوَّب النووي له تحت باب "الموعظة عند القبر".

إن الموعظة من الأساليب التربوية المؤثرة خاصة إذا كانت ممن يقتدى به نظراً لأهمية القدوة في العملية التربوية، إلا أن هذه الوسيلة لا تكون كافية لتجعل الولد أخلاقياً مستقيماً في كل تصرفاته، إذ لابد من حصول الموعظة مع وجود القدوة "لأن النفس الإنسانية على استعداد تام للتأثر بما يلقى إليها من كلمات لكن ذلك الاستعداد كما هو للخير فهو استعداد أيضاً للشر، فإذا أردنا أن نصلح جنوح الأحداث[1]، فإن الموعظة ذات تأثير بالغ في التغيير الإيجابي خاصة إذا ما أحسن توظيفها بالأسلوب وبالشكل المناسب.

إن النفوس الصافية والقلوب المتفتحة والعقول الواعية المتدبرة، إذا تراءى لها الحق منساباً بالكلمة المؤثرة والموعظة البليغة والنصيحة الرشيدة والتذكرة المخلصة فإنها سرعان ما تخضع للحق وتتقبل هدي الله الذي أنزله، هذا في الكبير، فكيف بالولد الصغير الذي ولد على الفطرة، وقلبه الطاهر البريء لم يتلوث بعد، ونفسه البيضاء الصافية لم تتدنس بمفاسد الجاهلية ولم تتقلب في مدارج الإثم والعدوان، فلاشك أن تأثيره بالموعظة أبلغ وقبوله للتذكرة أقوى[2]".

---

(١) انظر: نحو تربية إسلامية، د. حسن الشرقاوي، مؤسسة شباب الجامعة: ١٩٨٣م ص ٢١٥.

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١٩٢/١. وانظر: الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد بن مقبل ابن محمد المقبل ص ١٤٧، ١٤٨.

ثانياً- انتهاز الفرص للتعليم والتوجيه:

"يجب على المعلم انتهاز الفرص العارضة والمناسبات الطارئة لتعليم خبرات جديدة، أو لشرح أمر مهم أو لتوضيح فكرة غامضة، أو القيام بغرس الفضائل وتكوين الاتجاهات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[(١)]، وحديث الباب مثال عملي على هذا النوع من التربية، حيث انتهز النبي ﷺ اجتماع ذلك الجمع الكريم من الصحابة، وذلك الجو الذي يجعل النفس أكثر تقبلاً للموعظة، وأعظم استعداداً لسماعها، فوعظهم مبيناً حال نهاية كل إنسان ومآله إلى مصيره من جنة أو نار، فعن علي رضي الله عنه قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رَسُول اللَّهِ ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: ما منكم من أحد ...».

"لقد كان ﷺ كثيراً ما ينتهز المناسبة لمن يريد وعظهم وإرشادهم لتكون أبلغ في التأثير وأفضل للفهم والمعرفة"[(٢)]، والأمثلة على ذلك كثيرة منها أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيّاً فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»[(٣)].

إن انتهاز الفرص واستغلالها في الدعوة والتربية أسلوب تربوي اتبعه الأنبياء والمرسلون عليهم السلام، ومن أمثلة ذلك في تاريخ الدعوة "ما قام به يوسف الصديق عليه السلام عندما سجن ودخل معه السجن فتيان، وقصا ما رأياه في منامهما وطلبا منه تأويلها، قام عليه السلام بانتهاز الفرصة للدعوة إلى دين الله تعالى قبل أن يفسر لهما رؤياهما"[(٤)]، قال الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْآخَرُ

---

(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان ص ٢٠٢.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٧١٩/٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٥٥٤٠.

(٤) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان ص ٢٠٢.

إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾[1].

ثالثاً- التربية على العمل وقوة العزيمة:

تهدف التربية الإسلامية إلى بيان الغاية الحقيقية التي لأجلها خلق الإنسان وهي عبادة الله تعالى وإقامة منهجه في الحياة، والسعي في إعمار هذا الكون والأخذ بالأسباب مع قوة اليقين في الله تعالى وعدم القعود والكسل بدعوى التوكل، وأن كل شيء مكتوب ولن يغير، فلا شك أن كل شيء بقدر وأن ما قدره الله تعالى سوف يكون لا محالة، ولكن على الإنسان أن يسعى ويبذل وسعه ملتمساً الأسباب، لأنه كما بين رسول الله ﷺ، وأمر بأن يعمل كل إنسان ولا يتوقف فكل ميسر لما خلق له، هكذا ربى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على هذا الفهم الصحيح والواضح، لأجل أن يكون المسلم فاعلاً ومؤثراً ومنتجاً ومتوكلاً على الله مع حسن ظنه بربه.

إن التربية الإسلامية تعمل على دفع المسلم إلى العمل والمشاركة الإيجابية البناءة، وعدم التواكل والبعد عن السلبية والانهزامية التي تسلب الإنسان مقوماته وتهدر طاقاته.

---

(١) سورة يوسف، الآيات: ٣٦-٤١.

لقد بيّن النبي ﷺ لأصحابه ﷺ أن ما في الكتاب مخبوء، وعلى الإنسان أن يعمل ما استطاع، فلعله من أهل السعادة فيهمل فيعمل عمل أهل الشقاوة، وهكذا يحل الإسلام مشكلة القضاء والقدر بالحث على العمل وعدم الاتكال عليه والتسليم لله في كل الأمور[١].

لذا كان من واجب المربين والمعلمين أن يبثوا في روح الناشئة النشاط ويغرسوا فيهم حب العمل وقوة العزيمة والابتعاد عن الكسل والتواكل، فلابد من المبادرة بتخليص المُرَبين خاصة الناشئة والشباب من هذه الخصال الذميمة في وقت مبكر قبل أن تستفحل وتتحول إلى خلق يصعب اجتثاثه[٢]، فالعاجز الكسول المتواكل هو الذي لا يزال في حضيض طبعه محبوساً، وقلبه عن كماله الذي خُلق له مصدوداً منكوساً، قد أسأم نفسه مع الأنعام راعياً مع الهمل، واستطاب لُقَيْمات الراحة والبطالة، واستلان فراش العجز والكسل، لا كمن رُفِع له عَلَمُ فشمر إليه، وبُورِك له في تفرده في طريق طلبه فلزمه واستقام عليه، قد أبت غلبات شوقه إلى الهجرة إلى الله ورسوله، ومقتت نفسه الرفقاء إلا ابن سبيل يرافقه في سبيله[٣].

رابعًا- من الأساليب التربوية:

وردت في حديث الباب بعض الأساليب التربوية، منها:

أ- الوسائل الإيضاحية: ويمكن أن يستشهد لذلك بقول علي بن أبي طالب راوي الحديث رضي الله عنه: "وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكّس وجعل ينكت بمخصرته".

ومما لا شك فيه أن الوسائل الإيضاحية تجذب انتباه المتعلمين وتزيد الأمر وضوحًا في عقولهم وأذهانهم، والمعلم البارع مَن استخدم الموارد المتاحة لديه في البيئة المحيطة به وسائل إيضاح.

ب- المناقشة والحوار: كما في قول الصحابة رضي الله عنهم: "يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له".

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥١٦.

(٢) انظر: تربية الشباب، محمد بن عبدالله الدويش ص ١٦٣، ١٦٤.

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٤٦/١.

ومن الجدير بالذكر أن أسلوب المناقشة والحوار يتيح للمتعلم أن يعبر عن نفسه وعن أفكاره بحرية في جوٍّ مشجع ومحفز، كما أنه يعتمد في كثيرًا من الأحيان على الإقناع العقلي، مما يتيح الفرصة لأن يشارك المتعلم بدور إيجابي في العملية التعليمية، مما يزيد دافعيته إلى التعلم.



١٦١- باب الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء لَهُ والاستغفار والقراءة

الحديث رقم (٩٤٧)

٩٤٧- عن أَبي عمرو - وقيل: أَبُو عبد الله، وقيل: أَبُو ليلى- عثمان بن عفان ﵁، قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِن دَفْنِ المَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، وقال: ((اسْتَغْفِرُوا لأخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإنَّهُ الآنَ يُسأَلُ)) رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

الشرح الأدبي

الحديث يروي حال النبي ﷺ عند دفن الموتى في يراجع المؤمن فيها نفسه، ويتفكر في آخرته، وقول الراوي: (إِذَا فُرِغَ مِن دَفْنِ المَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ) أسلوب شرط يربط دفن الرسول ﷺ للميت بالوقوف، والاستغفار له، وأسلوب الشرط يجعل الفل عادة متكررة، ويجعل الفعلين مرتبطين، وقوله (اسْتَغْفِرُوا لأخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإنَّهُ الآنَ يُسأَلُ) أمر توجيه، وإرشاد يندب الحاضرين للاستغفار للميت، ويرغبهم في ذلك، والتعبير بالأخ تذكير بتلك الرابط التي تجمع المؤمنين وما تستلزمه من مودة، ورحمة، وشفقة، وقوله (وسلوا له التثبيت) يشير إلى أن الموقف موقف اضطراب، وخوف، يحتاج فيه الإنسان إلى يدعوا له، والرسول ﷺ رحمة بالمؤمنين، أحياءً، وأمواتاً قلبه مع الميت، ومع الحي، وقد علل لذلك الأمر ليحقق مزيداً من الإقناع بقوله (فإنه الآن يسئل) والظرف (الآن) يقرب الظرف الزماني حال وجودهم في ظرفه المكاني مما يشعرهم بالهيبة، والإشفاق، ثم إن بناء الفعل لما لم يسم فاعله يجعل القلوب تذهب في تصوره كل مذهب.

---

(١) برقم ٣٢٢١، وصحّحه الحاكم في المستدرك ١/ ٣٧٠، وقال المؤلف في الخلاصة ٣٦٧٤، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٣٦: إسناده حسن.

فقه الحديث

الوقوف على القبر والدعاء للميت:

قال ابن قدامة: (وسئل أحمد عن الوقوف على القبر بعد ما يدفن، يدعى للميت؟ قال: لا بأس به، قد وقف عليٌّ والأحنف بن قيس، وروى أبو داود بإسناده عن عثمان: قال: كان النبي إذا دفن الرجل وقف عليه فقال: "استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل". وروى مسلم بإسناده: ولما حضرت عمرو بن العاص الوفاة، قال: اجلسوا عند قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم، فإني استأنس بكم)[1].

وقال النووي: (يستحبّ أن يمكث على القبر بعد الدفن ساعة، يدعو للميت ويستغفر له، نص عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستغفار للميت عند الفراغ من دفنه وسؤال التثبيت له.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: سؤال الميت.

ثالثاً: من بلاغة الداعية: استخدام الألفاظ المناسبة.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الأمر والتعليل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الاستغفار للميت عند الفراغ من دفنه وسؤال التثبيت له:

هذا واضح من قوله ﷺ: "استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبت، فإنه الآن يسأل"، (فالدعاء للميت عند قبره بعد دفنه ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين)[3] وقال ابن تيمية: (المستحب عند الدفن، يقام على قبره، ويدعى له بالتثبيت، كما روى أبو داود في سننه [وذكر الحديث] وهذا من معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٢٧/٣ ، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/١٦-٤٤.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٨٥/٥.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٥٩/٢.

﴿تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[1]، فإنه لما نهى نبيه ﷺ عن الصلاة على المنافقين وعن القيام على قبورهم، كان دليل الخطاب، أن المؤمن يصلى عليه قبل الدفن، ويقام على قبره بعد الدفن. فزيارة الميت المشروعة بالدعاء والاستغفار، هي من هذا القيام المشروع)[2].

وقال الشوكاني: (فيه مشروعية الاستغفار للميت عند الفراغ من دفنه وسؤاله التثبيت له، لأنه يسأل في تلك الحال)[3].

وقال أبو عبدالله القرطبي: (قال أبو عبدالله الترمذي الحكيم [صاحب نوادر الأصول]: الوقوف على القبر وسؤال التثبيت في وقت دفنه - مدد للميت بعد الصلاة، لأن الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له، قد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له، والوقوف على القبر لسؤال التثبيت، مدد للعسكر، وتلك ساعة شغل للميت، لأنه يستقبله هول المطلع وسؤال وفتنة القبر)[4].

وقال الطيبي: (قوله ﷺ "سلوا له التثبيت" اطلبوا من الله أن يثبته على جواب الملكين بالقول الثابت، وضمّن سلوا معنى الدعاء، كما قال الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[5] أي ادعوا له بدعاء التثبيت أي قولوا: ثبته الله تعالى بالقول الثابت)[6]

وقال ابن عثيمين: (وذلك أن الميت إذا دفن، فإنه يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه فكان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، يعني عنده وقال: استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل"، فيسن للإنسان إذا فرغ الناس من دفن الميت أن يقف عنده ويقول: اللهم اغفر له ثلاث مرات اللهم ثبته ثلاثاً؛ لأن النبي ﷺ كان غالب أحيانه إذا دعا دعا ثلاثاً، ثم ينصرف ولا يجلس بعد ذلك، لا للذكر ولا

---

(١) سورة التوبة، آية: ٨٤.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤١٥/١٢.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٧٣٥.

(٤) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ١٠٦.

(٥) سورة المعارج، آية: ١.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٨٩/١.

للقراءة ولا للاستغفار، هكذا جاءت به السنة)[١].

وقال الخطابي: (في هذا الحديث دليل على أن الدعاء نافع للميت؛ وليس فيه دلالة على التلقين عند الدفن، كما هو العادة[٢]، ولا نجد فيه أيضاً حديثاً مشهوراً، ولا بأس به، لأنه ليس فيه إلا ذكر الله تعالى. وعرض الاعتقاد على الميت والحاضرين، والدعاء له وللمسلمين، وإرغام لمنكري الحشر، وكل ذلك حسن)[٣].

وقال ابن القيم: (وكان ﷺ إذا فرغ من دفن الميت، قام على قبره هو وأصحابه، وسأل له التثبيت، وأمرهم أن يسألوا له التثبيت، ولم يكن يجلس يقرأ عند القبر، ولا يلقن الميت كما يفعله الناس اليوم)[٤].

لكن ابن تيمية قال: (تلقينه بعد موته ليس واجباً بالإجماع، ولا كان من عمل المسلمين المشهور بينهم على عهد النبي ﷺ وخلفائه، بل ذلك مأثور عن طائفة من الصحابة كأبي أمامة وواثلة بن الأسقع. فمن الأئمة من رخص فيه كالإمام أحمد، وقداستحبه طائفة من أصحابه وأصحاب الشافعي، ومن العلماء من يكرهه لاعتقاده أنه بدعة. فالأقوال فيه ثلاثة: الاستحباب والكراهة والإباحة. وهذا أعدل الأقوال. فأما المستحب الذي أمر به وحضّ عليه النبي ﷺ فهو الدعاء للميت)[٥].

ثانياً - من موضوعات الدعوة: سؤال الميت:

هذا واضح من قوله ﷺ: "فإنه الآن يسأل" قال الشوكاني: (فيه دليل على ثبوت حياة القبر، وقد وردت بذلك أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر. وفيه أيضاً دليل على أن الميت يسأل في قبره، وقد وردت به أيضاً أحاديث صحيحة في الصحيحين وغيرهما)[٦].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٢٠٧/٢.

(٢) انظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ١٩٠-١٩١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٩٦/١٣، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٣/٢٨٦-٢٨٨.

(٣) نقله الطيبي في شرحه على مشكاة المصابيح ٢٨٩/١.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٢٢/١.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٩٦/١٢.

(٦) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٧٣٥.

وقال الصنعاني: (فيه دلالة على أن الميت يسأل في القبر، وقد وردت به الأحاديث الصحيحة كما أخرج ذلك الشيخان "فمنها": من حديث أنس[1] أنه ﷺ قال: إن الميت إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم" زاد مسلم[2]: "وإذا انصرفوا أتاه ملكان" زاد ابن حبان[3] والترمذي[4] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "أزرقان أسودان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير" زاد الطبراني في الأوسط[5]: "أعينهما مثل قدور النحاس، وأنيابهما، مثل صياصي[6] البقر، وأصواتهما مثل الرعد" زاد عبدالرزاق[7]: "ويحفران بأنيابهما ويطآن في أشعارهما، معهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يقلُّوها" وزاد البخاري من حديث البراء: "فيعاد روحه في جسده"[8] ويستفادُ من مجموع الأحاديث[9] أنهما يسألانه فيقولان له: "ما كنت تعبد، فإن كان هداه الله فيقول: كنت أعبد الله. فيقولان: ما كنت تقولُ في هذا الرجل: لمحمدٍ؛ فأمَّا المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله - وفي رواية: "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله - فيقال له: صدقت فلا يسأل عن شيء غيرها، ثم يقال له: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى" وفي لفظ: "فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، وألبسوه من الجنة، قال: فيأتيه من رَوحها وطيبها ويفسح له مد بصره ويقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٣٨، ١٣٧٤، ومسلم ٢٨٧٠.

(٢) صحيح مسلم ٢٨٧٠.

(٣) صحيح ابن حبان ٣١١٧ وقال محققه: إسناده قوي

(٤) سنن الترمذي ١٠٧١.

(٥) كما في مجمع الزائد ٣/٥٣-٥٤، وقال الهيثمي: وفيه ابن لهيعة.

(٦) قرونها. واحدتها صيصة. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ص ا ص).

(٧) في المصنف ٣/٥٨٤ رقم ٦٧٤٠.

(٨) ليس هذا الحديث في البخاري وإنما أخرجه أحمد ٣٠/١٨٥٣٤، وأبو داود ٤٧٥٣، والحاكم ١/٣٧-٣٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح، وانظر تتمة تخريجه هناك.

(٩) انظر: التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ١١٦-١٢٣.

الله مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً فيقول: دعوني حتى أذهب أبشر أهلي، فيقال له اسكت ويفسح له في قبره سبعون ذراعاً، ويملأ خضراً إلى يوم القيامة" وفي لفظ: "ويقال له: نم فينام نومة العروس لا يوقظه إلا أحب أهله. وأما الكافر والمنافق فيقول له الملكان: من ربك فيقول هاه[1] هاه لا أدري ويقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقال: لا دريت ولا تليت، أي: لا فهمت ولا تبعت من يفهم ويضرب بمطارق من حديد ضربة لو ضرب بها جبل لصار تراباً فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين".

ثم قال الصنعاني: واعلم أنه قد وردت أحاديث دالة على اختصاص هذه الأمة بالسؤال في القبر دون الأمم السالفة قال العلماء: والسر فيه أن الأمم كانت تأتيهم الرسل، فإن أطاعوهم فالمراد، وإن عصوهم اعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب، فلما أرسل الله محمداً ﷺ رحمة للعالمين أمسك عنهم العذاب، وقبل الإسلام ممن أظهره سواءٌ أخلص أم لا، وقيض الله لهم من يسألهم في القبور، ليخرج الله سرهم بالسؤال، وليميز الله الخبيث من الطيب، وذهب ابن القيم إلى عموم المسألة وبسط المسألة في كتاب الروح)[2].

ثالثاً - من بلاغة الداعية: استخدام الألفاظ المناسبة:

هذا واضح من قوله ﷺ: "استغفروا لأخيكم" قال عبدالله البسام: (فيه إثبات الأخوة الإسلامية، وهو أقوى أواصر الأخوة وأوثقها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾[3]، وفيه معنى آخر: تقريب قلوب المشيعين، وتليين قلوبهم للميت، ليخلصوا له الدعاء والاستغفار).

---

(١) هذه كلمة تقال في الإبعاد وفي حكاية الضحك، وقد تقال للتوجع، وهو الأليق بمعنى هذا الحديث. النهاية في غريب الحديث ١٠١٦.

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٢٨٤/٣-٢٨٦ ولكن جاء في كتاب أصول الإيمان: والذي يظهر من النصوص عدم اختصاص هذه الأمة بالسؤال في القبر، بل هو عام في كل الأمم، وعلى هذا أكثر المحققين من أهل العلم. أصول الإيمان ٢٢٦.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٠.

ويمكن الاستئناس في هذا المقام بقوله سبحانه وتعالى عن تضرع أيوب عليه السلام: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1].

قال ابن القيم: (جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر إلى ربه، ووجود طعم المحبة في التملق له والإقرار له بصفة الرحمة، وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه وشدة حاجته وفقره، ومتى وجد المبتلى هذا، كشفت عنه بلواه، وقد جرب أنه من قالها سبع مراتٍ، ولا سيما مع هذه المعرفة، كشف الله ضره)[2].

رابعاً – من أساليب الدعوة: الأمر والتعليل:

أما الأمر فقوله ﷺ "استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت"، ولاشك أن أسلوب الأمر أسلوب مباشر للامتثال والفعل والعمل[3].

كما علل النبي ﷺ هذا الأمر بكون الميت يسأله الملكان في قبره، وعبّر ﷺ عن الميت بلفظ "أخيكم" ليحث المدعوين على الإخلاص في ذلك، واستجماع القلوب والهمم على ذلك.

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٨٣.

(٢) الفوائد ٢٨٤.

(٣) انظر: تعليم أصول الفقه، د. نور الدين الخادمي ص ٣٦١-٣٦٦.

الحديث رقم (٩٤٨)

٩٤٨- وعن عمرو بن العاص ﷺ، قَالَ: إِذَا دَفَنْتُمُونِي[١]، ... فَأَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ، وَيُقَسَّمُ لَحمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَعْلَمَ[٢] مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي. رواه مسلم[٣]. وَقَدْ سبق بطوله.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: ((وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُقْرَأَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ القُرآنِ))[٤]، وَإِنْ خَتَمُوا القُرآنَ عِنْدَهُ كَانَ حَسَنَاً[٥].

ترجمة الراوي:

عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣٠).

غريب الألفاظ:

الجزور: الناقة[٦].

---

(١) عند مسلم زيادة: (فشنّوا عليَّ التراب شنًّا).

(٢) عند مسلم: (انظر).

(٣) برقم ١٢١/١٩٢، وتقدم برقم (٧١١). قال الشافعيُّ: (قد بلغني عن بعض من مضى أنّه أمرَ أن يقعد عند قبره إذا دفن قدر ما يجزرُ جزورٌ، وهذا أحسنُ، ولم أرَ النّاسَ عندنا يصنعونه). معرفة السنن والآثار ٣٣٤/٥، ف ٧٧٤٨.

(٤) نقل الإمامُ البيهقيُّ في معرفة السنن والآثار ٣٣٣/٥، ف ٧٧٤٦ عن الشافعي المطلبيّ أنه قال: (وأحبُّ لو قرئ على القبر، ودُعي للميت). وليس ما قاله بدعًا على الإمام الشافعيّ رحمه الله، فقد روى البيهقي في السنن الكبرى ٥٦/٤ عن ابن عمر أنّه استحبَّ أن يُقرأ على القبر بعد الدفن أول البقرة وخاتمتها، قال النووي في الأذكار ص: ٢٣٧، والخلاصة ٣٦٧٧: رواه البيهقي بإسناد حسن.

(٥) القول الأول، هو للإمام الشافعيّ رحمه الله، والقول الأخير هو للأصحاب، وهذا النصُّ نقله النووي في كتابه الأذكار ص: ٢٣٦، باب ما يقوله بعد الدفن بأوضح مما هنا حيث قال: (قال الشّافعي والأصحابُ: يُستحبُّ أن يقرأوا عنده شيئًا من القرآن، قالوا: فإنْ ختموا القرآن كلّه كان حسنًا). وقال النووي في المجموع ٢٨٦/٥: والأفضل أن يكون السلام والدُّعاء بما ثبت في الحديث، ويُستحبُّ أن يُقرأ من القرآن ما تيسر، ويدعو له عقبها، نصَّ عليه الشّافعيُّ، واتفق عليه الأصحاب.

(٦) لسان العرب، ابن منظور في (ج ز ر).

الشرح الأدبي

هـذا الحـديث يتعلـق بعمـرو بـن العـاص رضي الله عنه وقولـه (: إِذَا دَفَنْتُمُـونِي) يـدل حديثـه بفحواه أن حديثه في مرض موته عندما شعر بدنو أجله يشعرك بذلك استخدامه لأداة الشرط (إذا) التي توحي بتحقق الشرط، وتدخل على الماضي فتخلصه للاستقبال، ثم ذكره الدفن، والقبر، وقوله (أقيموا) أمر فيه التماس وإشفاق، ورجاء، وقوله (حَوْلَ قَبْرِي) يشير إلى الالتفاف، والإحاطة التي تشعر بالطمأنينة، وتذهب الرهبة، وقوله: (قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ، وَيُقَسَّمُ لَحمُهَا) هي الفترة التي يظن أن يستغرقها سؤال الملكين، وقوله (أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ) أي أطلب الأنس بكم، وهو دليل على يقينه بالغيب، وشدة خوفه تنبع من هذا اليقين، والتعبير بالمراجعة يشير إلى تجاوب، وحوار مع رسل ربه بين سؤال، وجواب، وهما منكر، ونكير، فتأمل خوف الأتقياء الذي عاشوا مجاهدين ينشرون الإسلام، ويفتحون الفتوحات، وإنما الخوف على قدر المعرفة، ولذلك قال الرسول ﷺ (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّساءِ عَلَى الفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى)[١].

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) البخاري حديث (٦١٢٠).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٧١١)، وقد ورد بتمامه مع اختلاف يسير في بعض ألفاظ الحديث المشار إليه.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- ربط المسلم بالعقيدة:

من أهداف التربية الإسلامية ربط المسلم بالعقيدة من خلال بيان التصورات الإيمانية الصحيحة التي يجب أن تستقر في القلوب وترسخ في الأذهان، ولاشك أن مثل هذه التصورات الصحيحة لا تتأتى إلا من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولقد حرص النبي ﷺ على تربية أصحابه رضي الله عنهم على الفهم الصحيح لأمور العقيدة، ومن ذلك بيانه ﷺ لما يجب فعله بعد دفن الميت من الاستغفار له وسؤاله تعالى التثبيت للميت، إنها تربية إيمانية عالية تعمق في نفس المسلم حبه لإخوانه وشفقته عليهم ورحمته بهم حتى بعد مماتهم والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب: قوله ﷺ: «اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التثبيتَ فَإنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»، وعلى هذه العقيدة تربى المسلمون واعتقدوا بها اعتقاداً جازماً لا يشوبه شك أو خلل يتضح ذلك في الحديث الثاني من خلال ما ورد في وصية عمرو بن العاص رضي الله عنه لأهله وذويه «إذا دفنتموني فأقيموا حول قبري ... وأَعْلَمُ ماذا أراجعُ به رسلَ ربي».

إنه لا يخفى على المربي أنه إذا عمق في الولد والمتربي حقيقة الإيمان بالله ورسخ في قلبه هذه التصورات الإيمانية وسعي جهده دائماً في أن يربطه بالعقيدة الإلهية، فإن الولد ينشأ على المراقبة لله والخشية منه والتسليم له، والتزام منهجه في كل ما يأمر به وينهى عنه، بل يكون عنده من حساسية الإيمان وإرهاف الضمير، ما يكف عن المفاسد الاجتماعية والوساوس النفسية والمساوئ الخلقية، وبهذا ينصلح روحياً وخلقياً، ويكتمل عقلياً وسلوكياً، بل يكون من الذين يُشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى والدين والحق والصراط المستقيم[1].

إن التربية الإسلامية تهدف إلى تربية المسلم على العقيدة والإيمان الصحيح والأخلاق

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/ ٨١٨، ٨١٩.

الفاضلة، وغرس القيم الإسلامية، كما تهدف إلى إعداد الإنسان للعبادة، وتنمية الفرد العابد الذي يفي بشرط الاستخلاف في الأرض، ويستغل طاقاته للإبداع في حدود تقوى الله تعالى، حتى تصبح العبادة شاملة لكل ما يقوم به الإنسان من عمل وفكر وشعور[1].

ثانياً- تخير الوقت المناسب للتوجيه والإرشاد:

إن تخير الوقت المناسب للتوجيه والإرشاد والوعظ والتعليم أمر مهم في عملية التربية لأن للنفوس إقبالاً وإدبارًا، لذا فإنه يَحسن بالمربي أن يتخير الأوقات المناسبة لتوجيهاته التربوية، حتى تجد طريقها إلى قلوب السامعين.

والمعلم القدير هو الذي يستغل فترة إقبال الطلبة واستعدادهم لسماع وتقبُّل ما يقول، حتى يكون توجيهه مواتياً، وإلا فإن أي نصح أو توجيه يكون ثقيلاً على القلب وتمله النفوس وربما ترفضه، ويكون المعلم قد أضاع وقته، ووقت الطلبة فيما لا طائل فيه، وذهب ما قاله أدراج الرياح.

ويبدو لنا حسن تَخَيّر الرسول ﷺ للوقت المناسب للتوجيه واضحاً في حديث عثمان رضي الله عنه «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ المَيتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَاسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»، حيث انتهز النبي ﷺ فرصة اجتماع ذلك الجمع من الصحابة في الجنازة كذلك الجو الروحي والعاطفي الذي يعيشونه ويجعلهم أقرب ما يكونون لقبول ما يلقى على أسماعهم، فعلمهم النبي ﷺ ما يجب عليهم نحو أخيهم من الاستغفار وسؤال التثبيت له، لأنه أحوج ما يكون لمثل هذه الدعوات خاصة في وقت سؤاله في قبره بعد دفنه، فقال النبي ﷺ: «فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ».

لقد بات معلوماً في علم التربية وطرق التدريس أن المعلم القدير هو الذي يستغل المناسبات والأحوال الطارئة للتعليم والتوجيه وتقديم النصح والإرشاد وإظهار العبرة، إذ أن كثرة الكلام في غير مناسبة مدعاة للسأم والملل والانصراف، وعدم الإصغاء، وهذا ما يفقد الموعظة قيمتها ويجعلها ثقيلة على النفس أو قد لا يلتفت إليها الطلبة ألبتة.

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٦٦.

لقد كان رسول الله ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة والنصح والإرشاد بين الحين والآخر وهم على ما هم عليه من اليقين وقوة الإيمان وهو بينهم لأنه يخشى عليها السآمة والملل، فكان ﷺ يتحين الفرص والمناسبات الملائمة التي تجعل الموعظة أوقع في النفس وأبلغ في الأثر، والمعلم القدير هو الذي يراعي الزمان والمكان المناسبين للتوجيه ليكون التعليم مثمراً وليكون السلوك المراد تعليمه مدركاً[1].

ثالثاً- الموازنة بين الموعظة والتعليم والوقت الكافي لها:

إن من وسائل نجاح العملية التعليمية والتربوية مراعاة التوازن والمناسبة بين الدرس والوقت المخصص له فلو كان الوقت أكبر لشعر المتعلمون بالملل والتكرار، ولو كان الوقت قليلاً بحيث لا يكفي لعرض الأفكار وتوضيحها لأدى ذلك إلى نوع من القصور، ويمكن أن نستلخص هذا المعنى من وصية عمرو بن العاص رضي الله عنه لأهله وذويه «إذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأعلم ماذا أراجع به رسل ربي»، فنراه رضي الله عنه طلب منهم إيناسه بهذا الوقت الذي يسع لنحر جزور وتقسيم لحمها الذي رآه مناسباً لإيناسه ومساعدته على مراجعة رسل ربه، فلم يطلب منهم وقتاً أقل من ذلك فيفوته الإيناس وفي نفس الوقت لم يطلب منهم وقتاً أكثر فيحملهم فوق طاقتهم ويشعرون بالسآمة والملل والضجر، ونحو ذلك خاصة إذا فاتتهم مصلحة أو منفعة دينية أو دنيوية.

لذا كان من الواجب على المربين خاصة من يضع منهم المناهج والخطط الدراسية والحصص الدراسية أن يوازنوا بين المنهج وبين الوقت المخصص له.

"كما ينبغي أيضاً على المعلم أن يكون ماهراً في توزيع محاور الدرس على زمن الحصة، حتى لا يقف في موقف لا يحسد عليه، إما لأنه لم يستطع إنهاء الدرس المحدد بسبب استطراده وخروجه عن الدرس في مواضيع جانبية أو أشياء ثانوية، أو بسبب تكراره أشياء سهلة لا تحتاج لذلك، وإما أنه أنهى الدرس قبل نهاية الحصة بوقت طويل

---

(١) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس للآباء والدعاة والمعلمين، ومن يهمه تربية أبناء المسلمين، د. محمد صالح بن علي جان ص ١٩٢-١٩٤.

بسبب استعجاله في إلقاء الدرس مما يجعله يكرر أقواله ويضطرب وينفعل وتكثر أخطاؤه ويتجرأ عليه الطلبة وينفلت زمام الأمر من يده فيكثر الشغب والقيل والقال[1].



(١) انظر: المرجع السابق ص ٢٥٥ ، ٢٥٦.

١٦٢- باب الصدقة عن الميت والدعاء لَهُ

قَالَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾[الحشر: ١٠].

الحديث رقم (٩٤٩)

٩٤٩- وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أنَّ رجلًا قَالَ للنبيِّ ﷺ: إنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وَأُرَاهَا[1] لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أجْرٌ إنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: ((نَعَمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

افُتلتت نفسها: ماتت فجأة[3].

أراها: أظنها[4].

الشرح الأدبي

تنكير الرجل السائل لعدم العلم به، أو لعدم تعلق غرض بذكره وقوله: (إنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا) كناية عن موت الفجأة، والتعبير بالإفتلات يدل على المباغتة، والتعبير بـ (رأى) هنا لا يقصد به الرؤية البصرية، وإنما الظنية، أي غلب على ظنه ذلك، وقوله (لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ) جملة شرطية تربط الكلام بالصدقة، واستخدام (لو) في الشرط لأنها حرف امتناع لامتناع أي: امتناع الجواب وهو التصدق لامتناع الشرط، وهو الكلام، وقوله: (فَهَلْ لَهَا أجْرٌ إنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟) استفهام على حقيقته يعكس بره

---

(١) عندهما بلفظ: (وأظنها)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ١٤٢/٤ رقم ٣٢٥٣، وكذا عند البخاري ٢٧٦٠.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ١٣٨٨، ومسلم ٥١/١٠٠٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٤٠.

(٤) صحيح البخاري ١٣٨٨، ومسلم ١٠٠٤.

بأمه، وجملة الشرط بعد الاستفهام فيها إيجاز بحذف الجواب، لدلالة السبق عليه أي إنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا، فهل لها أجر؟، وإجابة الرسول ﷺ جاءت على وفق مراده.

فقه الحديث

انتفاع الميت بالقرب:

قال ابن قدامة: (وأي قربة فعلها وجعل ثوابها للميت، نفعه ذلك إن شاء الله، أما الدعاء والاستغفار والصدقة وأداء الواجبات فلا أعلم فيه خلافًا، إن كانت الواجبات مما يدخله النيابة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾[1].

وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: ((أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيته؟)) قالت: نعم. قال: ((فدين الله أحق أن يقضى))[2].

وهذه أحاديث صحاح وفيها دلالة على انتفاع الميت بسائر القرب، لأن الصوم والحج والدعاء والاستغفار عبادات بدنية، وقد أوصل الله نفعها إلى الميت، فكذلك ما سواها ... وقال الشافعي: ما عدا الواجب والصدقة والدعاء والاستغفار لا يفعل عن الميت، ولا يصل ثوابه إليه، لقول الله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[3] وقول النبي ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"

---

(١) سورة الحشر، آية: ١٠.

(٢) هما حديثان جمعهما المصنف، فأخرج البخاري ١٥١٣، ومسلم ١٣٣٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة قالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه. قال: نعم. وأخرج البخاري ١٩٥٣، ومسلم ١١٤٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، فقال: أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟ قالت: نعم. قال: فدين الله أحق بالقضاء.

(٣) سورة النجم، آية: ٣٩.

ولأن نفعه لا يتعدى فاعله، فلا يتعداه ثوابه[1]. وقال النووي: (وأجمع المسلمون على أن الصدقة عن الميت تنفعه وتصله)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضوان الله عليهم على استفتاء النبي ﷺ في أمور الدين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الصدقة عن الميت.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: المسارعة إلى عمل البر والمبادرة إلى بر الوالدين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضوان الله عليهم على استفتاء النبي ﷺ في أمور الدين:

هذا واضح من سؤال الرجل النبي ﷺ عن أمه التي ماتت فجأة: هل لها أجر إن تصدقت عنها؟ فقال النبي ﷺ: نعم.

ومن هذا القبيل ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عبادة رضي الله عنه استفتى رسول الله ﷺ فقال: إن أمي ماتت وعليها نذر، فقال: اقضه عنها[3].

ومن هذا القبيل أيضًا ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما كذلك قال: إن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، فقال: أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه، قالت: نعم، قال: فدين الله أحق بالقضاء[4].

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١٩/٣-٥٢٠، و انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٩/٣٠-١٠٠ ومراجعها ومصادرها.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٠٩/٥، وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٩٣-١٩٤ .

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٦١، ومسلم ١٦٣٨.

(٤) أخرجه البخاري ١٩٥٣، ومسلم ١١٤٨.

قال ابن حجر: (وفيه ما كان الصحابة عليه من استشارة النبي ﷺ في أمور الدين)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الصدقة عن الميت:

هذا واضح من إقرار النبي ﷺ للرجل عندما سأله عن الأجر الذي يصل إلى أمه إن تصدق عنها بعد موتها.

وقد بوب البخاري على حديث عائشة وحديث ابن عباس عن سؤال سعد بن عبادة عن قضاء النذر الذي على أمه وقد ماتت - بوب على ذلك باب: ما يستحب لمن توفى فجأة أن يتصدقوا عنه وقضاء النذور عن الميت[٢].

قال ابن حجر: (وفي حديث الباب من الفوائد: جواز الصدقة عن الميت وأن ذلك ينفعه بوصول ثواب الصدقة إليه ولاسيما إن كان من الولد. وهو مخصص لعموم قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[٣]، ويلتحق بالصدقة العتق عنه عند الجمهور خلافًا للمشهور عند المالكية)[٤].

وقال النووي: (وفي هذا الحديث أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها، وهو كذلك بإجماع العلماء، وكذا أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين بالنصوص الواردة في الجميع، ويصح الحج عن الميت إذا كان حج الإسلام، وكذا إذا وصى بحج التطوع على الأصح عندنا (أى عند الشافعية). واختلف العلماء في الصوم إذا مات وعليه صوم، فالراجح جوازه عنه للأحاديث الصحيحة فيه [٥] والمشهور في مذهبنا أن قراءة القرآن لا يصله ثوابها. وقال جماعة من أصحابنا: يصله ثوابها، وبه قال أحمد بن حنبل، وأما الصلاة وسائر الطاعات فلا تصله عندنا ولا عند الجمهور، وقال أحمد: يصله ثواب الجميع كالحج)[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٥/٣٩٠ .

(٢) صحيح البخاري: كتاب الوصايا رقم ٥٥، الباب ٧٩، الحديثان ٢٧٦٠، ٢٧٦١.

(٣) سورة النجم، آية: ٣٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٥/٣٩٠.

(٥) وهو حديث عائشة مرفوعًا: "من مات وعليه صيام، صام عنه وليه" أخرجه البخاري ١٩٥٢، ومسلم ١١٤٧.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤/٧/٩٨ .

وقال ابن تيمية: (ففي الأحاديث الصحيحة أنه أمر ﷺ بحجج الفرض عن الميت وبحج النذر، كما أمر بالصيام، وأن المأمور تارة يكون ولدًا وتارة يكون أخًا، وشبه النبي ﷺ ذلك بالدين يكون على الميت، والدين يصح قضاؤه من كل أحد، فدل على أنه يجوز أن يفعل ذلك من كل أحد، لا يختص ذلك بالولد، كما جاء مصرحًا به في الأخ، فهذا الذي ثبت بالكتاب والسنة والإجماع علم مفصل مبين، فعلم أن ذلك لا ينافي قوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[1]، وقوله ﷺ: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث...))[2]. بل هذا حق، وهذا حق....)[3].

وقال ابن القيم: (وقد أجمع الناس على وصول الصدقة والدعاء. قال الإمام أحمد: لا يختلفون في ذلك. وما عداهما فيه اختلاف. والأكثرون يقولون بوصول الحج. وأبو حنيفة يقول: إنما يصل إليه ثواب الإنفاق، وأحمد ومن وافقه مذهبهم في ذلك أوسع المذاهب. يقولون: يصل إليه ثواب جميع القرب. بدنيها وماليّها، والجامع للأمرين. واحتجوا بأن النبي ﷺ قال لمن سأله: "يارسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد مماتهما، قال: (نعم).... فذكر الحديث[4].

وقد قال ﷺ: "من مات وعليه صيام صام عنه وليه"[5])[6].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: المسارعة إلى عمل البر والمبادرة إلى بر الوالدين:

هذا واضح من سؤال الرجل عن الصدقة عن أمه ووصول الأجر إليها بعد موتها.

وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: "بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة

---

(١) سورة النجم، آية: ٣٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٦١٢.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤٠٢/١٢ - ٤٠٣، ٣١١/٢٤ - ٣١٢.

(٤) وبقيته: "الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإيفاء بعهودهما من بعد موتهما، وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما. والحديث أخرجه أبو داود ٥١٤٢، وابن ماجه ٣٦٦٤، والحديث ضعفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٠٠).

(٥) أخرجه البخاري ١٩٥٢، ومسلم ١١٤٧.

(٦) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٧٥/١ - ٢٧٦.

فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية وإنها ماتت، قال: فقال ﷺ: وجب أجرك وردها عليك الميراث. قالت: يارسول الله إنه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها ؟ قال: صومي عنها. قالت: إنها لم تحج قط أفأحج عنها؟ قال: حجي عنها"[١].

قال ابن حجر: عن حديث الباب: (وفيه السؤال عن التحمل والمسارعة إلى عمل البر والمبادرة إلى بر الوالدين)[٢].

ولعل من هذا القبيل ما رواه عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبدالله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه. قال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير. فقال عبدالله بن عمر: إن أبا هذا كان وادًّا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه"[٣].

وقال النووي: (في هذا فضل صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم، وهو متضمن لبر الأب وإكرامه، لكونه بسببه، ويلتحق به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ والزوج والزوجة)[٤].

رابعًا – من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

هذا واضح من سؤال الرجل وجواب النبي ﷺ وهذا الأسلوب له (قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة الذين يتلقون الإجابات عن أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم، ١١٤٩

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣٩٠/٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٥٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٠/١٦/٨ .

(٥) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٥٨/٢.

الحديث رقم (٩٥٠)

٩٥٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((إِذَا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاثٍ[1]: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يعتمد الأسلوب البلاغي لهذا الحديث أسلوب التشويق في عرض المعنى عن طريق أسلوب الشرط، والتفصيل بعد الإجمال مع حسن التقسيم، والإيجاز غير المخل فأسلوب الشرط (إِذَا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاثٍ)، ويحقق التشويق من حيث أن النفس تتعلق بالجواب إذا ذكر الشرط، والإجمال في قوله: (ثلاث) وهي تحقق التشويق برغبة النفس في معرفة ما يسفر عنه العدد فإذا فصَّل بعد ذلك كان له في النفس فضل تمكن، وقد بدأ تفصيلها بقوله (صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) ووصف الصدقة بالجارية يعطيها بعداً إيحائياً بالامتداد، والتجدد في العطاء، الذي يترتب عليه استمرار الأجر، ووصف العلم بالانتفاع به يشير إلى العلم المؤثر الفاعل، فكم من علم يضر، ولا ينفع !، وكم من علم نفع الناس، وضر صاحبه يوم قصد به غير وجه الله !، والفعل المضارع (ينتفع) يصور التجدد، والاستمرار حتى بعد موت صاحبه مما جدد له الأجر، ووصف الولد بالصالح يشير إلى عمل والده على إصلاحه في حياته، واستمراره على الصلاح الذي تدل عليه اسمية الوصف (صالح)، وقوله (يدعو له) يصور الفعل المضارع استمرار الفعل، وتجدده، الذي يؤدي إلى تجدد الثواب،

---

(١) لفظ مسلم: (ثلاثة).

(٢) برقم (١٦٣١/١٤) وسيكرره المؤلف برقم ١٣٨٥. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٤.

واستمراره، وهي دعوة لكل عاقل لكي يتخذ لنفسه عملاً ينتفع به بعد مماته يصله بمدد من الحسنات لا ينقطع.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: ما ينتفع به الميت بعد موته.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: المسارعة إلى اغتنام الحياة الدنيا في عمل الطاعات وما ينفع في دار المعاد.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الشرط والاستثناء.

أولاً - من صفات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

هذا واضح من الحديث: قال النووي: (قال العلماء: معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته. وينقطع تجدد الثواب له، إلا في هذه الأشياء الثلاثة، لكونه سببها، فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهى الوقف)[1].

وقال الطيبي: عن معناه: (ينقطع عنه ثواب أعماله من كل شيء من الصلاة والزكاة والحج، ولا ينقطع ثواب أعماله من هذه الثلاثة، والمعنى إذا مات الإنسان لا يكتب له بعده أجر أعماله، لأنه جزاء العمل، وهو ينقطع بموته، إلا فعلاً دائم الخير، مستمر النفع مثل وقف أرض، أو تصنيف كتاب، أو تعليم مسألة يعمل بها، أو ولد صالح، وكل منها يلحق أجره إليه، وإنما جعل الولد صالح من جنس العمل لأنه هو السبب في وجوده، وسبب لصلاحه بإرشاده إلى الهدى، كما جعل نفس العمل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾[2]، وأما فائدة القيد بالولد "يدعو له" مع أن الغير من المسلمين لو دعا له لنفعه، فزيادة للبيان وتحريض للولد على الدعاء، وأنه كالواجب عليه)[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/١١/٨٨ .

(٢) سورة هود، آية: ٤٦.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١/٣٦١.

وقال أبو العباس القرطبي: (هذه الثلاث الخصال إنما جرى عملها بعد الموت على من نسبت إليه؛ لأنه تسبب في ذلك، وحرص عليه، ونواه. ثم إن فوائدها متجددة بعده دائمة، فصار كأنه باشرها بالفعل، وكذلك حكم كل ما سنه الإنسان من الخير، فتكرر بعده؛ بدليل قوله ﷺ: ((من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة))[1]. وإنما خص هذه الثلاثة بالذكر في هذا الحديث، لأنها أصول الخير، وأغلب ما يقصد أهل الفضل بقاءه بعدهم. والصدقة الجارية بعد الموت هي: الحبس[2]، فكان حجة على من ينكر الحبس، وفيه ما يدل: على الحض على تخليد العلوم الدينية بالتعليم والتصنيف، وعلى الاجتهاد في حمل الأولاد على طريق الخير والصلاح، ووصيتهم بالدعاء عند موته، وبعد الموت)[3].

ومن قبيل بيان الداعية الحقائق للمدعوين قوله ﷺ: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله"[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: ما ينتفع به الميت بعد موته:

هذا واضح من الحديث فقد أخبر ﷺ أن ينتفع بعد موته بثلاثة هي: (صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له).

وقال ﷺ: "إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علمًا علمه ونشره وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا ورثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، يلحقه من بعد موته"[5].

قال النووي عن حديث الباب: (وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه، وبيان

---

(١) أخرجه مسلم، ١٠١٧.

(٢) الحبس: الوقف. معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي، ١٥٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤/٥٥٤ - ٥٥٥.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٢٤٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ١٩٨).

فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه، والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح، وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع. وفيه أن الدعاء يصل ثوابه إلى الميت وكذلك الصدقة، وهما مجمع عليهما. وكذلك قضاء الدين)[١].

وقال ابن القيم: (والعبادات قسمان: مالية وبدنية، وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصدقة على وصول ثواب سائر العبادات المالية، ونبه بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب سائر العبادات البدنية، وأخبر بوصول ثواب الحج المركب من المالية والبدنية، فالأنواع الثلاثة ثابتة بالنص الاعتبار)[٢].

وقال ابن تيمية: (أما الحديث فإنه قال: "انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) فذكر الولد ودعاءه له خاصية، لأن الولد من كسبه، كما قال: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾[٣]، قالوا: إنه ولده. وكما قال النبي ﷺ: ((إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه))[٤]. فلما كان هو الساعي في وجود الولد، كان عمله من كسبه، بخلاف الأخ والعم والأب ونحوهم، فإنه ينتفع - أيضًا- بدعائهم، بل بدعاء الأجانب، لكن ليس ذلك من عمله.

والنبي ﷺ قال: انقطع عمله إلا من ثلاث ..." لم يقل: إنه لم ينتفع بعمل غيره، فإذا دعا له ولده كان هذا من عمله الذي لم ينقطع. وإذا دعا له غيره لم يكن من عمله لكنه ينتفع به. وأما الآية فللناس عنها أجوبة متعددة. كما قيل: إنها تختص بشرع من قبلنا، وقيل: إنها مخصوصة. وقيل: إنها منسوخة. وقيل: إنها تنال السعي مباشرة وسببًا. والإيمان[٥] من سعيه الذي تسبب فيه.

ولا يحتاج إلى شيء من ذلك. بل ظاهر الآية حق لا يخالف بقية النصوص، فإنه قال:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/١١ - ٨٨ .

(٢) انظر الروح لابن القيم ١١٧ - ١٤٣، وقد أفاض في الاستدلال لما ذهب إليه. وانظر كذلك: جامع الفقه من كتب ابن القيم مع يسري السيد محمد ٢/٥١٧ - ٥٤٩.

(٣) سورة المسد، آية: ٢.

(٤) أخرجه الترمذي ١٣٥٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٠٩٥).

(٥) كذا في المطبوع من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم .

﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[١]، وهذا حق. فإنه إنما يستحق سعيه، فهو الذي يملكه ويستحقه، كما أنه إنما يملك من المكاسب ما اكتسبه هو. وأما سعي غيره، فهو حق وملك لذلك الغير، لا له، لكن هذا لا يمنع أن ينتفع بسعي غيره كما ينتفع الرجل بكسب غيره)[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: المسارعة إلى اغتنام الحياة الدنيا في عمل الطاعات وما ينفع في دار المعاد:

وهذا واضح من إخبار النبي ﷺ أن الميت ينقطع انتفاعه بعمله إلا بهذه الثلاثة، قال القرطبي: (إنما خص هذه الثلاثة بالذكر في هذا الحديث لأنها أصول الخير وأغلب ما يقصد أهل الفضل بقاءه بعدهم، والصدقة الجارية بعد الموت هي الحبس، وفيه ما يدل على الحض على تخليد العلوم الدينية بالتعليم والتصنيف، وعلى الاجتهاد في حمل الأولاد على طريق الخير والصلاح، ووصيتهم بالدعاء عند موته وبعد الموت)[٣].

من علم أن الدنيا دار سباق وتحصيل الفضائل، وأنه كلما علت مرتبته في علم وعمل زادت مرتبته في دار الجزاء، أنهب الزمان[٤] ولم يضع لحظة، ولم يترك فضيلة تمكنه إلا حصلها، ومن وفق لهذا فليغتنم زمانه بالعلم، وليصابر كل محنة وفقر، إلى أن يحصل له ما يريد)[٥].

قال محمد بن إبراهيم الحمد: (إن المرء إذا تذكر قصر الدنيا وسرعة زوالها، وأدرك أنها مزرعة للآخرة، وأنها فرصة لكسب الأعمال الصالحة، وتذكر ما في

---

(١) سورة النجم، آية: ٣٩.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤٠٣/١٢، ٢١١/٢٤ - ٢١٢. وانظر: المغنى لابن قدامة، ٥١٩/٣ - ٥٢٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٥/١٦ - ٤٦.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٥٥/٢.

(٤) يقال: إنه لينهب الأرض: يسرع في السير. وإنه لينهب الغاية: سباق. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ٩٥٦.

(٥) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٥٣/٢.

الجنة من النعيم المقيم، وما في النار من العذاب الأليم - زهد في مُتع الدنيا، وأقصر عن الاسترسال في الشهوات، وانبعثت همته للأعمال الصالحات.

قصر الآمال في الدنيا تَفُزْ فدليل العقل تقصير الأمل

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)). وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)[1].

قال ابن رجب تعليقًا على هذا الحديث: (وهذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنًا ومسكنًا، فيطمئن فيها. ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر يهيِّئ جهازه للرحيل.

وقد اتفقت على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم.

قال تعالى حاكيًا عن مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾[2])[3].

قال ابن عقيل: (ما تصفو الأعمال والأحوال إلا بتقصير الآمال؛ فإن كل من عد ساعته التي هو فيها كمرض الموت حسنت أعماله، فصار عمره كله صافيًا).

وقال ابن الجوزي: (من تفكر في عواقب الدنيا أخذ الحذر، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر)[4].

وقال ابن القيم: (صدق التأهب للقاء الله من أنفع ما للعبد وأبلغه في حصول استقامته؛ فإن من استعد للقاء الله انقطع قلبه عن الدنيا وما فيها ومطالبها، وخمدت من نفسه نيران الشهوات، وأخبت قلبه إلى الله، وعكفت همته على الله، وعلى

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤١٦.

(٢) سورة غافر، آية: ٣٩.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/ ٣٧٧.

(٤) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٥٧.

محبته، وإيثار مرضاته، واستحدثت همة أخرى، وعلومًا أخر. وولده ولادة أخرى تكون نسبة قلبه فيها إلى الدار الآخرة، كنسبة جسمه إلى هذه الدار بعد أن كان في بطن أمه، فيولد قلبه ولادة حقيقية كما ولد جسمه حقيقة. وكما كان بطن أمه حجابًا لجسمه عن هذه الدار - فهكذا نفسه هو حجاب لقلبه عن الدار الآخرة؛ فخروج قلبه عن نفسه بارزًا إلى الدار الآخرة كخروج جسمه عن بطن أمه بارزاً إلى هذه الدار)[1].

والمقصود أن صدق التأهب هو مفتاح جميع الأعمال الصالحة،والأحوال الإيمانية، ومقامات السالكين إلى الله، ومنازل السائرين إليه من اليقظة، والتوبة، والإنابة، والمحبة، والرجاء، والخشية، والتفويض، والتسليم، وسائر أعمال القلوب والجوارح؛ فمفتاح ذلك كله صدق التأهب، والاستعداد للقاء الله، والمفتاح بيد الفتاح العليم، لا إله غيره، ولا رب سواه"[2])[3].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الشرط والاستثناء:

فالشرط قوله ﷺ: "إذا مات الإنسان انقطع عمله"، إما الاستثناء فقوله: "إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"، ولا شك أن الشرط يرتب الجزاء على الفعل، وهنا في الحديث إخبار عن انقطاع عمل الإنسان بموته إلا من حالات ثلاثة. وهذا الاستثناء يدفع المدعو أن يلتزمها في حياته ويعمل على الإكثار منها والزيادة فيها.

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٣٢٠.

(٢) طريق الهجرتين ٣٢١.

(٣) الهمة العلمية معوقاتها ومقوماتها، ١٩٨ - ٢٠٠، ومراجعها ومصادرها.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على بر الوالدين:

إن من الأصول التي ينبغي ألا يُغفل عنها في مجال التربية رعاية حقوق الوالدين وبرهما في حياتهما براً دائماً لا ينقطع حتى بوفاتهما، فإن حق الوالدين عظيم، ومن سعة رحمة الله تعالى أن جعل بر الوالدين لا ينقطع حتى بعد مماتهما فقد يقصر أحد الناس في حق والديه وهما أحياء فإذا ماتا عضّ يده وقرع سنه ندماً على تفريطه وتضييعه لحق الوالدين، وتمنى أن يرجعا للدنيا ليعمل معهما صالحاً غير الذي عمل، ومن هنا يستطيع المسلم أن يستدرك ما قد فات فيبر والديه وهما في عالم البرزخ، وذلك بأمور منها:

أ- أن يكون الولد صالحاً في نفسه.

ب- كثرة الدعاء والاستغفار لهما.

ج- صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما.

د- وإنفاذ عهدهما.

هـ- التصدق عنهما[1].

إن التربية الإسلامية تعمل على تعميق قيم البر والوفاء، وأولى الناس بالبر والوفاء من كانا سبباً في مجيء الإنسان إلى هذه الحياة وهما الوالدان، لذا حرص النبي ﷺ على تربية أصحابه رضي الله عنهم على البر بالوالدين حتى بعد مماتهما وانقطاعهما عن الحياة.

ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب ما ورد في قوله: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

كما ورد ذلك الأنموذج في بر الوالدين عن طريق التصدق عنهما وتأكيد النبي ﷺ على وصول الأجر إلى الوالدين وانتفاعهما به كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها في الباب: «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أمي افْتُلِتَتْ نَفْسُها، وأراها لو تَكَلَّمَتْ، تصَدَّقَتْ؛ فهل لها أجرٌ إن تَصَدَّقْتُ عنها قال: (نعم)».

---

(١) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٣٩، ٤٠.

فما أحرى بالمربين أن يغرسوا في نفوس المتعلمين حب الوالدين ويحثوهم على برهما براً دائماً غير منقطع في حياتهما ولا بعد مماتهما.

إن العلاقة بين الولد وأبيه لا تقوم على أساس المصلحة المادية ومنطق الربح والخسارة، إنما تقوم على البذل والعطاء والطاعة والبر والإحسان فيقرن الإحسان بالوالدين بعبادة الله وشكرهما بشكره اعترافاً بفضلهما ورعاية للمستوى الخلقي الرفيع الذي ينبغي أن تبنى عليه العلاقة بين الأبناء والآباء[1].

ثانياً- التركيز على الأعمال المتعدية النفع الممتدة الأثر:

إن من أهداف التربية الإسلامية: التركيز على الأعمال ذات الأثر الممتد والمحمود، ولذا حرص النبي ﷺ على توجيه أصحابه والمؤمنين من بعدهم إلى الاهتمام بالأعمال التي يمتد أثرها وينتفعون بها حتى بعد مماتهم وانقطاعهم عن الحياة، وهذا نوع من التربية على علو الهمة وعدم الإخلاد إلى الدنيا وما فيها، بل وتعمل التربية الإسلامية على ترقية الاهتمامات والإعداد والاستعداد بالأعمال التي يمتد أثرها بعد موت الإنسان.

لذا ينبغي لفت أنظار المتعلمين إلى القصد إلى تلك الأعمال الفاضلة وإعطائها الأولوية، إذ أنه من الأحرى أن تعطى الأولوية لكل عمل له أثر طويل المدى، من ذلك:

- الصدقة الجارية بحيث يوظف الفرد وقته وجهده وحركته في الحياة لإفادة غيره من الناس خلال حياته وبعد مماته، وهي تشمل كل مشروع يخدم الناس في معاشهم وفي أمور دينهم.

- وكذلك العلم النافع، وهو الاستفادة من الوقت في طلب العلم وتعليمه وتوريثه، وخاصة العلم الشرعي الذي يعود على الناس بالنفع في دنياهم وأخراهم والذي تمتد ديمومة الانتفاع به إلى ما بعد موت صاحبه.

- وكذلك تربية الولد الصالح، في ذلك إشارة إلى تكوين أسرة كريمة وتنشئة الأولاد على خلق ودين، فإذا مات الوالدان خلفهما جيل يحمل منهج الله في قلبه ويقدم الخير للبشرية، كما أنه يدعو لهما طالما حيي.

---

(١) انظر: منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ١٥٤، وأصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ٣٩.

وهذه الأعمال الثلاثة وردت الإشارة إليها في حديثي الباب لاسيما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

ومن ثَمَّ كان الواجب الاهتمام بتلك الأعمال التي لا تكون محدودة بسنين العمر المحدودة، وإنما تبقى خالدة في نفعها إلى ما شاء الله، ومن أهم تلك الأعمال: تربية النشء المسلم، وتعليمه، وتعويده السلوك القويم، حتى يكون سجية له لا ينفك عن شخصيته، وقد نص على ذلك في الحديث في قوله ﷺ: «وعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ» فإن المربي المسلم الذي يكرس وقته في تربية النشء وتعليمه وتقويم سلوكه تبقى أعماله تلك رصيداً يمتد بمدى تحقيقه للفائدة كماً وكيفاً وزماناً[1].

ثالثاً- التوجيه غير المباشر:

من فطنة المعلم الحاذق والمربي الأريب أن يُنَّوع في أساليب تربيته وتعليمه، فلا يسلك منهجاً واحداً فتمل منه النفوس وتنفر منه القلوب والأسماع، وإنما يختار من الأساليب ما يراها ملائمة وموافقة لأحوال من يقوم على توجيههم وتربيتهم.

ونلاحظ ذلك في حديثي الباب حيث جاء في الحديث الأول توجيه مباشر في إجابته لذلك الرجل عن سؤاله فيما لو أراد أن يتصدق عن أمه المتوفاة حيث قال النبي ﷺ: «إن أمي افْتُلِتَتْ نَفْسُها، وأراها لو تَكَلَّمَتْ، تَصَدَّقَتْ؛ فهل لها أجرٌ إن تَصَدَّقْتُ عنها قال: (نعم)».

كما نجد في الحديث الآخر توجيهاً غير مباشر فلم يقل النبي ﷺ مثلاً تصدقوا بالصدقات الجارية، أو تعلموا وعلموا الناس العلم الذي ينتفع به، وإنما جاء توجيهه ﷺ في صورة خبر يحمل معنى الحث والأمر والتوجيه، فقال ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». فهذا الحديث وإن جاء في صيغة الخبر لكن المراد منه التوجيه والحث والترغيب.

---

(١) انظر: إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة ص ٩٩، ١٠٠.

إن التوجيه غير المباشر أسلوب تربوي له من الوجاهة وحسن التأثير ما لا ينكر، وقد شاع هذا الأسلوب في أحاديث النبي ﷺ، ونضرب مثالاً لهذا بحديث جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «رحِمَ اللّهُ رجلاً سمحاً إذا باعَ وإذا اشْترى وإذا اقْتضى»[1]. ففي ذلك توجيه مباشر على المسامحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاحنة والحث على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم[2].

إن التوجيه غير المباشر هو دفع المربي أتباعه لعمل ما دون التصريح به، ولقد كان هذا الأسلوب من أكثر الأساليب التي اعتمدها الرسول ﷺ في تربيته لأصحابه بل لا تكاد تخلو أحاديثه وتوجيهاته وأقواله من هذا الأسلوب لماله من فوائد جمة قد لا تتوفر في غيره، ومن فوائده:

أ- أن الرسول ﷺ أراد أن يكون الدافع للعمل ذاتياً خالياً من ضغط العوامل الأخرى كالحياء والرياء والعاطفة والمجاملة.

ب- أن ينشأ عند الفرد الثقة بالنفس واستقلال الشخصية حتى إذا فُقِد المربي استطاع المسلم الاستمرار بالعمل الصالح وأن يشق طريقه بنفسه.

ج- ربما توجد بعض النفوس التي تتثاقل من قبول النصيحة المباشرة ويصيبها الخجل والإحباط إذا حصل التصريح بالتوجيه والإرشاد، فكان التوجيه غير المباشر دافعاً لما قد يحصل من ذلك.

د- أن ينمي عند الفرد المسلم القدرة على التصرف السليم واتخاذ القرار الصحيح المناسب.

هـ- في التوجيه المباشر يكون المرء ملزماً بالتطبيق الفوري وفي حالة الامتناع قد يقع في معصية، أما التوجيه غير المباشر فالتنفيذ متروك للمرء على التراخي أحياناً[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٧٦.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٣٨٤/٤.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٨٩، ٢٩٠.

١٦٣- باب ثناء الناس عَلَى الميت

الحديث رقم (٩٥١)

٩٥١- عن أنسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: مَرُّوا بجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْراً ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ : ((وَجَبَتْ)) ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرّاً ، فَقَالَ النبي ﷺ : ((وَجَبَتْ))، فَقَالَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه : مَا وَجَبَت؟ فَقَالَ: ((هَذَا أثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً، فَوَجَبتْ لَهُ الجَنَّةُ، وهَذَا أثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرّاً، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّار، أنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول معنى شهادة المؤمنين للميت، وأثرها عليه، وأسلوبه خبري مبني على الحوار قوله: (مروا بجنازة) أي بميت، وإسناد الفعل لواو الجماعة يؤكد الفعل لأنه فعل جماعة بخلاف فعل الواحد في التوكيد، والثناء الشكر، وقول الرسول ﷺ (وجبت) أي لزمت، وقول الراوي (ثم مروا) حرف العطف يدل على فترة زمنية وأنها لم تتبعها مباشرة، وقوله (فأثنوا عليها شراً) الثناء يكون بالخير، واستخدامه في الشر من باب المشاكلة، والإشارة في قول الرسول (هَذَا أثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً ، فَوَجَبتْ لَهُ الجَنَّةُ) لتمييز المشار إليه، واستحضاره في ذهن المخاطب والخبر عنه بوجوب الجنة مدح له، والإشارة الثانية كذلك، والإخبار عنه بوجوب النار ذم له، وحاصل الجملتين يشير إلى قيمة شهادة المؤمنين، وأنهم لا يجمعون على باطل، وقول الرسول (أنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ) وصفهم بالشهداء تكريم له، وإضافة الشهداء لله تشريف لهم، والقيد بقوله (في الأرض) تخصيص لهم، وتمييز عن غيرهم من الشهداء.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ١٣٦٧ ، ومسلم ٦٠/٩٤٩. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٦١.

فقه الحديث

ذكر الأموات بشرّ:

قال النووي: (كيف مكنوا بالثناء بالشر مع الحديث الصحيح في البخاري وغيره في النهي عن سبّ الأموات[1]؟، فالجواب أن النهي عن سب الأموات هو في غير المنافق وسائر الكفار، وفي غير المتظاهر بفسق أو بدعة، فأما هؤلاء فلا يحرم ذكرهم بشر للتحذير من طريقتهم ومن الاقتداء بآثارهم والتخلق بأخلاقهم. وهذا الحديث محمول على أن الذي أثنوا عليه شرًا، كان مشهورًا بنفاق أو نحوه مما ذكرنا، هذا هو الصواب في الجواب عنه)[2].

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: ثناء المؤمنين على الميت.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: جواز ذكر مساوئ الميت لمصلحة شرعية.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: تزكية رسول الله ﷺ لأمته.

رابعاً: من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه.

خامساً: من آداب المدعو: الاستكثار من رحمة الله وفضله.

أولاً – من موضوعات الدعوة: ثناء المؤمنين على الميت:

هذا واضح من الحديثين، وحديث أنس عند مسلم بلفظ ((مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ. وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ. أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ. أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ))[4].

وقال النووي: (وأما معناه ففيه قولان للعلماء، أحدهما: أن هذا الثناء بالخير لمن أثنى

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٩٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨/٧/٤، وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٩٥، وفتح الباري، ابن حجر ٢٥٨/٣-٢٥٩.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٥١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٥٢).

(٤) صحيح مسلم ٩٤٩.

عليه أهل الفضل، فكان ثناؤهم مطابقاً لأفعاله، فيكون من أهل الجنة، فإن لم يكن كذلك فليس هو مراداً بالحديث، والثاني: -وهو الصحيح المختار- أنه على عمومه وإطلاقه، وأن كل مسلم مات، فألهم الله تعالى الناس أو معظمهم الثناء عليه، كان ذلك دليلاً على أنه من أهل الجنة، سواء كانت أفعاله تقتضي ذلك أم لا. وإن لم تكن أفعاله تقتضيه فلا تحتم عليه العقوبة، بل هو في خطر المشيئة، فإذا ألهم الله عز وجل الناس الثناء عليه، استدللنا بذلك على أنه سبحانه وتعالى قد شاء المغفرة له، وبهذا تظهر فائدة الثناء. وقوله ﷺ "وجبت... وأنتم شهداء الله" ولو كان لا ينفعه ذلك إلا أن تكون أعماله تقتضيه، لم يكن للثناء فائدة، وقد أثبت النبي ﷺ له فائدة)[1].

قال ابن حجر: (قوله "أنتم شهداء الله في الأرض" أي المخاطبون بذلك من الصحابة ومن كان على صفتهم من الإيمان، وحكى ابن التين أن ذلك مخصوص بالصحابة[2]، لأنهم كانوا ينطقون بالحكمة بخلاف من بعدهم. قال: والصواب أن ذلك يختص بالثقات والمتقين، انتهى وسيأتي في الشهادات[3] بلفظ "المؤمنون شهداء الله في الأرض" ولأبي داود[4] من حديث أبي هريرة في نحو هذه القصة "إن بعضكم على بعض لشهيد")[5].

وقال ابن حجر كذلك: (قال الداودي: المعتبر في ذلك شهادة أهل الفضل والصدق، لا الفسقة، لأنهم قد يثنون على من يكون مثلهم، ولا من بينه وبين الميت عداوة؛ لأن شهادة العدو لا تقبل)[6].

وقال الطيبي: (قوله: "فأثنوا عليها شراً" الثناء إنما يستعمل في الخير، واستعماله

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢/٧/٤-٢٣ ، .

(٢) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٩٢/١.

(٣) أي كتاب الشهادات من صحيح البخاري، الحديث ٢٦٤٢.

(٤) سنن أبي داود ٣٢٣٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٧٧٠).

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٢٢٩/٣.

(٦) المرجع السابق ٢٣٠/٣-٢٣١.

ههنا في الشر إما مشاكلة لقوله "فأثنوا عليها خيراً"[١] أو تهكم كاستعمال البشارة في النذارة)[٢].

ثانياً – من موضوعات الدعوة: جواز ذكر مساوئ الميت لمصلحة شرعية:

هذا يستفاد من قوله ﷺ: "وهذا أثنيتم عليه شراً"، وفعل عمر بن الخطاب ﷺ عندما مرت عليه جنازة فأثنى على صاحبها شراً.

ولكن هذا الجواز يعارضه النهي عن سب الموتى، فقد قال النبي ﷺ "لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا"[٣]. وروي أن النبي ﷺ قال: ((اُذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ وكُفُوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ))[٤]، وقد ذكر أبو العباس القرطبي أربعة أوجه للجمع بين هذه الأحاديث منها أن الذي تحدث عنه بالشرّ كان مستظهراً له ومشهوراً به، فيكون ذلك من باب لا غيبة لفاسق، ومنها أن الذي أثنى عليه الصحابة بالشر يحتمل أن يكون من المنافقين ظهرت عليه دلائل النفاق، فشهدت الصحابة بما ظهر لهم[٥].

لكن عبدالله البسام قال عن حديث النهي عن سب الأموات: (ظاهر الحديث يدل على منع وتحريم سب الأموات مطلقاً، سواء كان الميت مسلماً أو كافراً، أو كان مسلماً فاسقاً أو صالحاً. لكن هذا العموم مخصوص – على أصح ما قيل–بأن أموات الكفار والفساق يجوز ذكر مساوئهم للتحذير منهم، والتنفير عنهم، وعن الاقتداء بآثارهم والتخلق بأخلاقهم، والضابط في ذلك جواز سبهم إذا كان لمصلحة شرعية للمسلمين. وعلل ﷺ النهي عن سبهم بأنهم أفضوا ووصلوا إلى جزاء ما قدّموا وعملوا من خير أو شر، والله هو المجازي، فلا فائدة في سبهم، فيحرم إلا لمصلحة شرعية أو ما خصّه الدليل من عموم هذا النهي.

---

(١) ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة﴾[الشورى: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله﴾[آل عمران: ٥٤] وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٣/٧/٤، .

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٦٨/٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٩٣.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٩٠٠، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ١٠٤٧).

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦٠٧/٢-٦٠٨.

والعلة الثانية في هذا النهي لئلا يتأذى الأحياء بسبهم، من أولادهم وأقاربهم ومن يلوذ بهم، إذ العلة الأولى في النهي عن سبهم أنهم أفضوا إلى ما قدموا، وهذا يدل على العموم إلا لمصلحة شرعية، فإن كان في سبهم أذية للأحياء فيكون محرماً من جهتين، وإلا كان محرماً من جهة واحدة.

وأجمع العلماء على جواز جرح المجروحين من الرواة أحياءً وأمواتاً، لابتناء أحكام الشرع على بيان حالهم)[1].

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: تزكية رسول الله ﷺ لأمته:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "أنتم شهداء الله في الأرض" وقوله ﷺ: "أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة".

قال ابن حجر: (وفي الحديث فضيلة هذه الأمة)[2].

وقال الطيبي: ("قوله أنتم شهداء الله" إن الإضافة فيه للتشريف، وأنهم بمكان ومنزلة عالية عند الله، وهو أيضاً كالتزكية من رسول الله ﷺ لأمته وإظهار عدالتهم بعد أداء شهادتهم وبصدق ظنونهم في حق المثنى عليه، كرامة لهم وتفضلاً عليهم كالدعاء والشفاعة، فيوجب لهم الجنة أوالنار على سبيل الوعد أو الوعيد، لأن وعده حق لابد من وقوعه، فهو كالواجب إذ لا أثر للعمل ولا للشهادة في الوجوب. وإلى معنى الحديث يرمز قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3] أي جعلناكم عدولاً خياراً لتشهدوا على غيركم، ويكون الرسول رقيباً مهيمناً عليكم ومزكياً لكم ويبين عدالتكم)[4].

وقال أبو هريرة ((أتي النبي ﷺ بجنازة يصلي عليها فقال الناس: نعم الرجل. فقال

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٥٨٠-٥٨١. وانظر: سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٣/٤١٣-٤١٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣/٢٣١، .

(٣) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣/٣٦٩.

النبي ﷺ: وجبت. وأتي بجنازة أخرى فقال الناس: بئس الرجل. فقال: وجبت. قال أبي ابن كعب: ما قولك؟ فقال: قال تعالى ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1])[2].

قال ابن هبيرة: (هذه كرامة أكرم الله بها المؤمنين، وهي قبول شهادتهم، وهذا لأنهم كانوا: أمناء علماء، فهماء، فأما كونهم أمناء، فإن الأمين لا يشهد لأحد بخير حتى يتحقق أنه على خير، وكذلك لا يشهد على أحد بالسوء حتى يتيقن أنه قد كان ذا سوء.

وأما كونهم علماء، فأنهم كانوا يفرقون بين الخير والشر، فلا يلتبس عليهم الباطل بالحق، ويعرفون السنة وأهلها، ويعرفون الخير والعاملين به، وكانت شهادتهم معبرة.

وأما كونهم فهماء، فأنهم كانوا أولي فهم واطلاع، يذوقون طعم الإيمان من المؤمن، ويذوقون طعم النفاق من المنافق، فإن للإيمان أرجاً وعَرْفاً على نحو المسك، وللنفاق والكفر ثقلاً ودفراً[3] يفهمه كل ذي لب، فكانت شهادتهم على هؤلاء وهؤلاء عن أمانة وعلم، فلذلك قال: "وجبت، وجبت، وجبت" فوجبت من حيث الأمانة، ووجبت من حيث العلم، ووجبت من حيث الفهم، فكل واحدة واجبة فيها)[4].

وقال ابن تيمية: (والوسط: العدل الخيار، وقد جعلهم الله شهداء على الناس وأقام شهادتهم مقام شهادة الرسول... فإذا كان الرب قد جعلهم شهداء لم يشهدوا بباطل، فإذا شهدوا أن الله أمر بشيء فقد أمر به، وإذا شهدوا أن الله نهى عن شيء فقد نهى

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٦٣٢/٢، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢١/٢، وقد صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٦٠٠.

(٣) دفر اللحم أو الطعام: تولد الدود فيه. ودفر الشيء: خبثت رائحته، فهو دفر. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢٨٨.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٠٧/٥-٢٠٨.

عنه، ولو كانوا يشهدون بباطل أو خطأ لم يكونوا شهداء لله في الأرض، بل زكاهم الله في شهادتهم، كما زكّى الأنبياء فيما يبلغون عنه، أنهم لا يقولون عليه إلا الحق، وكذلك الأمة لا تشهد على الله إلا بحق)[1].

رابعاً – من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه:

هذا واضحٌ من قول عمر بن الخطاب للنبي ﷺ ما وجبت؟. وقول أبي الأسود لعمر: وما وجبت يا أمير المؤمنين؟" ومن هذا القبيل ما رواه أبو زهير الثقفي قال: ((سمعت النبيّ ﷺ يقول: يا أيُّها النّاسُ إنَّكُمْ تُوشِكُونَ أنْ تَعْرِفُوا أهْلَ الجَنَّةِ مِنْ أهْلِ النّارِ أو قال: خِيارَكُمْ مِنْ شِرَارِكُمْ قال: فقال رجل من الناس: بم يا رسول الله؟ قال: بالثَّناء السَّيِّىء، والثَّناءِ الحَسَنِ، وَأنْتُمْ شُهَدَاءُ الله بَعْضُكُمْ على بَعْضٍ))[2].

وقد قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

قال السعدي: (إن الله قد أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم، أي إلى أهل العلم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم، حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال)[4].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (السؤال على وجه التبين والتعلم عمّا تمس إليه الحاجة في أمور الدين أو الدنيا مأمور به، أو مباح بحسب حال المسؤول عنه، أما السؤال عما لا تترتب عليه مصلحة دينية ولا دنيوية، على طريق التكلف والتعنت، لغرض التعجيز وتغليط العلماء، فهو غير جائز ومنهي عنه)[5].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٩٧/١١، ١٧٧/١٩-١٧٨.

(٢) أخرجه أحمد ١٧٢/٢٤ رقم ١٥٤٣٩، وابن ماجه ٤٢٢١، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٤) تفسير السعدي ٣٩٤.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٦/٢٤.

خامساً - من آداب المدعو: الاستكثار من رحمة الله وفضله:

وهذا واضح من قول الصحابة لما سمعوا قول النبي ﷺ "أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة" فقلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة فقلنا: واثنان؟ قال: واثنان ثم لم نسأله عن الواحد.

قال ابن حجر: (قال الزين بن المنير: إنما لم يسأل عمر عن الواحد، استبعاداً أن يكتفى في مثل هذا المقام العظيم بأقل من النصاب)[1].

ومن هذا القبيل ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((اللّهمَّ ارحمِ المحلِّقِينَ. قالوا: والمقصرينَ يارسولَ اللّهِ، قال: اللّهمَّ ارحمِ المحلّقينَ. قالوا: والمقصِّرينَ يارسولَ اللّهِ، قال: والمقصِّرين))[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: وَلِلْمُقَصِّرِينَ))[3].

ومن هذا القبيل كذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للنساء: ((ما منكُنَّ امْرأةٌ تُقَدِّمُ ثلاثةً مِن وَلَدِها إلاّ كانَ لَها حِجاباً مِنَ النار فقالت امرأةٌ: واثنينِ؟ فقال ﷺ: واثنين))[4].

قال ابن رجب: (من أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه، أو ما يستلزم ذلك كالنجاة من النار، ودخول الجنة. وقد قال النبي ﷺ ((حولها ندندن))[5] يعني حول سؤال الجنة والنجاة من النار، قال أبو مسلم الخولاني: ما عرضت لي دعوة فذكرت النار إلا صرفتها إلى الاستعاذة منها)[6].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢٣٠/٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٧٢٧، ومسلم ٣١٧-١٣٠١.

(٣) أخرجه البخاري ١٧١٨، ومسلم واللفظ له ١٣٠٢.

(٤) أخرجه البخاري ١٠١، ومسلم ١٥١-٢٦٣٣.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٩١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٧٤٢).

(٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤٠٤/٢.

ويمكن أن يستأنس في هذا المقام بما رواه ثابت عن أنس عن ابن مسعود؛ أن رسول الله ﷺ قال: ((آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ. فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً. وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً. فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا. فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ. لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئاً مَا أَعْطَاهُ أَحَداً مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ. فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا. فَيَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: لاَ. يَا رَبِّ وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا. وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ. لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ. فَيُدْنِيهِ مِنْهَا. فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا. ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَى. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هٰذِهِ لأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا. لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنِ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا. وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ. لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا. فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا. ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هٰذِهِ لأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا. لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَن لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى. يَا رَبِّ هٰذِهِ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا. فَيُدْنِيهِ مِنْهَا. فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا، فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِيهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي[1] مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلاَ تَسْأَلُونِّي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هٰكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلٰكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ))[2].

---

(١) يا ابن آدم ما يصريني منك؟ معناه: ما يقطع مسألتك مني، قال أهل اللغة: الصرى بفتح الصاد وإسكان الراء هو القطع. والمعنى: أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك. شرح صحيح مسلم، للنووي ٤٣/٣/٢ - ٤٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٧.

الحديث رقم (٩٥٢)

٩٥٢- وعن أَبي الأَسْوَدِ، قَالَ: قَدِمْتُ المَدِينَةَ[١]، ... فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّاب ﷺ فَمَرَّتْ بهمْ جَنَازَةٌ، فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْراً، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بأُخْرَى فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْراً، فَقَالَ عُمرُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَةِ، فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا شَرّاً، فَقَالَ عُمر: وَجَبَتْ، قَالَ أَبُو الأسودِ: فقلتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ؟ قَالَ: قُلْتُ كما قَالَ النبي ﷺ: ((أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيرٍ، أدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ)) فَقُلْنَا: وَثَلاثَةٌ؟ قَالَ: ((وَثَلاثَةٌ)) فقلنا: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: ((وَاثْنَانِ)) ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الواحِدِ. رواه البخاريُّ[٢].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه عن شهادة المؤمنين للميت يقوم على الحوار بين الراوي، وعمر ابن الخطاب ﷺ وقول أَبي الأسودِ: (فقلتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ؟) استفهام على حقيقته عن مفهوم الكلمة، والمقصود بها، وقول عمر بن الخطاب ﷺ (قُلْتُ كما قَالَ النبي ﷺ) يدل على متابعته للرسول ﷺ، والتشبيه بقول النبي يستلزم، ويشير إلى دقة المتابعة، قوله: (أيما مسلم) الإبهام في (أي)، و (ما) يعطي الحكم العموم حتى يشمل الجميع، وقوله (شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيرٍ) فيه إيجاز بحذف الصفة أي أربعة من المسلمين الصالحين، وكذلك في سؤال الثالث، وثلاثة؟ أي: وهل شهادة الثلاثة من المسلمين الصالحين كذلك؟، وكذلك قوله، واثنان؟ وقول الراوي: (ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الواحِدِ) تتميم أفاد توقفهم عن السؤال حتى لا يعتقد المخاطب تماديهم في السؤال عن الواحد، وحاصل الحديث أن شهادة المؤمنين، معتبرة في حال الميت؛ لأنهم لا يشهدون بباطل.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) عند البخاري زيادة: (وقد وقع بها مرض).

(٢) برقم ١٣٦٨. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٦٢.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية والموعظة بانتهاز المناسبة والفرصة:

إن من فطنة المربي وذكائه ألا يدع فرصة مناسبة للتربية والإرشاد إلا استغلها، "ولقد كان رسول الله ﷺ كثيراً ما ينتهز المناسبة لمن يريد وعظهم وإرشادهم لتكون أبلغ في التأثير"[1].

يتضح ذلك من حديثي الباب حيث استثمر النبي ﷺ مرور جنازتين أثنى الصحابة على إحداهما خيراً والأخرى شراً في بيان قيمة ومنزلة شهادة المؤمنين وحكمهم من خلال المعاملة التي عاشوها من بعض الناس، فهؤلاء الصحابة الذين أثنوا على جنازة خيراً، إنهم لم يثنوا من فراغ ولكن من واقع المعايشة والسلوك الذي لمسوه مما ترك آثاراً إيجابية في نفوسهم تجاه من أثنوا عليه خيراً، وكذلك ثناؤهم شراً على جنازة أخرى وذلك من واقع المعايشة والسلوك، مما يؤكد قيمة شهادة المؤمنين، وقد أُكّد من الواقع، لذا كان له مكانته ووقعه بل إننا لنجد الرسول ﷺ يؤكد على شهادتهم، حيث قال: «وَجَبتْ فقال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: ماوَجَبتْ قال: هذا أثنيتُم عليهِ خيراً فوَجَبتْ لهُ الجنَّةُ، وهذا أثنَيتُم عليهِ شرّاً فوَجَبتْ لهُ النارُ، أنتم شُهَداءَ اللّهِ في الأرضِ».

ومما سبق يتبين أهمية التربية باغتنام وانتهاز المناسبات والأحداث "فاغتنام المواقف في التوجيه التربوي من أفضل طرقها وأساليبها فهو يسهل العملية التربوية ويساعد على تحقيق الأهداف وغرس الفضائل.

إن اغتنام المناسبة من قِبَلِ المربي له أثره الطيب فإذا رأى سلوكاً طيباً أثنى عليه وأوجد في نفس المتربي ما يحفزه للاستمرار على هذا السلوك، كذلك إذا وجد سلوكاً أو موقفاً خاطئاً من شخص وضح له ما وقع فيه من خطأ وفي نفس الوقت وجهه التوجيه الإيجابي الذي يحسن به أن يسلكه.

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٧١٩/٢.

إن اغتنام المواقف في التوجيه التربوي من أفضل طرقها وأساليبها وأظهرها، لأنها تعالج خللاً في الحال، وصورته لا زالت عالقة في الذهن، ونتائجه ظاهرة أو سوف تظهر فيما بعد وكثيرًا ما يغفل الإنسان ولا يدرك فداحة الأمر إلا بعد فواته، فهذا الأساس مما ينبغي ملاحظته واغتنام فرصته[1].

ثانياً: السؤال والحوار:

من أساليب التربية الرئيسة أسلوب السؤال والحوار، وقد ورد استخدام هذا الأسلوب واضحاً جلياً في سؤال الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ حيث دفعهم تطلعهم وحرصهم على العلم والمعرفة أن يسألوا رسول الله ﷺ عن تفسير ومعنى قوله «وجبت» ردً على ثنائهم المتباين على الجنازتين اللتين مرتا بهم، حيث سأل عمر بن الخطاب ﷺ: رسول الله ﷺ قائلاً: «ما وَجَبَتْ قال: هذا أثنيتُم عليهِ خيراً فوَجَبَتْ لهُ الجنَّةُ، وهذا أثنَيتُم عليهِ شرّاً فوَجَبَتْ لهُ النارُ»، وكذلك لما أخبر عمر في الحديث الثاني بهذا الحديث لم يكونوا أقل منه حباً وتطلعاً إلى المعرفة فسألوه عن ذلك ومنهم أبو الأسود قال: «وما وَجبَتْ يا أميرَ المؤمنين؟ قال: قلتُ كما قال النَّبي ﷺ: أيُّما مسلم ...».

فدلالَةً على أهمية السؤال نجد ذلك الحرص من الصحابة ﷺ على السؤال عما يخفى عليهم من أمور دينهم.

لكن يجمل بالسائل أن يتأدب بآداب السؤال فلا يرفع صوتاً ولا يقاطع متكلماً ويراعى اختيار الألفاظ المناسبة في غير ما تكلف، ثم ينتظر الإجابة في تواضع واحترام وينصت لفهمها واستيعابها.

إن من عَوّد نفسه على السؤال زادت ثقته بنفسه وشعر بالطمأنينة والارتياح لمعرفة الإجابة عما يجول بخاطره ويشغل ذهنه، وإن لم يجد الإجابة لدى المسئول فحسبه أنه بذل وسعه وربما يعاود السؤال في مناسبة أخرى[2].

كما أنه ينبغي على المعلم أن يعود طلابه السؤال والحوار والمناقشة، ليشحذ

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) انظر: التربية الذاتية، هاشم علي أحمد ص ١٢٣-١٢٥.

أذهانهم ويقوي الحجة لديهم ويعودهم الارتجال والمواجهة والثقة بالنفس، كما أن عليه أن يكون واسع الصدر فيرد على كل استفساراتهم وأسئلتهم بإجابات صحيحة ومناسبة لمستويات نموهم، حتى يكونوا على وعي واقتناع بما يلقيه عليهم وحتى يفيدهم بذلك[١].

ثالثاً- التبشير والتفاؤل:

من أهم الأساليب التربوية المؤثرة أسلوب التفاؤل والتبشير، فذلك هو مذهب الإسلام، أما اليأس والقنوط فهو مذهب لا يعرفه الإسلام ولا يرتضيه لأهله، بل يحذر منه أشد التحذير، بخلاف التفاؤل فإن صاحبه واسع النظرة فسيح الصدر عالي الهمة موفور النشاط[٢].

لقد جاء الإسلام موجهاً ومرشداً إلى التفاؤل والتبشير بالخير، ومن دلائل ذلك ما أقره الرسول ﷺ في أحاديث الباب من تفاؤل الصحابة من جنازة مرت بهم فأثنوا عليها خيراً، وبين أن ذلك سبب من أسباب دخولها الجنة، فإن الله لا يخيب بعبد ظن به خيراً، كما في قوله ﷺ: «أيُّما مسلم شَهدَ لهُ أربعةٌ بخيرٍ أدخلهُ اللهُ الجنة. فقلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة. فقلنا واثنان؟ قال: واثنان، ثمَّ لم نسألْهُ عنِ الواحد».

إن التفاؤل يبعث في النفوس الأمل والراحة، ويغمرها بالدعة والطمأنينة، ويزيل عنها الغم والحزن، ويقتل فيها اليأس والقنوط، ويحيي فيها روح التفاؤل والعمل، بخلاف التشاؤم الذي يقضي على الأنفس والآمال، ذلك أن النفوس المتعبة المريضة القلقة الخائفة المتشائمة المتطيرة المرتبكة المترددة الخائرة يصعب على المربي تربيتها وقيادتها، مثل ما يصعب عليها هي أن تؤدي دوراً فاعلاً وإيجابياً تنفع به نفسها أو تنفع به غيرها.

لذلك حرص رسول الله ﷺ على أن تكون نفس المسلم دائمة البشر، إيجابية التفكير، نشطة وصحيحة، قوية وشجاعة، متفائلة ومتطلعة، مطمئنة إلى طريقها،

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٨٣.

(٢) انظر: الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٢١١.

واثقة من نفسها حتى يستطيع أن يبني فيها معالي الأمور وصفات الكمال ويبني بها أمة كريمة ودولة عظيمة[١].

رابعاً- التربية على التماس أسباب الثناء والذكر الحسن:

لقد جاء في حديثي الباب ضمنياً التربية على التماس أسباب الثناء والذكر الحسن والتجافي والبعد عن أسباب التهلكة والثناء البغيض، وذلك من خلال البيان الضمني لأسباب الثناء الحسن الذي لا يتأتى إلا من خلال العمل الصالح الذي يترك الآثار الطيبة في نفوس الناس، مما يدفعهم إلى الثناء الجميل على صاحب السلوك الطيب، وهذا مما يرغب المؤمن في الاستزادة من أعمال الخير، وهذا مما لا ينقطع ثوابه حتى بعد الممات لذا يحسن بالمؤمن أن يوطن نفسه على ذلك، وفي حديثي الباب تربية على الحذر من أسباب الثناء بالشر نتيجة لاقتراف المعاصي وعدم الامتثال لأوامر الله والسلوك المشين في المجتمع مما يسخط الله ويسخط المؤمنين، وفي هذا تربية بالتحذير من إتيان السلوكيات التي تكون سبباً في الثناء بالشر.

إن الناس متفقون على أن الذكر الحسن الذي يتركه الإنسان بعد موته يعتبر عمراً آخر له، عمراً غير محدود بعد عمره المحدود، قال المتنبي:

ذِكْرُ الفتى عُمْرُهُ الثَّاني وَحاجَتُهُ ... مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ العَيشِ أشغَالُ

ويقتبس شوقي هذا المعنى فيصوغه ويقدم له بهذه الصورة الحية حيث يقول:

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثوان

فارفع لنفسك بعد الموت ذكرها ... فالذكر للإنسان عمر ثان

ولا عجب أن كان من دعاء أبي الأنبياء خليل الرحمن عليه السلام ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾[٢].

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٢٨-٢٣٢.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٨٤.

وفرق كبير بين من يموت والقلوب عليه وَلْهى والأعين عليه باكية، والألسنة كلها تثنى عليه بالخير وتدعو له بالرحمة، ومن يموت ولا تبكي عليه عين ولا يحزن لفراقه قلب ولا يترحم عليه لسان، شأن الذين عاشوا في الحياة سلبيين أو ظالمين متجبرين[1].



(١) انظر: الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي ص ٦٠-٦٢.

١٦٤- باب فضل من مات لَهُ أولاد صغار

الحديث رقم (٩٥٣)

٩٥٣- عن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلاَثَةٌ لَمْ يَبْلُغوا الحِنْثَ إِلاَّ أدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إيَّاهُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الحنث: الإثم، أي: لم يبلغوا مبلغ الرجال ويجري عليهم القلم فيكتب عليهم الحنث[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بالاستغراق عن طريق تسليط أداة النفي (ما) عن النكرة (مسلم) وتوسيط من لاستغراق الجنس، وقوله (يموت) يدل على تجدد الفعل، واستمراره؛ لأن الموت باق متجدد في الناس ما بقي أحياء لكونه الوجه المقابل لها، وتقديم الجار، والمجرور (له) يفيد الاختصاص أي أولاده لا أولاد غيره، وقوله (لم يبلغوا الحنث) كناية عن موتهم في الطفولة، لأن موت الصغير أقسى على والديه من موت الكبير، وقوله (إلا أدخله الله الجنة) استثناء يستكمل أركان القصر حيث حصر موت الصغار الثلاثة للمسلم في إدخاله الجنة لا يتعداها إلى النار، والمعنى توكيد لدخوله الجنة يدفع المبالغة، ولا يقبل التردد، وصياغة الفعل في صورة الماضي المحقق يزيد من هذا

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٨١، وهذا من أفراد البخاري كما في الجمع بين الصحيحين للحميدي ٢/٦٣٠ رقم ٢٠٧٨ ولم يخرجه مسلم. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٦٦.

تنبيه: الحديث عزاه المنذري في ترغيبه إلى الصحيحين، وتبعه عليه المؤلف.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٣٦.

التوكيد، ونسبة الإدخال إلى الله تزيد الفعل توكيد؛ لأنه لا يتخلف، وقوله (بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إيَّاهُمْ) الباء للسببية، والعبارة تتميم بلاغي أفاد بيان سبب إدخاله الجنة.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل من مات له أولاد صغار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص نساء الصحابة رضي الله عنهن على تعلم أمور الدين.

ثالثاً: من أصناف المدعوين: النساء.

رابعاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

خامساً: من أساليب الدعوة: القصر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل من مات له أولاد صغار:

هذا واضح من الأحاديث الثلاثة[٢] وقد بوب البخاري على هذه الأحاديث الثلاثة: باب فضل من مات له ولد فاحتسب، وقول الله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٣][٤].

قال ابن حجر: (قوله "باب فضل من مات له ولد فاحتسب" قال الزين بن المنير: عبر المصنف بالفضل ليجمع بين مختلف الأحاديث الثلاثة التي أوردها؛ لأن في الأول دخول الجنة وفي الثاني: الحجب عن النار، وفي الثالث: تقييد الولوج بتحلة القسم[٥]، وفي كل منها ثبوت الفضل لمن وقع له ذلك، ويجمع بينها بأن يقال: الدخول لا يستلزم الحجب ففي ذكر الحجب فائدة زائدة، لأنها تستلزم الدخول من أول وهلة. وأما الثالث فالمراد بالولوج الورود وهو المرور على النار.

والمار عليها على أقسام: منهم من لا يسمع حسيسها، وهم الذي سبقت لهم الحسنى

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٥٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٥٤، ٩٥٥).

(٢) أي أحاديث الباب.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٥.

(٤) الباب رقم ٦ من كتاب الجنائز وهو برقم ٢٣، والأحاديث أرقام ١٢٤٨-١٢٥١.

(٥) فقد أخرج البخاري حديث أبي سعيد الخدري قبل حديث أبي هريرة رضي الله عنهما.

من الله كما في القرآن[1]، فلا تنافي مع هذا بين الولوج والحجب. وعبر [أي البخاري] بقوله "ولد" ليتناول الواحد فصاعداً، وإن كان حديث الباب قد قيد بثلاثة أو اثنين، لكن وقع في بعض طرقه ذكر الواحد، ففي حديث جابر بن سمرة مرفوعاً: "من دفن ثلاثة فصبر عليهم، واحتسب وجبت له الجنة"، فقالت أم أيمن: أو اثنين؟ فقال: أو اثنين. فقالت: وواحد؟ فسكت ثم قال: وواحد"[2] وعن أنس أن المرأة التي قالت: واثنان. قالت بعد ذلك: يا ليتني قلت: وواحد[3].

وفي رواية لمحمود بن لبيد عن حاتم "من مات له ثلاثة من الولد فاحتسبهم دخل الجنة. قلنا: يا رسول الله أو اثنان؟ قال: واثنان. قال محمود: قلت لجابر: أراكم لو قلتم أو واحد لقال: وواحد. قال: وأنا أظن ذلك[4] ويقول الله عز وجل: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة" وهذا يدخل فيه الواحد فما فوقه، وهو أصح ما ورد في ذلك، وقوله: "فاحتسب" أي صبر راضياً بقضاء الله راجياً فضله، ولم يقع التقييد بذلك أيضاً في أحاديث الباب، وكأنه أشار إلى ما وقع في بعض طرقه أيضاً كما في حديث جابر بن سمرة المذكور قبلُ، وكذا في حديث جابر بن عبدالله، وفي رواية: "من احتسب من صُلْبه ثلاثة دخل الجنة" الحديث، ولمسلم[5] من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً "لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبهم إلا دخلت الجنة" الحديث، ولأحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر رفعه ((من أعطى ثلاثة من صلبه فاحتسبهم على الله وجبت له الجنة))[6] وفي

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ۝ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٢].

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٠٣٠، والأوسط ٢٠٣٠، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٦٢٣٨).

(٣) أخرجه النسائي ١٨٧٢، وابن حبان ٢٩٤٣ ولكن ليس عند ابن حبان موضع الشاهد. وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ١٧٦٦).

(٤) أخرجه أحمد ١٤٢٨٥/٢٢، وابن حبان ٢٩٤٦ وقال محققو المسند: صحيح لغيره.

(٥) أخرجه مسلم ١٥١-٢٦٣٢.

(٦) أخرجه أحمد ١٧٢٩٨/٢٨، والطبراني في الكبير ١٧ رقم ٨٢٩، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

الموطأ عن أبي النضر السلمي رفعه: ((لا يَمُوتُ لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلاَثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، فَيَحْتَسِبُهُمْ إلاَّ كَانُوا لَهُ جُنَّةً مِنَ النَّارِ))[١] وقد عرف من القواعد الشرعية أن الثواب لا يترتب إلا على النية، فلابد من قيد الاحتساب. والأحاديث المطلقة محمولة على المقيدة.

(وقول الله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٢] وأراد بذلك الآية التي في البقرة، وقد وُصف فيها الصابرون بقوله ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[٣] فكأن المصنف أراد تقييد ما أطلق في الحديث بهذه الآية الدالة على ترك القلق والجزع، ولفظ المصيبة في الآية وإن كان عاماً، لكنه يتناول المصيبة بالولد فهو من أفراده)[٤].

وقال ابن عبدالبر: (وهذا إنما يكون لمن صبر واحتسب ورضي وسلّم... والوجه عندي في هذا الحديث وما أشبهه من الآثار - أنها لمن حافظ على أداء فرائضه، واجتنب الكبائر، والدليل على ذلك، أن الخطاب في ذلك العصر لم يتوجه إلا إلى قوم، الأغلب من أعمالهم ما ذكرنا وهم الصحابة رضوان الله عليهم)[٥].

وقال ابن عثيمين: (حديث أنس وأبي هريرة وأبي سعيد كلها تدل على الفضل الذي يعطاه من مات له أولاد صغار، فاحتسب الأجر من الله عز وجل وصبر، ذلك أن الإنسان إذا مات له أولاد صغار لم يبلغوا الحنث - يعني لم يبلغوا - فإنهم يكونون له ستراً من النار)[٦].

وقال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه، أن موت الولد الذي لم يبلغ الحنث مظنة انزعاج الإيمان، إلا لمن ثبته الله بالقول الثابت، من حيث إنه يراه طفلاً لم يأت من

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٩٩٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٣/١١٨-١٢٠. وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٣٨-٦٤٢.

(٥) فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبدالبر ٦/٣٢١.

(٦) شرح رياض الصالحين ٢/١٢١٢ بتصرف يسير.

المعاصي ما يكون ما ناله من مرض الموت جزاءً لفعله، ولا بلغ به إلى حيث كان يؤمل من أمره، ولا تعي القلوب الضعيفة النظر ما المعنى في الإتيان به، ثم أخذه من قبل بلوغ الأرب منه، فيلعب الشيطان به بعقول الآدميين عند مشاهدتهم تعذيب الأطفال، وموت من يموت منهم، فمن قوي إيمانه، رأى أن لله جل جلاله في ذلك أسراراً وحكماً.

منها: أنه جل جلاله يخلق من خلقه أطفالاً تقدر أعمارهم إلى مدة معلومة من الصغر، ليكون الموت محذوراً أبداً، فلا يأمنه أحد في حال.

ومنها: أن عمل الوالد قد لا يبلغ إلى المقام المؤهل له في الآخرة، فيتممه الله تعالى، بأن يموت له من الولد الذي لم يبلغ الحنث، من يموت مؤمنًا عند موته بالله سبحانه وتعالى[1]، ويثبت لهذا الامتحان؛ فيكون ذلك مما يبلغه تلك المرتبة، ويقيه من عذاب النار.

ومن ذلك أن من الولد من لو بقي لأرهق أبويه طغياناً وكفراً؛ فيكون الله عز وجل قد منَّ على العبد بأن أخرج ولده ذلك إلى الدنيا، ثم أماته قبل أن يرهق أبويه، فقلب سبحانه وتعالى ذلك الإرهاق للوالدين أجراً، ممن ثبت إيمانه بهذه الأحوال كان له في ذلك الأجر؛ ولأن الناس يحتاجون في القيامة إلى فرط يسبقونهم إلى الورود، ويأتونهم بالماء يوم العطش الأكبر، فقدم الأطفال لذلك)[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حرص نساء الصحابة على تعلم أمور الدين:

وهذا واضح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: ((ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ. فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْماً نَأْتِيكَ فِيهِ. تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ. قَالَ اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا. فَاجْتَمَعْنَ)). وقد ترجم البخاري لهذا الحديث في كتاب العلم باباً بعنوان: باب هل يجعلُ للنساء يوم على حدة في العلم؟[3].

قال أبو العباس القرطبي: (يدل على أن الإمام ينبغي له أن يعلم النساء ما يحتجن

---

(١) هكذا في المطبوع من الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد .

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦/١٠٣-١٠٤.

(٣) الحديث رقم ١٠١، ١٠٢.

إليه من أمر أديانهن، وأن يخصهن بيوم مخصوص لذلك، لكن في المسجد أو فيما كان في معناه حتى تؤمن الخلوة بهن، فإن تمكن الإمام من ذلك بنفسه فعل، وإلا استنهض الإمام شيخاً يوثق بعلمه ودينه لذلك حتى يقوم بهذه الوظيفة، وفي هذا الحديث ما يدل على فضل نساء ذلك الوقت، وما كانوا عليه من الحرص على العلم، والحديث عن رسول الله ﷺ)[1].

وقال ابن حجر: (وفي الحديث ماكان عليه نساء الصحابة من الحرص على تعلم أمور الدين)[2].

وقد قالت عائشة رضي الله عنها: ((نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأنْصَارِ، لَمْ يَكُنَّ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَسْأَلْنَ عن الدِّينِ وَأَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِيهِ))[3].

ومن هذا القبيل ما روته أم سلمة قالت: ((جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسولَ اللّهِ، إنَّ اللّهَ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحقّ، فهلْ عَلَى المرأةِ مِن غُسْلٍ إذا احتَلَمَتْ؟ قال النبيُّ ﷺ: إذا رأَتِ الماءَ. فغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَة ـ تَعْني وَجْهَها ـ وقالتْ: يا رسولَ اللّهِ، وَتَحتَلِمُ المرأةُ؟ قال: نعم، تَرِبَتْ يَمينُكِ، فبمَ يُشْبِهُها وَلَدُها؟))[4].

قال النووي: (فيه أنه ينبغي لمن عرضت له مسألة أن يسأل عنها، ولا يمتنع من السؤال حياءً من ذكرها، فإن ذلك ليس بحياء حقيقي، لأن الحياء خير كله والحياء لا يأتي إلا بخير. والإمساك عن السؤال في هذه الحال ليس بخير، بل هو شر فكيف يكون حياء؟)[5].

ومن النساء الصحابيات أسماء بنت يزيد بنت السكن رضي الله عنها وقد اشتهرت بأنها خطيبة النساء، ولهذا اللقب قصة تدل على حرص الصحابيات على تعلم أمور الدين[6].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٤٠-٦٤١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١/٢٢٧ .

(٣) أخرجه مسلم ٦١-٣٢٢، وأبو داود واللفظ له ٣١٦.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٠، ومسلم ٣١٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١/١/٢٢٩، .

(٦) انظر: ترجمتها في الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٧٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ١٦٣٥-١٦٣٦.

ثالثاً- من أصناف المدعوين: النساء:

وهذا واضح من الحديث الثالث حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، (فلقد اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[1] وتاريخ الإسلام حافل بدور المرأة وجهدها وجهادها ويكفي أن نقول: إن أول مخلوق آمن بمحمد عليه السلام هو امرأة "خديجة" وإن أول من قدم ماله هو امرأة "خديجة" وإن أول من استشهد هو امرأة "سمية" وإن أسماء بنت أبي بكر كانت صاحبة النطاقين، وإن المرأة هي أم الشهداء "الخنساء" وإن أم عمارة وخولة قد جاهدتا بالسيف في سبيل الله تعالى.

وإزاء هذا كله فإن المرأة تحظى بدور كبير، واحترام عال في شريعة الإسلام، سواء كانت بنتاً أو زوجة أو أماً ، فهي وإن كانت غير رجل، إلا أنها أم الرجال وأخت الرجال وخالة الرجال وعمة الرجال، إنها مربية الرجال، وما دام الأمر كذلك فلابد أن يوجه الدعاة جهداً كافياً تجاه النساء، فهن نصف المجتمع وهن راعيات الأطفال، وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فإن العناية بالمرأة هي عناية بالدعوة نفسها)[2].

رابعاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

وهذا واضح من قول المرأة للرسول صلى الله عليه وسلم : "اجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله قال: اجتمعن يوم كذا وكذا ، فاجتمعن فأتاهن النبي صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله".

ومن هذا القبيل ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: ((سَأَلَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم : كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْ حَيْضَتِهَا؟ قال: فَذَكَرَتْ أَنَّهُ عَلَّمَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ[3] فَتَطَهَّرُ بِهَا. قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ بِهَا؟ قال: تَطَهَّرِي بِهَا ، سُبْحَانَ اللهِ! وَاسْتَتَرَ قَالَتْ: عَائِشَةُ: وَاجْتَذَبْتُهَا إِلَيَّ، وَعَرَفْتُ مَا أَرَادَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم. فَقلت: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ))[4].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٣.

(٣) الفرصة: القطعة. والمسك: الطيب المعروف، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ر ص).

(٤) أخرجه البخاري ٣١٤، ٣١٥، ومسلم واللفظ له ٦٠-٣٣٢.

قال ابن حجر: (وفي هذا الحديث من الفوائد، التسبيح عند التعجب، ومعناه هنا كيف يخفى هذا الظاهر الذي لا يحتاج في فهمه إلى فكر؟ وفيه استحباب الكنايات فيما يتعلق بالعورات. وفيه سؤال المرأة العالم عن أحوالها التي يحتشم منها. ولهذا كانت عائشة تقول في نساء الأنصار "لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين" كما أخرجه مسلم في بعض طرق هذا الحديث[1] وفيه الاكتفاء بالتعريض والإشارة في الأمور المستهجنة وتكرير الجواب لإفهام السائل، وإنما كرره مع كونها لم تفهمه أولاً لأن الجواب يؤخذ من إعراضه بوجهه عند قوله "توضيء"[2] أي في المحل الذي يستحيي من مواجهة المرأة بالتصريح به، فاكتفى بلسان الحال عن لسان المقال، وفهمت عائشة رضي الله عنها ذلك عنه فتولت تعليمها...، وفيه تفسير كلام العالم بحضرته لمن خفي عليه إذا عرف أن ذلك يعجبه، وفيه الأخذ عن المفضول بحضرة الفاضل...، وفيه الرفق بالمتعلم وإقامة العذر لمن لا يفهم، وفيه أن المرء مطلوب بستر عيوبه وإن كانت مما جبل عليها من جهة أمر المرأة بالتطيب لإزالة الرائحة الكريهة، وفيه حسن خلقه ﷺ وعظيم حلمه وحيائه زاده الله شرفاً)[3].

خامساً- من أساليب الدعوة: القصر:

هذا واضح في الأحاديث الثلاثة فالحديث الأول: ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم. وكذلك الشأن في الحديث الثاني وأداة النفي فيه "لا". أما الحديث الثالث فأداة النفي "ما".

ولعل استخدام القصر هنا، يزيد تأكيد وقوع الثواب والفضل والجزاء لمن مات له أولاد ثم صبر واحتسب؛ وذلك لكون فقد الأولاد شديداً على النفس، يدفع إلى عدم الصبر، وقد يفتح باب السخط والجزع والهلع، فجاء بيان هذا الفضل ليحث من أصيب بذلك على الصبر حتى ينال ما أعده الله له، وهو سبحانه ذو الفضل العظيم.

---

(١) صحيح مسلم ٦١-٣٣٢.

(٢) هذه رواية عند البخاري ٣١٥، وقال الحافظ: توضئى: أي تنظفي، فتح الباري، ابن حجر ٤٩٥/١ .

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٤٩٦/١ .

الحديث رقم (٩٥٤)

٩٥٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**لاَ يَمُوتُ لأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لا تَمسُّهُ النَّارُ إلاَّ تَحِلَّةَ القَسَمِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

"وَتَحِلَّة القَسَمِ" : قول الله تعالى: (وإن منكم إلا واردها)[مريم:٧١]: وهو العبور على الصراط، وهو جسر منصوب على ظهر جهنم. عافانا الله منها.

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وتحلَّةُ القسم: بالمقدار الذي يُبرُّ به قسمُه، والمراد بالقسم قول الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [2].

والورود: العبور على الصراط، وهو جسر منصوب على ظهر جهنَّم، عافانا الله منها[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يؤكد معنى سابقه من ناحية أن من حرم عليه دخول النار فسيدخل الجنة لا محالة، وهو ما قرره الحديث السابق بسبب موت ثلاثة من الصغار للمؤمن، وهو يقوم على أسلوب القصر بطريق النفي، والاستثناء لقصر معنى عدم مس النار لمن مات له ثلاثة من الصغار من المسلمين على تحلة القسم، وهو الورود المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِياً﴾[مريم: ٧١]، ومعناه لا يدخل النار ليعاقب بها، ولكنه يدخلها مجتازا ولا يكون ذلك الجواز إلا قدر ما يحلل به الرجل يمينه، وهذا مثل في القليل المفرط في القلة، وهو أن يباشر من الفعل

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٦٥٦، ومسلم ٢٦٣٢/١٥٠. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٦٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ل ل)، سورة مريم آية: ٧١.

(٣) رياض الصالحين ٣٧٢.

الذي يقسم عليه المقدار الذي يبر به قسمه مثل أن يحلف على النزول بمكان فلو وقع به وقعة خفيفة أجزأته فتلك تحلة قسمه، والتعبير بالمس يشير إلى الخفة، والسهولة، والسرعة، و (ال) في لفظ النار للعهد أي النار المعهودة لأهل الآخرة، وهي نار جهنم، و (ال) في لفظ القسم إن كانت للعهد أشارت للقسم المقصود في الآية السابقة، وإن كانت للجنس أفادت عموم القسم الذي يحلفه الإنسان ثم يأتي بأقل ما يمكن أن يتحلل به من قسمه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٥٥)

٩٥٥- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قَالَ: جَاءتِ امْرأةٌ إِلَى رسولِ الله ﷺ ، فَقَالَتْ: يَا رسولَ الله، ذَهبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثك، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْماً نَأتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، قَالَ: ((اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا)) فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ النبيُّ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ[1].

ثُمَّ قَالَ: ((مَا مِنْكُنَّ مِنِ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنَ الوَلَدِ إلاَّ كَانُوا لَهَا حِجَاباً مِنَ النَّارِ)) فقالتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَينِ؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((وَاثْنَيْنِ)) [2] متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

قول المرأة للرسول ﷺ (ذَهبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثك) خبر قصد به لازم الفائدة، وهو التنبيه إلى حاجتهن إلى حديثه ليتعلمن ما يحتجن إليه مما يتعلق بدينهن، وما يخص النساء مما لا يحتاج الرجال إلى السؤال عنه، وقولها: (فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْماً نَأتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ) أمر أريد به طلب التعلم، وتقديم الجارو المجرور (لنا) للتخصيص أي يوماً نختص به دون الرجال، وقوله (اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا) كناية عن اليوم الذي حدده لهن، وقوله (مَا مِنْكُنَّ مِنِ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنَ الوَلَدِ إلاَّ كَانُوا لَهَا حِجَاباً مِنَ النَّارِ) وهو أسلوب قصر لمن تقدم ثلاثة من الولد على كونهم حجاباً لها من النار، وقوله (ما منكن من امرأة..) أسلوب يفيد العموم، والاستغراق ليشمل كل امرأة

---

(١) إلى هنا لفظ مسلم.

(٢) هذا لفظ البخاري برقم ١٠١.

(٣) أخرجه البخاري ١٠١ ، ٧٣١٠ ، ومسلم ٢٦٣٣/١٥٢. انظر: الجمع بين الصحيحين للحميدي ٤٤٧/٢ رقم ١٧٦٢. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٧١.

تنبيه: الحديث جمعه المنذري بين اللفظين في حديث واحد، وتبعه عليه المؤلف.

على هذه الحال، وقوله (تُقَدِّمُ ثَلاثَةً مِنَ الوَلَدِ) كناية عن موتهم، وبراعة التعبير بالكناية أنها تصور الرضا بما يوحيه الفعل (تقدم) من الإشارة للحضور والرضا كأنها تقدمهم بنفسها راضية بحكم ربها، وتقديم (لها) أي لها خاصة، وليس لغيرها، وقوله (من النار) يشير إلى عظمة الحجاب، وقيمته التي تمنع ناراً لا يعلم هولها إلا الله، وفي الحديث ترغيب في الصبر، والاحتساب على الله عند فقد الأبناء، وقول المرأة (واثنين؟) فيه إيجاز بالحذف أي وهل الاثنين يحجبن النار، أو هل الاثنين كذلك، وقد جاءت إجابة الرسول ﷺ مبنية كذلك على الإيجاز فقال (واثنين؟) أي: واثنين يحجبن النار -والله أعلم-.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٥٥- مع المضامين للحديث رقم (٩٥٣، ٩٥٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التنشئة على التحلي بالصبر والتحمل:

إن الإنسان قد تعترضه بعض المصائب التي تصيبه في نفسه أو أهله أو ماله، والمنهج الإسلامي في هذه الحالات يدعو الإنسان إلى التحلي بالصبر واعتبار الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وعليه أن يواصل طريقه في الحياة والعمل في سبيلهما مهما اعترضه من المشقات، ويطمئن بأنه مأجور عند ربه على قدر ما أظهر من صبر وجلد.

أما إذا لم يصبر فإن وَقْع المصيبة يشتد عليه، وربما أدى ذلك إلى انكسار همته وذهوله عما حوله، فلا يستطيع بذلك إيجاد السبيل الأقوم الذي يجب أن يسلكه أمام ما وقع فيه مما يؤدي إلى قنوطه من مواصلة الجهاد في الحياة، وهذه ليست سمة الشخصية الإسلامية، فالذي يصبر فإنه يستطيع مواجهة الحياة بإيجاب وثبات دون أن يكون هناك استسلام مهما واجهه من الحوادث والمصائب[1].

حتى وإن كانت هذه المصائب في أعز ما عند الإنسان، فقد أرشد الإسلام إلى الصبر عليها، وذكر من دواعي الصبر وتقويته استحضار الإنسان ما أعده الله تعالى في الجنة من جزاءٍ للصابرين، كما نرى ذلك جلياً في أحاديث الباب، ومنها حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلاثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، إلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إيَّاهُمْ».

إن الأولاد ثمرة القلب وبرد الأكباد، وكلما صغر الولد كان أحب إلى والديه، ولذلك كان ثواب الصبر على فقدهم عظيمًا، حتى إذا مات له ثلاثة أولاد صغار لم يبلغوا الحلم فصبر دخل الجنة ببركة الصبر عليهم ورحمة الله تعالى بعباده الصابرين، وهذا الصبر وحصول الأجر عليه مشترك بين الرجال والنساء وللنساء بوجه خاص لقوة حنانهن وسرعة الجزع إليهن وقوته عليهم[2]، وقد وجه النبي ﷺ الخطاب بقوله: «مَا

---

(١) انظر: الإيمان وأثره في حياة الإنسان، د. حسن الترابي ص ٤٨، ٤٩.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٥٩.

مِنْكُنَّ مِنْ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنَ الْوَلَدِ إِلاَّ كَانُوا لَهَا حِجَاباً مِنَ النَّارِ»، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاثْنَيْنِ».

لذا ينبغي للمربي أن يحرص على غرس الأخلاق الحميدة التي هي قوام الشخصية السوية المستقيمة، ومن هذه الأخلاق الصبر، الذي يجعل المسلم "إذا ابتلى يصبر ويثبت في القيام بالواجب، ويبذل جهده لمقاومة الصعاب دون يأس أو هلع، فلابد للمسلم الذي أنيطت به الخلافة في هذه الأرض أن يهيئ نفسه لمشاق الطريق بالصبر في البؤس والفاقة، وفي المرض والضعف، وفي القلة والنقص، والصبر في جميع الأحوال"(١).

فمن تجمل بالصبر وعده الله بمكانة عالية في الجنة لأن الصبر من أحسن الأخلاق والخصال التي ينبغي على المؤمن أن يتحلى بها، وهذا الجزاء في الآخرة، أما في الدنيا فتتجلى آثار الصبر بأنه من أبرز المؤشرات على التكيف السوي والصحة النفسية السوية.

أما الفرد الذي لا يملك القدرة على التذرعس بالصبر تجده يعاني من القلق والتذمر والشكوى لمجرد مواجهته أية صعوبة أو مشكلة، وقد يرتكب بعض الحماقات كالعدوان على الآخرين أو ضد نفسه عندما يواجه حدثاً جللاً كفقد مال أو عزيز(٢).

ثانياً- حث النساء على العلم وطلبه:

إن التعليم في الإسلام حق للرجل والمرأة، وواجب الوالد والوالدة نحو أبنائهما ذكوراً وإناثاً، فالتعليم في الإسلام سبيل المعرفة التي تساعد على فهم آيات القرآن الكريم وتعين على إدراك عظمة آيات الله في الكون المنظور وتهدي إلى دلائل قدرته ووحدانيته تعالى فيؤدي ذلك إلى خشيته والسير في طاعته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾(٣).

---

(١) انظر: أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص٢٦١.

(٢) انظر: مبادئ الصحة النفسية، د. محمد خالد الطحان ص ١٨٦.

(٣) سورة فاطر، آية: ٢٨.

وقد ورد الأمر بالاستزادة من العلم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1].

والأمر في هذه الآية ومثيلاتها يشمل الرجال والنساء، ولقد حرصت المسلمات في عهد رسول الله ﷺ على تلقي العلم الذي يجعلهن على بينة من أمر دينهن فطلبن من رسول الله ﷺ أن يجعل لهن يوماً على حدة فأجابهن إلى ما طلبن ليحصّلن نصيباً من العلم يعينهن على طاعة الله ويبصرهن بشؤون الحياة، ومن أظهر الدلائل على ذلك ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من أحاديث الباب، قال: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْماً نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ. قَالَ: «اجْتَمِعْنَ ...».

إن تعليم النساء والاهتمام بهن خاصة في الجوانب التربوية من الأهمية بمكان، فإن الأم التي تعلمت أساليب التربية الصحيحة وكان لها نصيب من الدراسات الدينية وقواعد الأدب والسلوك ودراسة مداخل النفس الإنسانية واتجاهاتها، أمكنها أن تعمل على اعتدال مزاج أولادها وهدوء أعصابهم، ويسهل عليها التعرف على كثير مما يدور في نفوسهم، فترشدهم وتنصحهم وتقودهم إلى ما يرفع مستواهم الاجتماعي وتمنحهم من طباعها ما ينمي فيهم روح المشاركة الوجدانية مع أفراد المجتمع.

فهذه الأم لا تستوي مع أم أخرى ليس لها نصيب من هذه الدراسات، لهذا اهتم الإسلام بتعليم البنت اهتماماً كبيراً لتكون معدة إعداداً سليماً لأداء رسالتها في الحياة.

ثالثاً- التحذير من الاختلاط في التعليم:

لقد سلك الإسلام سياسةً إذا روعيت أَمِنَت الأمة شر الجهل وشر الفتنة، فلم يجعل الإسلام من التعليم سبيلاً لاختلاط الرجال والنساء بحجة التعلم، ولم يجعل مكان التعليم محلاً يثير الشهوات ويبعث الفتنة، بإثارة الدوافع الفطرية الكامنة في نفس كلٍ من الرجل والمرأة، فأحاط التعليم بعدد من الضوابط الآمنة، ويأتي في مقدمة هذه الضوابط منع اختلاط الرجال بالنساء والفتى بالفتاة في دور التعليم.

---

(١) سورة طه، آية: ١١٤.

ونجد ذلك واضحاً جلياً في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حيث خصص النبي صلى الله عليه وسلم يوماً للنساء يجتمعن فيه ويعلمهن أحكام دينهن، فعنه رضي الله عنه قال: «جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْماً نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ. قَالَ: «اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا». فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ النَّبِيُّ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ...».

إن الاختلاط بين الرجال والنساء في أي مكان لا يسمح به الإسلام خاصة في أماكن التعليم، وذلك أن الاختلاط بين الفتى والفتاة له من الآثار الأخلاقية السلبية مالا يخفى، فلا يغيب عن ذهن الإنسان ما في الاختلاط من أثر مدمر للأخلاق والفضائل ومن جلب للأمراض النفسية، ذلك أن الدافع الجنسي إذا أثير احتاج إلى تلبية، فإما الإفضاء الفوضوي، وقد حرمه الشرع والمجتمع كذلك يبغضه، وإما الكبت وهو عقدة لا شعورية تعد مبعثاً للأمراض النفسية، ومنهج الإسلام فيما يتصل بهذه الناحية، أنه يضع الضوابط المانعة من إثارة الدافع الجنسي، وما دام الدافع لم تحدث له أي إثارة فإنه سيظل ساكناً حتى يُلبى في زواج مرتقب هادف، ولكي يظل ساكناً فلم يسمح الإسلام بالاختلاط ولا بخروج المرأة تَرْفُل في زينتها، فإن الأولى والثانية من أهم البواعث المحركة للدافع الجنسي في نفس الرجل والمرأة، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة المسلمة أن تكون أداةً لإثارة الفتنة فإن ذلك يعرضها لغضب الله تعالى وسخطه[1].



(١) انظر: تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد عبدالرحمن العك ص ٢٦٣-٢٦٧.

١٦٥- باب البكاء والخوف عِنْدَ المرور بقبور الظالمين ومصارعهم وإظهار الافتقار إلى الله تَعَالَى والتحذير من الغفلة عن ذلك

الحديث رقم (٩٥٦)

٩٥٦- عن ابن عمرَ رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ لأصْحَابِهِ[١] - يعْني لَمَّا وَصَلُوا الحِجْرَ - دِيَارَ ثَمُودَ -: ((لاَ تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلاَءِ المُعَذَّبِينَ إلاَّ أنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أصَابَهُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

وفي روايةٍ (٣) قَالَ: لَمَّا مَرَّ رسولُ الله ﷺ بالحِجْرِ، قَالَ: ((لاَ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ، أنْ يُصِيبَكُمْ مَا أصَابَهُمْ، إِلاَّ أنْ تَكُونُوا بَاكِينَ)) ثُمَّ قَنَّعَ رسولُ الله ﷺ، رَأسَهُ وأسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أجَازَ الوَادِي.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الحجر: ديار ثمود: هي مدائن صالح تقع شمال المدينة المنورة ٣٤٧ كم، وقد سكنها قوم ثمود، وما زال يعرف باسمه: الحجر[٤].

قَنَّع رسول الله ﷺ رأسه: ألقى عليه القناع، وهو ما يستر به الوجه[٥].

أجاز الوادي: قطعه وخلّفه وراءه[٦].

---

(١) عند البخاري برقم ٣٣٧٩ بلفظ: (أرض ثمود الحجر) فعبّر عنه المنذري في ترغيبه بهذا اللفظ، وتبعه عليه النووي.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٤٣٣، ومسلم ٢٩٨٠. أورده المنذري في ترغيبه ٥٢٠٩.

(٣) أخرجها البخاري ٤٤١٩. أورده المنذري في ترغيبه ٥٢٠٩.

(٤) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ١٣٨.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٦٧، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ن ع).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج و ز)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٦٧.

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (لاَ تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلاَءِ المُعَذَّبِينَ) نهي بغرض التحذير من مثل حالهم حتى يدخلوا دخول اعتبار، واتعاظ وقوله: (إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ) استثناء مما سبق وقوله (فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ) أسلوب شرط يربط انتفاء البكاء بانتفاء الدخول، وقوله (فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أصَابَهُمْ) نهي بغرض التهديد، والتحذير، والشرط بأن يكون الداخل باكياً فيه دلالة على أن ديار هؤلاء لا تسكن بعدهم، ولا تتخذ وطنا؛ لأن المقيم المستوطن لا يمكنه أن يكون دهره باكيا أبدا، وقد نهى أن يدخل دروهم إلا بهذه الصفة، وفيه المنع من المقام بها، والاستيطان وفيه الإسراع عن المرور بديار المعذبين، وفية الدلالة على البكاء الذي ينشأ عنه التفكر، وقال ابن الجوزي التفكر الذي ينشأ عنه البكاء في مثل ذلك المقام ينقسم ثلاثة أقسام أحدها: تفكر يتعلق بالله تعالى إذ قضى على أولئك بالكفر الثاني: يتعلق بأولئك القوم إذا بارزوا ربهم الكفر، والفساد الثالث: يتعلق بالمار عليهم؛ لأنه وفق للإيمان، وتمكن من الاستدراك، والمسامحة في الزلل، وقوله (ثُمَّ قَنَّع رسولُ الله ﷺ، رَأسَهُ وأسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أجَازَ الوَادِي) وفعله بعد قوله يؤكد التحذير عملياً، ويلقي الرهبة في قلوب المخاطبين بما يذكرهم قهره وبطشه بالظالمين، ورحمته بهم، ونعمته عليهم إذ منَّ عليهم بالهداية، ولم يأخذهم كما أخذهم.

فقه الحديث

الصلاة في مواضع الخسف والعذاب:

بوّب البخاري على هذا الحديث في كتاب الصلاة: باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب. ويذكر أن عليًّا رضي الله عنه كره الصلاة بخسف بابل[1].

قال ابن حجر: (قوله: "إلا أن تكونوا باكين" قال ابن بطال: هذا يدل على إباحة الصلاة هناك، لأن الصلاة موضع بكاء وتضرع، كأنه يشير إلى عدم مطابقة

---

(١) الحديث ٤٣٣.

الحديث لأثر عليٍّ. قلت [القائل ابن حجر]: والحديث مطابق له من جهة أن كلاً منهما فيه ترك النزول كما وقع عند المصنف [أي البخاري] في المغازي في آخر الحديث "ثم قنع ﷺ رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي"[1] فدل على أنه لم ينزل ولم يصلِّ هناك كما صنع عليٌّ في خسف بابل)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من تاريخ الدعوة: هلاك ثمود قوم نبي الله صالح عليه السلام.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: البكاء والخوف عند المرور بقبور الظالمين.

رابعاً: من أدب المدعو: عدم مقاربة أهل الظلم والظالمين.

خامساً: من آداب المدعو: الاتعاظ والاعتبار بمصارع العصاة.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

هذا واضح في قوله ﷺ "لا تدخلوا" ولكنه ﷺ أباح الدخول مع البكاء، فكان ذلك منه ﷺ نهيًا عن الدخول على ديار الظالمين مع عدم البكاء والخوف، فلم يكن هذا منه ﷺ نهيًا عامًا عن الدخول، وإنما نهي مقيد بعدم استحضار البكاء والوجل، من أن يقع مثل ما وقع لهم من الهلاك والدمار بسبب ظلمهم وكفرهم: وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر الزجر عن دخول المرء أرض ثمود إلا أن يكون باكياً[3].

ثانياً- من تاريخ الدعوة: هلاك ثمود قوم نبي الله صالح عليه السلام:

هذا واضح من الحديث، قال ابن عثيمين: (ثمود هم قوم صالح الذين أرسل الله إليهم صالحاً عليه السلام فذكرهم بالله، ولكنهم كفروا به، فقال: تمتعوا في داركم ثلاثة

---

(١) الحديث ٤٤١٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٣٢/١ .

(٣) صحيح ابن حبان ٧٩/١٤ رقم ٦١٩٩.

أيام، ثم أخذتهم الصيحة والرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. وكان الله تعالى قد أعطاهم قدرة وقوة في نحت الجبال، وبناء القصور في السهول. وأصبحوا أمة قوية، ولكن الله تعالى أخذهم برجفة وصيحة فماتوا عن آخرهم)[1].

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾[2]. وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[3].

قال ابن كثير: (أصحاب الحجر هم: ثمود الذين كذبوا صالحاً نبيهم، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين؛ ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين.

وذكر تعالى أنه أتاهم من الآيات ما يدلهم على صدق ما جاءهم به صالح، كالناقة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة صماء فكانت تسرح في

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٢١٣.

(٢) سورة هود، الآيات: ٦١-٦٨.

(٣) سورة الحجر، الآيات: ٨٠-٨٤.

بلادهم، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم. فلما عتوا وعقروها قال لهم: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾(٢).

وذكر تعالى: أنهم ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ أي: من غير خوف ولا احتياج إليها، بل أشراً وبطراً وعبثاً، كما هو المشاهد من صنيعهم في بيوتهم بوادي الحجر، الذي مر به رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى تبوك فَقَنَّع رأسه وأسرع دابته، وقال لأصحابه: "لا تدخلوا بيوت القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تبكوا فتباكوا خشية أن يصيبكم ما أصابهم".

وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ أي: وقت الصباح من اليوم الرابع ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ أي: ما كانوا يستغلونه من زروعهم وثمارهم التي ضنُّوا بمائها عن الناقة، حتى عقروها لئلا تضيق عليهم في المياه، فما دفعت عنهم تلك الأموال، ولا نفعتهم لما جاء أمر ربك)(٣).

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: البكاء والخوف عند المرور بقبور الظالمين:

هذا واضح من الحديث قال النووي: (فيه الحث على المراقبة عند المرور بديار الظالمين، ومواضع العذاب، ومثله الإسراع في "وادي محسر"، لأن أصحاب الفيل هلكوا هناك. فينبغي للمار في مثل هذه المواضع، المراقبة والخوف والبكاء، والاعتبار بهم وبمصارعهم، وأن يستعيذ بالله من ذلك)(٤).

وقال ابن حجر: (قوله: "لا تدخلوا" كان هذا النهي لما مرُّوا مع النبي ﷺ بالحجر:

---

(١) سورة هود، آية: ٦٥.

(٢) سورة فصلت، آية: ١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٤٥/٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٦/١٨/٩.

ديار ثمود في حال توجههم إلى تبوك، وقد صرح المصنف في أحاديث الأنبياء[1] من وجه آخر عن ابن عمر ببعض ذلك قوله "هؤلاء المعذبين" -بفتح الذال المعجمة- وله في أحاديث الأنبياء[2] "لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم" قوله "إلا أن تكونوا" ليس المراد الاقتصار في ذلك على ابتداء الدخول، بل دائماً عند كل جزء من الدخول. وأما الاستقرار فالكيفية المذكورة مطلوبة فيه بالأولوية، وسيأتي أنه ﷺ لم ينزل فيه البتة[3].

قوله "لا يصيبكم" بالرفع على أن "لا" نافية والمعنى لئلا يصيبكم، ويجوز الجزم على أنها ناهية وهو أوجه، وهو نهي بمعنى الخبر. وللمصنف في أحاديث الأنبياء "أن يصيبكم" أي خشية أن يصيبكم. ووجه هذه الخشية أن البكاء يبعثه على التفكر والاعتبار، فكأنه أمرهم بالتفكر في أحوال توجب البكاء، من تقدير الله تعالى على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم مدة طويلة، ثم إيقاع نقمته بهم وشدة عذابه، وهو سبحانه مقلب القلوب، فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته إلى مثل ذلك. والتفكر أيضاً في مقابلة أولئك نعمة الله بالكفر، وإهمالهم إعمال عقولهم فيما يوجب الإيمان به والطاعة له، فمن مرّ عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء اعتباراً بأحوالهم فقد شابههم في الإهمال، ودل على قساوة قلبه وعدم خشوعه، فلا يأمن أن يجره ذلك إلى العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم. وبهذا يندفع اعتراض من قال: كيف يصيب عذاب الظالمين من ليس بظالم؟ لأنه بهذا التقرير لا يأمن أن يصير ظالماً فيعذب بظلمه. وفي الحديث الحث على المراقبة والزجر عن السكنى في ديار المعذبين، والإسراع عند المرور بها، وقد أشير إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾[4]"[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٣٧٨.

(٢) أخرجه البخاري ٣٣٨٠، ٣٣٨١.

(٣) وهذا في الرواية الثانية أخرجها البخاري ٤٤١٩، ومسلم ٣٩-٢٩٨٠.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ٤٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٦٣٢/١ .

رابعاً- من أدب المدعو: عدم مقاربة أهل الظلم والظالمين:

يتضح هذا من قوله ﷺ: "لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين، إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين، فلا تدخلوا عليهم، لا يصيبكم ما أصابهم" قال ابن هبيرة: (فيه من الفقه أنه إذا مرّ بدار قوم كانوا قد عذبوا، أسرع هارباً، لئلا يتأذى بشيء من العذاب الذي هم فيه، فإن من ذلك استمرار لعنة الله عز وجل لمن عذبه، فإذا أقام فيهم رجل من غيرهم، لم يأمن أن يشتمله شر جوارهم، فيخسر دنياه وأخراه)[١].

كما يتضح ذلك أيضاً من فعل النبي ﷺ أنه قنّع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي، (فيه دليل على بغض أهل الفساد، وذم ديارهم وآثارهم)[٢] وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما: (أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر أرض ثمود، فاستقوا من آبارها وعجنوا منه العجين، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يُهريقوا ما استقوا، ويعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردُها الناقة)[٣].

قال النووي: (وفي هذا الحديث فوائد منها: النهي عن استعمال مياه بئر الحجر إلا بئر الناقة، ومنها لو عجن منه عجينا لم يأكله بل يعلفه الدواب، ومنها أنه يجوز علف الدابة طعاماً مع منع الآدمي من أكله، ومنها مجانبة آبار الظالمين والتبرك بآبار الصالحين)[٤].

وقال ابن تيمية: (نهى عن عبور ديارهم إلا على وجه الخوف المانع من العذاب وهكذا السنة في مقارنة الظالمين والزناة وأهل البدع والفجور وسائر المعاصي، لا ينبغي لأحد أن يقارنهم ولايخالطهم إلا على وجه يسلم به من عذاب الله عز وجل. وأقل ذلك أن يكون منكراً لظلمهم، ماقتاً لهم شانئاً ما هم فيه بحسب الإمكان، كما في الحديث

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٤/٤.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٥٥/٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٣٧٨، ٣٣٧٩، ومسلم ٢٩٨١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٧/١٨/٩.

((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ. وَذَٰلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))(١)، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾(٢) وكذلك ما ذكره عن يوسف الصديق وعمله على خزائن الأرض لصاحب مصر ولقوم كفار، وذلك أن مقارنة الفجار إنما يفعلها المؤمن في موضعين: أحدهما: أن يكون مكرهاً عليها، والثاني: أن يكون ذلك في مصلحة دينية راجحة على مفسدة المقارنة، أو أن يكون في تركها مفسدة راجحة في دينه، فيدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما، وتحصل المصلحة الراجحة باحتمال المفسدة المرجوحة، وفي الحقيقة فالمكره هو من يدفع الفساد الحاصل باحتمال أدناهما، وهو الأمر الذي أكره عليه)(٣).

خامساً- من آداب المدعو: الاتعاظ والاعتبار بمصارع العصاة:

هذا يستفاد من الحديث وقول ابن عمر رضي الله عنهما "ثم قنّع رسول الله ﷺ رأسه، وأسرع السير حتى أجاز الوادي" قال أبو العباس القرطبي: (يستفاد منه كراهة دخول أمثال تلك المواضع والمقابر، فإن كان ولابدّ من دخولها فعلى الصفة التي أرشد إليها النبي ﷺ من الاعتبار والخوف والإسراع)(٤).

وقال العز بن عبدالسلام تحت عنوان الاعتبار بمصاب العصاة: (قال الله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾(٥) وقال ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾(٦) وقال ﷺ في ثمود: "لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم". الاعتبار بذلك وسيلة إلى الانزجار عن معاصيهم)(٧).

---

(١) أخرجه مسلم ٤٩.

(٢) سورة التحريم، آية: ١١.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٨٩/٨-١٩٠، ٣٢٤/١٥-٣٢٥.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٥٤/٧.

(٥) سورة الحشر، آية: ٢.

(٦) سورة غافر، آية: ٨٢.

(٧) شجرة المعارف والأحوال ٩٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالعبرة التاريخية:

ورد استخدام هذا الأسلوب في حديث الباب في لفت الأنظار إلى ما نزل بثمود من عذاب، وأمر رسول الله ﷺ مَنْ معه من الصحابة بعدم دخول ديارهم وإن اضطروا لدخولها فليدخلوها باكين، كما في قوله ﷺ: «إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ. فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ». كما أمر بالإسراع حتى يتعدوا ديار الظالمين ويفارقونها كما يترائى لنا ذلك في فعله ﷺ "ثم قَنَّع رسول الله ﷺ رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي".

وذلك لون من ألوان التربية بالعبرة، وهي التربية بالعبرة التاريخية، نظراً لشدة تأثيرها في نجاح التربية وتحقيق الهدف منها، إذ لمَّا كانت كل آية من آيات الله في الآفاق، وكل ظاهرة كونية أو حادثة تاريخية كبرى يمكن بشكل أو بآخر أن تؤخذ منها عِبْرة كان من المفيد للمربي أن يعرف خصائص كل عبرة بحسب موضوعها ولمن يصلح كل صنف من هذه العبر؟ وفي أي الظروف يفضل على غيره؟ لكي يحسن الاختيار ويرجو التأثير في النفوس.

وتظهر لنا أهمية التربية بالعبرة في أنها سبب في تقويم الشخصية وتعديل السلوك.

إن السلوك الاجتماعي أو الفردي الذي شقيت به أمة من الأمم الغابرة مثلاً أو طاغوت من طواغيتها يلزم أن تشقى به أمة معاصرة أو فرد من أفرادها إذا أحيط بشروط متشابهة، وكذلك السلوك الذي سعد به مجتمع أو فرد من البشر في الماضي لو طبق في الزمن الحاضر لأعطى النتائج ذاتَها.

لذا كانت أهمية التربية بالعبرة بآثار الأمم السالفة، لقد ساق الله العبر التاريخية لنا لنتعظ، ونعتبر بمن طغى، فنحاذر الوقوع فيما وقع فيه من النتائج الوخيمة، ولنعتبر أيضاً بمن ﴿ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾[1]. من الأنبياء والصالحين حتى نفوز بمثل ما فازوا به في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة النازعات، آية: ٤٠.

إن أسلوب التربية بالعبرة يحتاج إلى معرفته وتطبيقه كلُ مرب وكلُ واعظ وخطيب في تربية العواطف وتوجيه السلوك عن طريق العبرة[١].

ثانياً- الحركات المعبرة:

من الوسائل التربوية والتعليمية المعتبرة استخدام الحركات المعبرة، ويقصد بالحركات المعبرة تغير ملامح الوجه أو هيئة الجلسة أو الإشارة باليد أو بالإصبع أو غيرها بهدف التعبير أو تجسيم الأحاسيس وبَلْورتها بحيث تعرض سماتها الواضحة المعبرة على المشاهد والمتلقي، وهي تختلف عن أفعال الإنسان الأصلية التي يقوم بها في أكله وشربه[٢].

وقد ورد استخدام الحركات المعبرة في الحديث في قول ابن عمر رضي الله عنهما "ثم قنع رسول الله ﷺ رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي"، فإسراعه ﷺ وتقنعه لرأسه تعبير عن البعد عن الظالمين والهرب عن مواطنهم حتى لو كانوا رفاتاً في القبور والأجداث.

وتأتي أهمية استخدام الأساليب التعليمية ومنها الحركات المعبرة والإشارة في كون الحركات المعبرة لها من المعان التي قد لا يعبر عنها الكلام، وقد لا يوفيها حقها في التعبير، وذلك أن الإشارة لغة إنسانية يستطيع أن يتفاهم بها أناس من بلاد مختلفة لا يعرف بعضهم لغة بعض، كما يتفاهم بها البكم فيما بينهم ومع الناطقين أيضاً، وهي إذْ كانت في محلها كانت معينةً على الفهم ملفتة للنظر، طاردة الشرود، مشركة في المتابعة أكثر من حاسة، فالناظر يرى الإشارة ويسمع العبارة، ويذكر كل منهما الأخرى[٣]، فالحركة المعبرة تلفت النظر، وتنبه الغافل، وتحفظ من النسيان، وتعين على التذكر والاستظهار.

---

(١) انظر: التربية بالعبرة، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ١٢، ٣٢-٣٥.

(٢) انظر: وسائل التعليم والإعلام، فتح الباب بن عبدالحليم سيد ص ١١٠.

(٣) انظر: التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ط/٢، المكتب الإسلام، بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص ٥٢٥.

وتحفل السنة النبوية بالمبادئ التربوية التي تتناول الجوانب العملية التعليمية المختلفة بشكل شامل، حيث استخدم النبي ﷺ كل وسيلة من شأنها أن تساعد على الفهم أو توضح صورة معينة والتي منها الحركات المعبرة والإشارات التعليمية الهادفة[1].

لذا ينبغي على المربين عدم إغفال الوسائل التعليمية في الميدان التربوي والتعليمي لما لها من أثر فاعل في تسهيل عملية التعلم والتعليم والتربية وتوضيح المعاني، وإثارة الحواس التي تساعد على الفهم والاستظهار كالبصر ونحوه.

ثالثاً- التربية بالترهيب:

لقد حمل حديث الباب في مضمونه ومفهومه الترهيب والتحذير من الظلم ببيان مصائر الظالمين الذين تجاوزا حدود العدل سواء أكان ذلك مع الله تبارك وتعالى أم كان مع خلقه، ولقد كان نهي النبي ﷺ عن التواجد في أماكن الظالمين بقوله وفعله كما نرى في إسراعه حتى الخروج من واديهم مع ما صاحب ذلك من تعبيرات وحركات معبرة تعبر عن مدى الرغبة والحرص على الهرب من الظالمين ومواطنهم والبعد عنها والخوف من الوقوع في مثل ما وقعوا فيه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما في رواية قال لما مر رسول الله ﷺ بالحِجْر قال: «لاَ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ»، ثُمَّ قَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الْوَادِيَ.

وهكذا نجد أن الحديث بما تحمل دلالاته من الاعتبار بمصير الأمم الغابرة التي ظلمت وتجبرت وتجاوزت، وكذلك نهى الرسول ﷺ عن مساكنة الظالمين أو الركون إليهم، كما نهى الله تعالى عن ذلك ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[2].

وما جاء في الحديث من إسراعه ﷺ وأصحابه معه حتى تجاوزوا وادي القوم

---

(١) انظر: طرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى علي جواد الشمري ص ١٣٨، ١٣٩.

(٢) سورة هود، آية: ١١٣.

الظالمين، كل ذلك يدل على مدى عظم الظلم وسوء منقلبه، والترهيب منه والنهي عن التلبس به.

ولذا كان الظلم محرماً ومُجرَّماً في جميع ميادين الحياة، ومن ثَمَّ فإنه يجدر بالقائمين على أمور التربية أن يُحذّروا من الظلم من خلال التربية بالترهيب، وذلك ببيان بعض مظاهر الظلم وبيان آثاره الوخيمة على الفرد والمجتمع، وبيان عاقبة الظلم وأهله يوم القيامة.

لذا كان من واجبات المربي والمعلم التخلق بالعدل والتماس أسبابه والبعد من الظلم وأسبابه، وأن يحرص على عدد من الأمور والتي من أبرزها ما يلي:

أ- تحري العدل وعدم الظلم في تعامله مع أطفاله أو طلابه أو كل مَنْ يربيهم أو يشرف عليهم.

ب- ألا يكلف المربي مَنْ تحت يده فوق طاقتهم ولا يكلفهم إلا بما يبين لهم ضرورته وفائدته لمصلحتهم وما يستطيعون تحقيقه من الأعمال أو السلوك أو العبادة أو الحفظ أو نحو ذلك، فإن الله تبارك وتعالى لم يكلف أمة بشيء إلا بعد أن أرسل فيهم رسولاً منهم ليبين لهم بلسانهم، فإيضاح النموذج المطلوب تعلمه لابد منه ليتم التعليم.

ج- أن يقنع طلابه ويقيم عليهم الحجة والبرهان في كل ما يطالبهم به، وأن تكون الأهداف التربوية واضحة لكل بحسب عقله وقدرته على الفهم فلا تأتي التكاليف والأوامر استبدادية عارية عن كل حجة وبرهان.

د- أن يكون مخلصاً في عمله التربوي لوجه الله تعالى، ويقنع طلابه أو أبناءه بأنه يعمل لمصلحتهم ولسعادتهم وفائدتهم محققاً أمر الله تبارك وتعالى، ليست له غاية أو منفعة شخصية في تقويم سلوكهم وإصلاح نفوسهم ويحوز إعجابهم بذلك فيتخذونه قدوة لهم يقلدونه ويتبعونه على بصيرة[1].

رابعاً- التربية بالتعليل:

من أساليب التربية: التربية بالتعليل ليزداد المتعلم ثقة واطمئناناً إلى ما يلقى على ما

---

(١) انظر: التربية بالآيات، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٣٥، ٢٣٦.

معه، فإن إظهار العلة أدعى إلى القبول والالتزام، وأكثر تسهيلاً للفهم والحفظ والاستظهار، ولأهمية هذا الأسلوب التربوي الأصيل استخدمه النبي ﷺ مع علمه بإيمانهم الكامل بكل ما يلقيه على مسامعهم ويزجيه إليهم من نصائح وإرشادات، فنراه ﷺ ساق لهم العلة التي من أجلها نهاهم عن دخول قبور الظالمين إلا لضرورة، فيمرون بها مع مراعاة الإسراع في المشي والانتقال وتغير الحال من بكاء ونحوه، فبين لهم العلة في ذلك بقوله ﷺ: «فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ».

إن استخدام التعليل والإقناع استخدام لأسلوب من أساليب التربية الإسلامية، بل والتربية بصفة عامة، ويقصد بهذا الأسلوب استخدام الدليل والعلة والمنطق العقلي وتقديم الأدلة والبراهين وعدم اللجوء إلى المغالطة وعدم الاعتماد على الهوى أو ما شابه ذلك.

إن التربية الإسلامية قائمة على استخدام العلة والدليل والإقناع والحجة العقلية، وهذا الأسلوب فعال في مجال التربية حيث تقدير قيمة العقل واستخدامه في مختلف شئون الحياة، فعلى المربي أن يعود المتعلم بأن يقتنع بكل معلومة يتعلمها أو سلوك يسلكه ويستخدم في ذلك أسلوب التعليل.

فما أحرى بالآباء والمعلمين أن يخاطبوا عقول الأبناء والطلاب، وأن يقفوا بقدرة هذه العقول على التفكير في كثير من الموضوعات وأن يصححوا أفكارهم في حالة وجود خطأ فيها وأن يوجهونهم للتفكير السليم[1].



(١) انظر: التربية الإسلامية، مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية ص ١٢٥-١٢٧.